شعاع

من المحراب

الجُزْءُ الثَّانِي عَشَر

إعداد

سليمان بن حمد العودة



السلفية المفترى عليها(١)

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره . . .

لقد قام الأنبياء والمرسلون -عليهم الصلاة والسلام- بواجب البلاغ والدعوة لأقوامهم، وكان تصحيح المعتقد مرتكزًا أساسيًا، وهدفًا جوهريًا في دعوتهم وتعبيدهم لربِّ العالمين ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٣٢]، وكانت هذه الغاية النبيلة في تصحيح المعتقد وتوحيدِ الله والإخلاص في عبوديته هما مشتركًا بين المرسلين ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ولقد واجه المرسلون -في سبيل تحقيقها- المصاعب والمتاعب والصدود والإنكار والسخرية والأذى، وهاتان أمتان قديمتان -بعد نوح عليه الصلاة والسلام- قالت أولاهما -كنموذج للإعراض والأذى-: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠]، ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦]، وإذا كان هذا منطق عادٍ مع هود عليه السلام، فكذلك كان منطق ثمود مع صالح -عليه الصلاة والسلام-: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا

(١) ألقيت هذه الخطبة في ١٨/ ٥/ ١٤٣٢ هـ.

بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٥-٧٩].

واستمر منطق الإنكار والجحود حتى كان العهد بآخرِ المرسلين محمدٍ ﷺ، وأعاد قومُه منطق وجحود وإنكار السابقين ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص: ٥-٧].

ولئن مات المرسلون وهم يجاهدون في سبيل تحقيق هذه الغاية الكريمة، وقد أنقذ الله بهم أممًا، وأحيا بدعوتهم قلوبًا غلفًا -إلى جانب الذين كفروا وجحدوا وأنكروا وسخروا- فقد انتقلت المسؤولية من بعدهم إلى العلماء -إذ هم ورثة الأنبياء في العلم والدعوة- وقام العلماء بمسؤوليتهم عبر القرون يجددون للناس ما اندرس من معالم النبوة وأركان الملة، وكان الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله واحدًا من هؤلاء الأعلام المجددين، وقد دهى الجزيرة في زمنه أمرٌ خطير في جوانب المعتقد والسلوك والدعوة والعلم، حيث فشى الشرك وعُبدت الأشجارُ والأحجار من دون الله، وشُيِّدت القبور وطاف الناس بها، وقُدمت النذور لغير الله، وانتشرت الخرافاتُ والبدع، وانحرف سبيل الدعوة، وأصاب طائفة محسوبة من العلماء ما أصاب غيرهم من الانحراف والترويج للباطل.

وكان لا بد من كلمة حق، وداعية حق، وصرخة محق في دياجير الظلم، فكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وكانت دعوته الإصلاحية نصرة للحق، لم يأت بدين جديد كما يزعم المغرضون، ولم ينتحل مذهبًا غريبًا كما زعم الخصوم، لكن جدّد ما اندثر، ووصل الأمةَ بالكتاب والسنة، واسترشد بمؤلفات العلماء الرّبانيين كالأئمة الأربعة وابن تيمية وابن القيم وغيرهم من

علماء الأمة في القديم والحديث، فأرشدته إلى السلفية الحقَّة، وكتُبه المطبوعة ورسائلُه المنتشرة تشهد على صحة معتقده، وكما حُورب الأئمة من قبله في زمنهم من قبل أهل الأهواء والبدع، فقد حُورب الإمام محمد بن عبد الوهاب واتهم وطُرد، وانتقل من بلدٍ إلى بلد، حتى هيّأ الله له الإمام محمد بن سعود فناصره وآزره، والتقى سلطان القرآن والسيفِ معدًا، فكان لهما أبلغ الأثر، فلم يتركا زيفًا ولم يتركا خرفًا كما قال الشاعر:

هما السيفُ والقرآن قد حكما معًا فلم يتركا زيفًا ولم يتركا خرفًا

إن ما نشهده اليوم من هجوم على الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب إنما هو هجومُ جاهل، بل هو مناكفة وهجومٌ على الدعوة السلفية برمتها، والتي تعتمد في أصولِها وفروعها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتحارب البدع والخرافات، وتنعى على أئمة الخرافة والدروشة، ولكن هذه الدعوة بصفائها وصدق دعاتِها بلغت الآفاق، وأصبحت كالشمسِ لا يمكن حجب نورها، وإذ شاء الله أن تخترق الدعوة السلفية حدودَ الجزيرة العربية، والشيخ محمد بن عبد الوهاب لا يزال حيًا، لتصل إلى الهند والسند وأفريقيا، فقد امتدت الدعوة السلفية بعدُ لتعبر القارات، وتصبح منهجًا للمعتقد الصحيح في رقعةٍ فسيحة من أرض الله، وغدت السلفية بفضل الله منهجًا للتعلّم والتعليم، والدعوة والإصلاح، والتربية.. لها ينتصر العلماء، وتؤلف الكتب، وتعقد الندوات والمؤتمرات، بل وتقام الجامعات والمعاهد والمدارس.

وفي ظل هذا الانتشار السلفي لا يسوغ تجهيلُ الناس بهذه العقيدة، ولا الشغبُ على رجالاتها والمجددين فيها، ولا يسوغ الافتراء والتهم والتعيير في زمنٍ يملك الحقيقة كلُّ الناس عير نوافذ الكتب المؤلفة، ووسائل الإعلام، وأساليب التقنية التي تنشر الحقيقة، وتحتفظ بمؤلفات علماء الدعوة السلفية، المُقتدون بالسلف ليسوا أصحابَ فتنة، وليسوا عملاء للشرق والغرب كما يزعم

والمغرضون. أو الجاهلون من أهل الأهواء ومن يتجرأ ليقول أن محمد بن عبد الوهاب عميل للإنجليز؟ وكم هي مفارقة عجيبة أن نجد من علماء الغرب من ينصف محمد بن عبد الوهاب ويثني على دعوته وهم غير مسلمين، بينما نجد من يتهم ويفتري عليه الكذب من المسلمين؟ ودونكم هذا النموذج الغربي المنصف يقول لوثروب: وبينما العالم الإسلامي مستغرق في هجعته، ومنزنح في ظلمته إذا بصوت يدوي في قلب الصحراء في شبه الجزيرة العربية، مهد الإسلام فيوقظ المؤمنين ويدعوهم إلى الإصلاح والرجوع إلى سواء السبيل والصراط المستقيم، فكان الصارخ بهذا الصوت إنما هو المصلح المشهور محمد بن عبد الوهاب (حاضر العالم الإسلامي) ج١ ويقول جولد زيهر: يجب على من نصب نفسه ليحكم على الحوادث الإسلامية أن يعتبر الوهابيين أنصارًا للرئاسة الإسلامية على الصورة التي وضعها النبي والصحابة[1].

إن تطاول على السلفية الحقة جاهل فتلك مصيبة، والمصيبة أعظم حين يتطاول عليها عالم مطلع يملك أدوات البحث ويفرق بين الحق والباطل، وإن تطاول على السلفية أصحاب مذاهب منحرفة وطوائف مختلفة الفكر والمعتقد فالمصيبة أعظم إن جاء الهجوم على السلفية (الحقة) من أهل السنة والجماعة، ولئن جاء الهجومُ على السلفية من قبل الرعاع والجهلة فالمصيبة أعظم حين يدخل على الخط في الهجوم على السلفية منابرُ علمية، ومؤسسات دينية لها في العلم والمعرفة تاريخ، ولها في العالم الإسلامي مكانة وأثر.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

(١) عن كتاب محمد بن عبد الوهاب لمؤلفه: سليمان الحقيل/ ٢١٥.

الخطبة الثانية:

السلفية الصحيحة وسط في المعتقد بين الجفاة والغلاة، وبين أهل التعطيل لأسماء الله وصفاته -حيث ينكرون ما ثبت- وبين أهل التمثيل الذين يشبهون الله بخلقه في الصفات -تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

السلفية وسط في الاستدلال والموازنة بين النقل والعقل، فهم لا ينكرون دورَ العقل في الفهم والاستنباط، ولكنهم يعظِّمون النصَّ الشرعي، وإن عجزت عقولهم أحيانًا عن إدراكه، ويرون ألا تعارض بين العقل الصريح والنقل الصحيح.

السلفيون المقتدون وسط في نظرتهم وتعاملهم لأهل الانحراف بين الفكر الخارجي المكفر بالكبيرة، وبين الفكر الإرجائي المتساهل لدرجة المداهنة وغياب الولاء والبراء، وعدم الإنكار على المخالف بالحكمة والموعظة الحسنة.

السلفية باختصار مدرسة تعتمد الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة منهجًا لها في العمل وطريقة في التفكير.

وأفرادُ السلفية بشرٌ غير معصومين من الخطأ، ولئن أخطأ منتسب للسلفية فينبغي أن يرد خطؤه ولا تُرمى السلفيةُ بالخطأ.

ولئن تسمى بالسلفية من حمل فكرًا منحرفًا، أو سلوكًا خاطئًا فتلك أخطاء المنتَسبين وليست انحرافًا في المنهج السلفي.

ومهما وقع النزاع بين أهل السلفية وبين الأشاعرة فلا ينبغي أن يتجاوز الخلاف الفقهي إلى الاختلافِ في المعتقد، فكلهم ينتمي إلى أهل السنة والجماعة فأصولُ الأئمة الأربعة في المعتقد متفقة، وينبغي ألا يغيب أن ثمة

دعوات طائفية مغرضة اليوم تدعوا إلى فصل السلفية عن بقية أهل السنة والجماعة وتتبنى الهجوم عليها حتى يسهل اختراق الأمة، وزرعُ البغضاء بين أبناء الملة الواحدة والسلفيةُ لا تتخذ من مناكفة الحكام غرضًا وهدفًا، بل ترى الطاعة للوالي بالمعروف، لكنها في الوقت نفسه ليست مرتقىً سهلًا يمتطيه الساسةُ في أوقات الحاجة لترويج مشاريعهم المنحرفة، وتخويف الساسة الغربيين بهم مستقبلًا، إن حلّت بهم كارثة أو ثارت عليهم شعوبهم. وحين يشغبُ على السلفية مسلمون، ويرميهم بالطعون موحدون يبقى الغربُ- ومع كل أسف- أبصر من هؤلاء بحقيقة السلفية ودورها وأثرها، ولذا تراهم يتخوفون منها لعلمهم بأصالة منهجها وثبات معتقدها، وقدرتها على التغيير والتأثير.

لا غرابة أن يُهاجم الغربُ السلفية، وأن يشوِّهوا صورة السلفيين، فهم (السلفيون) أكثر من غيرهم معرفة بالغرب وأهدافه، وهم أكثرُ الناس بغضًا للغرب لعداوتهم القديمة المتجددة على المسلمين، والغربُ يدرك أن المنهج السلفي أكثرُ ثباتًا وتوازنًا من غيره، وإذا طوّع الغربُ المناهج والمذاهب الأخرى لسياسته وأهدافِه بقي المنهج السلفيُ عصيًا على الذوبان، مستمرًا في حراسة الحصون، لهذه الأسباب وغيرها يكره الغربُ الإسلام عمومًا، والمنهج السلفي خصوصًا.

أيها المسلمون في زمن محاربة الفساد ينبغي أن يحتل محاربة الفساد العقدي موقعًا مهمًا من المصلحين فهو لا يقل أثرًا عن الفساد المالي والإداري.

وفي زمن الفتن والابتلاء والفرقة والضَعف لا ينبغي أن نزيد في ضعفنا، ونفرق صفّنا، ويشتغل بعضُنا ببعض، والكاسبُ هو العدوُ المتربصُ، إن كان ظاهرًا أو منافقًا.

وعلى السلفيين أن يحملوا المنهج السلفي بكل وسطية واعتدال للآخرين،

وأن يفخروا ولا يتكبروا، وأن ينفتحوا ولا ينغلقوا، وأن يُبشروا ولا ينفروا، وألا يحتكروا المنهج بل ينشروه، وألا يتيحوا فرصةً للعدو يتسلل منها، لضعفِ سلفيتِهم، أو لقصورٍ في التبشير بمعتقدهم، وينبغي أن يكونوا على يقين أن البقاء للمنهج الحق، وأن جمعَ الكلمة على الحق والخير شعارٌ في هذه المرحلة، وعلى المسلمين عمومًا أن يصبروا ويصابروا ويرابطوا ويتقوا الله، ويصلحوا ذات بينهم، فالنصر قريب، وجند الله هم الغالبون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلبٍ ينقلبون.



الصفويون[١] - تاريخ وعقائد وأهداف؟[٢]

الخطبة الأولى:

أيها المسلمون في هذه الأيام ترتفع لغة الصفويين تارة بالاستنكار لما أسفرت عنه الأحداث في الخليج (وخاصة البحرين) وتارة بالتهديد والإرجاف في المنطقة وفي هذه الأيام كذلك يتضاعف النشاط الرافضي في تصدير الثورة المزعومة وأحداث بلبلة هنا ومشكلة هناك.. ومن أرض الرافدين إلى لبنان -والبحرين واليمن وأفريقيا، وأندونيسيا- والجمهوريات الإسلامية وغيرها يمتد النشاط الرافضي ويتحرك الصفويون.. ومن هنا لا بد من كشف الحقائق، وإظهار الحق حتى لا تلتبس الأمور وهناك قضايا ثلاث من المهم إيضاحها.

الأولى: من هم الصفويون، وما تاريخهم، وما هي آثارهم في إيران؟

الثانية: عن حقيقة الثورة الخمينية وعلاقتها بالغرب عمومًا وبأمريكا خصوصًا؟

الثالثة: ما هي أطماع الرافضة في المنطقة وكيف يواجهون؟

أما الصفويون فهم سلالة من سلالات ملوك فارس بعد الفتح الإسلامي، أسس دولتهم في أذربيجان إسماعيل الصفوي عام ٩٠٠هـ ١٥٠٠م ثم بسط نفوذه على شروان والعراق وفارس، واتخذ من (تبريز) عاصمة لدولته، أعلن إسماعيل الصفوي أنه سليل الإمام السابع (موسى الكاظم) وإن التشيع هو دين الدولة، وحارب أهل السنة الذين كانوا الأكثرية في البلاد التي سيطر عليها، وبلغت دولة

(١) تمت الاستفادة بشكل كبير من كتاب: «وجاء دور المجوس» د. عبد الله الغريب.

(٢) ألقيت هذه الخطبة في ٤/ ٥/ ١٤٣٢هـ.

الصفوين أوج تفوقها في عصر الشاه (عباس الصفوي) (١٥٨٨- ١٦٢٩) والذي استعان بالإنجليز وجعل منهم مستشاريه، وحارب الدولة العثمانية مستغلًا ضعفها وانشغالها، وعمل الصفويون على تحويل الحجاج الإيرانيين من مكة إلى (مشهد)، وقد حج الشاه عباس نفسه سيرًا على الأقدام من (أصفهان) إلى (مشهد) زيادة في تقديسه لضريح الإمام (علي الرضا) المزعوم ومنذ ذلك الحين أصبحت (مشهد) مدينة مقدسة عند الشيعة الإيرانيين.. وباختصار أقام الصفويون دولة فارسية باطنية حاربت المسلمين السنة في إيران، وتعاونوا مع أعداء الله، وبنت الكنائس وقلصت المساجد في إيران حتى قضى عليهم العثمانيون والأفغان عام ١٧٢٢م بعد أن امتد حكمهم أكثر من قرنين من الزمان، حافلة بالفساد، وخلفهم شيعة آخرون في أسرتي (الأفشار) و(القاجار) حتى انتهى الحكم في إيران إلى أسرة (بهلوى) والذين كان منهم شاه إيران الأخير، والذي أسقطت حكمه ثورة الخميني..

وما أدراك ما ثورة الخميني؟ تلك التي خدع بها بعض الناس في بداية عهدها، وخطابات وتهديدات خمينيها.. ثم تكشفت الأحوال.. عن عمالة أصحاب العمائم للغرب.. وكشفت الوثائق والمقابلات والزيارات السرية أن الغرب وأمريكا على الخصوص.. هو مهندس هذه الثورة. فالخميني يقيم قبل ثورته في (فرنسا) وأمريكا (جيمي كارتر) هي التي مهدت له الوصول إلى حكم إيران، بل ومنعت أمريكا وعن طريق سفيرها في إيران من ثورة جنرالات الجيش الإيراني التي كانت ستسحق حركة الخميني .. وكانت حركة احتلال السفارة الأمريكية في طهران واحتجاز العاملين فيها مسرحية مكشوفة تشبه إلى حد كبير

(الخلاف الوهمي بين إيران وأمريكا على التسليح النووي اليوم) فكلها استهلاك إعلامي وخداع ظاهر، أكثر من واقع.

ولئن كان العجب كبيرًا من دعم الغرب باطنًا لإيران في ثورة الخميني وهو الذي ملأ الدنيا بالتهجم على الإمبرالية والشيطان الأكبر في الظاهر.. فالعجب أكبر حين تكشف مجريات الأحداث والعلاقات عن علاقة حميمة سيئة ومشبوهة بين دولة الملالي.. والنظام الشيوعي في إيران ممثلًا في حزب (تودة) الشيوعي ومن خلفه في الاتحاد السوفيتي.. وهنا تثور الأسئلة كيف لنظام يدعي الشرعية وولاية الفقيه ومحبة آل البيت.. ثم هو يتعاون مع الغرب العلماني، وتحسن علاقته مع النظام الشيوعي الملحد؟ والجواب باختصار أنها دولة الملالي.. القائمة على معتقد التقية، والطعن في الصحابة وتنقص الكتاب والسنة، والبغض لأئمة أهل السنة وعامتهم.. لا يستغرب من صنيعها وتناقضاتها إلا جاهل بعقائد القوم.. غافل عن مخططات الصفويين، وأهدافهم والتاريخ سجل حافل وشاهد على مثل هذه التحالفات الباطنية في القديم والحديث بين أصحاب الرفض وأعداء المسلمين.. وهذه نماذج منها.

فقد استخدم التتار (الرافضة) في أبشع مجزرة شهدها التاريخ وسقطت الخلافة الإسلامية (العباسية) بمؤامرة (نصير الكفر الطوسي الرافضي) مع هولاكو التتري في إبادة المسلمين في بغداد كما استخدمهم النصارى في الحروب الصليبية المشهورة، وتطوع النصيريون (لسياطنيون) لمقاتلة المسلمين في بلاد الشام.. وعملت دولة العبيديين الأفاعيل في مصر والشام وثبتت أقدام النصارى، واستوزرت اليهود، في الوقت الذي كانت تعلن سب الصحابة على المنابر واستخدمهم البرتغاليون والإنجليز ضد الدولة العثمانية، ولعب الصفويون

دورًا خبيثًا في تمكين المستعمرين في ثغور المسلمين..

واليوم تكشف الوثائق واللقاءات السرية عن علاقات خبيثة وسرية بين الرافضة الصفويين في إيران وبين العدو الصهيوني في فلسطين، كما كشفت عن علاقات وتحالفات غادرة مع الغرب، وكتاب (التحالف الغادر)[١] يكشف هذه التحالفات الخفية وإذا فسدت المعتقدات، وانحرفت الأصول فلا يستغرب معها -أي خيانة- أو فساد في الأرض، وصدق الله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥].



(١) وهو كتاب مطبوع ومترجم ومتوفر في الشبكات العنكبوتية.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى.

أيها المسلمون سبق القول أن خلافنا مع الرافضة خلاف في الأصول وليس في الفروع، فعقيدتهم في القرآن والسنة والصحابة وأعلام الملة، تختلف بأصولها عن عقائد أهل السنة والجماعة، وتعاملاتهم بالتقية وتذرعهم بالنفاق والخداع.. كل ذلك مما تفيض به كتبهم ويشهد الواقع على صدقه، ومن عاشرهم أو اقترب منهم عرف ما يبطنون من غل وحقد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وأما الرافضي فلا يعاشر أحدًا إلا استعمل معه النفاق، فإن دينه الذي في قلبه دين فاسد يحمله على الكذب والخيانة وغش الناس، وإرادة السوء بهم، فهو لا يألوهم خبالًا ولا يترك شرًا يقدر عليه إلا فعله بهم.. إلخ[(١)].

وهذا الشوكاني عاشرهم باليمن وتحدث عن تجربته معهم ثم قال: «ولقد جربنا هذا تجريبًا كثيرًا فلم نجد رافضيًا يخلص المودة لغير رافضي وإن آثره بجميع ما يملكه.. ولم نجد في مذهب من المذاهب المبتدعة وغيرها ما نجد عند هؤلاء من العداوة لمن خالفهم، ولم نجد عند أحد من التحري على شتم الأعراض المحترمة، فإنه يلعن أقبح اللعن ويسب أفظع السب.. ولعل سبب هذا والله أعلم أنهم لما تجرأوا على سب السلف الصالح هان عليهم سب من عداهم، ولا جرم فكل شديد ذنب يهون ما دونه»[(٢)].

عباد الله -قوم تلك بعض معتقداتهم- وأساليب تعاملاتهم لا يؤمنون.. فكيف إذا كان لهم أطماع وأهداف وأذرعة ووسائل يصدرون بهم ثورتهم،

---

(١) «منهاج السنة» (٣/ ٢٦٠).

(٢) «طلب العلم» (٧٠، ٧١)، عن «أصول مذهب الشيعة» للقفاري (٣/ ١٢٢٨).

ويحاولون من خلالها نشر مذهبهم وأفكارهم إن من الأمور التي بات يعرفها العامة فضلًا عن الخاصة أن للرافضة أطماعًا في الخليج ابتدأ من إصرارهم على تسمية بالخليج الفارسي، ومرورًا بأحداثهم الشغب في عدد من دول الخليج، ورفعهم مطالبات تثبت وجودهم وتدعم تمكنهم.. وقد تبين من الأحداث أن الدول التي سارعت في التنازلات لمطالبهم تحملت تبعات ذلك في قوة شوكتهم وفي البحرين واليمن ولبنان نماذج واضحة لتحمل هذه التبعات.

أما مواقعهم الإلكترونية وقنواتهم الفضائية فهي لا تخفى على المطلعين في نشر مذهبهم والطعن في غيرهم وللرافضة أذرعة سياسية تتخذ من القوة والتسليح المنظم أسلوبًا لنشر الرفض وخدمة الصفويين في إيران- وحزب اللات- والحوثيون، وفي العراق وأفريقيا، وباكستان، والأفغان وأندونسيا نشاط ومندوبون للرافضة، وهذا كله يحذر ولا يخوف مع بذل الجهد في المقابل واستشعار ضعف كيد الشيطان، ومعية الله للمؤمنين.

إن مطامع القوم وأهدافهم تختلط فيها الدعوة للمذهب، إلى إثارة القلق والشغب، إلى امتلاك السلاح والتدريب، وتزعم الثورات، وإعلان المظاهرات، ورفع سقف المطالب حتى يتسنى لهم ما دونها.. وهكذا.. يروم القوم أن يتحول الهلال الرافضي إلى بدر، ويمكرون ويمكر الله.. ولقد طالبوا من قبل ومن بعد بضم جزر في الخليج ذات مواقع استراتيجية، وقد احتلوا الجزر الثلاثة (طنب الكبرى، والصغرى، وأبي موسى) بل تجرأوا أكثر وأعلنت إيران عام ١٩٥٧م إلحاق البحرين بالتقسيمات الإدارية لإيران معتبرة إياها المحافظة الرابعة عشرة، ثم خصصت عام ١٩٥٨م مقعدين في برلمانها للبحرين ومنعت إيران البحرين من الاشتراك في منظمة الدول المصدرة للبترول (أوبك) أما قصة الصفويين مع الأحواز، وتهجيرهم للعرب، واعتداؤهم على

العربية وفرض الفارسية، وظلم أهل الأحواز بشكل عام. فهو من السوء بمكان.. لا سيما إذا علم أن الأحواز أقرب للعراق منها لإيران، فهي اقرب لسهول العراق، وقد سكنها العرب منذ أقدم العصور، وفتحها المسلمون عام (١٧هـ) أيام عمر رضي الله عنه وألحقت إداريًا بالبصرة وكانت تسمى (أهواز العراق) والفرس هم الذين غيروا اسمها إلى الأحواز لعجمتهم في نطق الحاء هاء، ثم أطلقوا عليها اسمًا فارسيًا (خوزستان)، ولا يزال أهل الأهواز يعيشون حالة الظلم والتهجير.. بل يعيش أهل السنة بشكل عام في إيران في ظروف صعبة.. فرج الله همهم وعجل بفرجهم.

إخوة الإسلام يصعب في عجالة الإحاطة بمطامع الصفويين ولكن الوقوف على مخططهم في الأفكار والخطط المكتوبة (كالخطة الخمسينية لإيران) أو الاستبصار بتحركاتهم ونشاطهم يدرك خطر هذه المطامع ولذا يحتاج الأمر إلى موقف بل مواقف، تبدأ بمعرفة عقائد الرافضة وما يبطنون لأهل السنة ثم كشف زيف هذه المعتقدات- ليس فقط لأهل السنة- بل ولأبناء الرافضة الذي يُغرر بهم وتوغر صدورهم ضد خيار الأمة، ومصادر التلقي الحقيقية، ثم يتبع ذلك دعوة لأبناء الرافضة للرجوع للحق وسلوك سبيل الجماعة ونبذ الفرقة، ومع ذلك لا بد من الحذر والاستعداد لأي تحركات مشبوهة..

إن الخطر الصفوي اليوم لا تكفي نحوه الجهود الفردية، بل لا بد من جهود جماعية وعلى مستوى الأفراد والدول وحيث كان مشروع درع الجزيرة خطوة رائدة لإنقاذ البحرين بل والخليج من الامتداد الصفوي، فالمأمول أن تتبعه خطوات في ذات الاتجاه، كتشكيل القوى العسكرية المستديمة لوقف الزحف الصفوي، وإنشاء مراكز البحوث والدراسات لكشف الفكر الصفوي الرافضي، واعتماد سياسات وبرامج من شأنها أن تحمي المنطقة وأبناءها من فتن الروافض

الحاضرة والمستقبلة.. وبكل حال فالمسئولية فردية وجماعية والخطر قديم يتجدد، ومن قراء كتاب (وجاء دور المجوس) وهو كتاب صدر قبل ثلاثة عقود، عرف مكمن الخطر وأدرك أن السياسات الرافضية الفارسية الصفوية تترجم إلى عمل، فكيف لو قدر لمؤلف الكتاب أن يكتب عن دورهم بعد هذا الزمن.. وأخيرًا- أيها المسلمون- فالتقوى فرقان، واجتماع الكلمة قوة، والوعي خطوة مهمة لدفع البلايا والشرور، والقوة في نشر الحق سبيل للكشف الباطل، والعاقبة للتقوى وللمتقين، وإن جندنا لهم الغالبون ذلك وعد صادق غير مكذوب.. اللهم انصر دينك وعبادك الصالحين..



معاوية رضي الله عنه ستر أصحاب النبي ﷺ وحلقة الباب؟(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه . . .

إخوة الإيمان. . صحابة رسول الله ﷺ ليسوا بحاجة إلى تزكية من أحد بعد تزكية الله لهم في أكثر من موضع من كتاب الله، وهذه التزكية شاملة لمن سبق منهم بالهجرة والإيمان أو من تبعهم بإحسان- وإن تفاوتوا في الأفضلية فقد رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

كما جاء الثناء على كل من كانوا مع النبي ﷺ والوعد بالمغفرة والأجر العظيم ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ﴾. . إلى قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [محمد: ٢٩].

وليس لأحد أن يتطاول على أحد منهم وقد أحبهم الرسول ﷺ وأحبوه، وصحبهم وصحبوه، وجاهدوا معه وعزروه ووقروه ونصروه وأثنى عليهم وشهد بخيريتهم ونهى عن القدح في أحد منهم وأكد الصحابة ذلك وبينوه، حتى قال ابن عمر-بسند صحيح- «لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره»(٢).

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في ١٠/ ٤/ ١٤٣١هـ.

(٢) عن أحمد في الفضائل (١/ ٥٧)، وابن ماجه (١٦٢) العلوان. . «الاستنصار» (١١).

ألا وإن من أكبر الظلم وأسوأ الجهل احتراف تنقص الصحابة والطعن فيهم، وتشكيك الناس في إيمانهم وجهادهم.. وحين يعلن المنكر، ويجهر بالسوء في المنابر الإعلامية والفضائيات والمواقع الالكترونية، يصبح لزامًا على أهل السنة الدفاع عن أعراض الصحابة، وبيان مناقبهم، حتى لا يشيع المنكر، ويضلل العوام، ويعتدى على العظماء.

إخوة الإسلام تعالوا بنا لنسلط الضوء على واحد من هؤلاء الصحابة ربما يكون ناله من الطعن والسب- أكثر من غيره ولندرك كيف يراد أن يكون الطعن فيه وسيلة إلى غيره، ولئن كنا لا ننزه أحدًا من البشر من الخطأ.. فثمة حسنات ماحيات، وثمة مقامات ورتب لا بد أن نقدرها ونضعها في الموضع الصحيح.

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه واحد من صحابة رسول الله ﷺ وقد أثنى القرآن على الصحابة عمومًا، وشملهم بالخيرية والفضل من آمن وأنفق قبل الفتح أو بعده -وإن تفاضلوا وتقدم بعضهم على بعض في الفضيلة والأجر- فقد كان ذلك مع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

ومن المقرر في عقائد أهل السنة والجماعة حب الصحابة جميعًا والترضي عنهم والكف عن سبهم «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ قد أحدهم أو نصيفه**» (متفق على صحته) وقد عد أهل العلم سبهم أو تنقصهم زندقة وانحرافًا فقد جاء في كتاب (الإمامة) للإمام أبي نعيم الأصبهاني: «لا يبسط لسانه فيهم إلا من ساءت طويته في النبي ﷺ وصحابته والإسلام والمسلمين»[1].

---

(١) (ص ٣٧٦) [عن: سليمان العلوان «الاستنفار للذب عن الصحابة الأخيار» ٤].

وقد أنكر إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ على من جمع الأخبار التي فيها طعن على بعض أصحاب رسول الله ﷺ وغضب لذلك غضبًا شديدًا وقال: «لو كان هذا في أفناء الناس لأنكرته فكيف في أصحاب رسول الله ﷺ».. فقال له المروذي: يا أبا عبد الله فمن عرفته يكتب هذه الأحاديث الرديئة ويجمعها، أيهجر؟ قال: نعم، يستأهل صاحب هذه الأحاديث الرديئة الرجم(١).

وقد كشف الإمام أبو زرعة عن هوية وأهداف القادحين في الصحابة فقال: إذا رأيت الرجل ينتقض أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله ﷺ وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة(٢).

وقد اتفقت الأمة وأهل العلم في مقدمتهم على خيرية الصحابة، بل شهد لهم الرسول بذلك حين قال «**خير الناس قرني**» متفق عليه (ومعاوية) معدود في أولئك القرن، بل معاوية شهد مع النبي ﷺ (حنين) فدخل في جملة المؤمنين الذين وصفوا بالإيمان، وشهد القرآن بإنزال السكينة في قلوبهم ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٢٦].. فمعاوية داخل في هذه الأوصاف لشهوده الواقعة ومن وصفه بالنفاق أو الفسوق بعد شهادة القرآن له ولأمثاله بالإيمان فقد افترى إثمًا عظيمًا واحتمل بهتانًا وإثمًا مبينًا.

بل لقد استنبط العلماء معنى دقيقًا، وفضلًا واسعًا للصحابة من قوله تعالى:

---

(١) رواه الخلال في كتاب السنة (٣/ ٥٠١) بسند صحيح (العلوان/ ٨، ٩).

(٢) رواه الخطيب في «الكفاية في علم الرواية» (٩٧)، وابن عساكر في «تاريخه» (٣٨/ ٣٢).

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. وقالوا: إن المراد بالذين يتبعوهم بإحسان: هم الذين تأخر إسلامهم من الصحابة، ومما قاله الحافظ العلائي في كتاب (تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة/ ٦٣) [إن الآية تدل على أن المراد بالذين اتبعوهم بإحسان هم بقية الصحابة الذين تأخر إسلامهم، فشملت الآية جميع الصحابة].

والحديث في ذلك يطول (أعني في فضل الصحابة ومنزلتهم ومعنى الصحبة.. فثمة كتب وفصول في كتب السنن والعقائد والتراجم تحدثت عنه) لكن ثمة فضائل ومناقب لمعاوية ﷺ تخصه بالفضل وتثبت له عظيم القدر فإلى شيء من ذلك.

١- في تاريخ إسلامه.. لئن كان المشهور أنه أسلم عام الفتح فالذي يظهر أنه أظهر إسلامه يوم الفتح- وإلا فقد وقع الإسلام في قلبه قبل ذلك، ولندع معاوية يحدثنا عن إسلامه كما روى ابن سعد حين يقول: لما كان عام الحديبية، وصدوا رسول الله ﷺ عن البيت، وكتبوا بينهم القضية وقع الإسلام في قلبي، فذكرت ذلك لأمي فقالت: إياك أن تخالف أباك فأخفيت إسلامي، فوالله لقد رحل رسول الله ﷺ من الحديبية وإني مصدق به، ودخل مكة عام عمرة القضية وأنا مسلم، وعلم أبو سفيان بإسلامي فقال لي يومًا: لكن أخوك (يزيد) خير منك وهو على ديني، فقلت: لم آل نفسي خيرًا وأظهرت إسلامي يوم الفتح، فرحب بي النبي ﷺ وكتبت له[1].

(١) «الطبقات» (٧/ ٤٠٦)، وابن عساكر (١٦/ ٣٣٩)، و«البداية والنهاية» (٨/ ١٢٧).

ولهذا قال الذهبي في ترجمته (قيل إنه أسلم قبل أبيه وقت عمرة القضاء، وبقي يخاف من اللحاق بالنبي ﷺ من أبيه، ولكن ما أظهر إسلامه إلا يوم الفتح) وانتقد الذهبي رواية الواقدي التي يشير إلى أن معاوية شهد مع النبي ﷺ حنينًا، فأعطاه من الغنائم مائة من الإبل وأربعين أوقية، وقال: الواقدي لا يعي ما يقول، فإن كان معاوية كما نقل قديم الإسلام، فلماذا يتألفه النبي ﷺ ولو كان أعطاه، لما قال عندما خطب فاطمة بنت قيس «**أما معاوية فصعلوك لا مال له**»(١).

ويقرر الحافظ ابن حجر إسلامه قبل الفتح ويقول: أسلم قبل الفتح، وأسلم أبواه بعده، وصحب النبي ﷺ وكتب له(٢).

٢- ولمعاوية رضي الله عنه مكانة عند رسول الله ﷺ بعد إسلامه، فقد ثبت كما في صحيح مسلم أنه جعله كاتب وحيه - ضمن من كانوا يكتبون الوحي لهذه المهمة العظيمة، وأكرم بهذه المهمة.. ولم يزل في هذه المهمة الشريفة والمنقبة العلية حتى فارق النبي ﷺ الدنيا(٣).

٣- ومكانة عند كبار الصحابة، فقد استعمله عمر على دمشق، بل قال خليفة بن خياط -وهو من قدماء المؤرخين الثقات- إن عمر جمع الشام كلها لمعاوية، وأقره عثمان، وإن قيل إن عثمان هو الذي ولاه الشام كلها.

٤- ولمعاوية رضي الله عنه مكانة عند علماء الملة ولنسمع إلى هذا الثناء على معاوية من الذهبي حيث يقول: وحسبك بمن يؤمره عمر ثم عثمان على إقليم -وهو ثغر- فيضبطه، ويقوم به أتم قيام، ويرضي الناس بسخائه وحلمه، وإن كان

(١) «السير» (٣/ ١٢٢).
(٢) «الفتح» (٧/ ١٠٤).
(٣) العلوان (٣٢).

بعضهم تألم مرة منه وكذلك فليكن الملك، وإن كان غيره من الصحابة خيرًا منه وأفضل وأصلح، فهذا الرجل ساد، وساس العالم بكمال عقله، وفرط حلمه وسعة نفسه وقوة دهائه ورأيه، وله هنات وأمور، والله الموعد[1].

بل قرر شيخ الإسلام ابن تيمية: أنه أفضل ملوك هذه الأمة وقال: اتفق العلماء على أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة، فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة، وهو أول الملوك، كان ملكه ملكًا ورحمة- كما جاء الحديث: «**يكون الملك نبوة ورحمة، ثم تكون خلافة ورحمة، ثم يكون ملك ورحمة. .**» وكان في ملكه من الرحمة والحلم ونفع المسلمين ما يعلم أنه كان خيرًا من ملك غيره[2].

وأثنى الحافظ ابن كثير على معاوية بقوله: انعقدت الكلمة على معاوية، وأجمعت الرعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين، فلم يزل بالأمر مستقلًا إلى سنة وفاته، والجهاد في بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية، والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحة وعدل وصفح وعفو[3].

على أن معاوية رضي الله عنه كان محل ثناء ورضى عند جمهور الصحابة:

أ- فابن عباس رضي الله عنهما -كما في صحيح البخاري- يشهد له بفضل الصحبة ويقول لمولاه «دعه فإنه صحب رسول الله ﷺ» (ح ٣٧٦٤) ثم يشهد له بالفقه في الدين فقد قيل لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية فإنه ما أوتر إلا بواحدة قال: إنه فقيه[4].

---

(١) «السير» (٣/ ١٣٢، ١٣٣).

(٢) «الفتاوى» (٤/ ٤٧٨).

(٣) «البداية والنهاية» (٨/ ١٢٩).

(٤) «صحيح البخاري» (ح٣٧٦٥).

ب- وأبو الدرداء رضي الله عنه يقول: ما رأيت أشبه صلاة برسول الله ﷺ من أميركم هذا يعني معاوية[١] (رجاله ثقات: السير ٣/ ١٣٥).

جـ- وشهادات أخرى من جماعة من التابعين فقد سئل المعافي بن عمران: أين عمر بن عبد العزيز من معاوية؟ فغضب من ذلك غضبًا شديدًا وقال: لا يقاس بأصحاب رسول الله ﷺ أحدًا، أما معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله ﷻ[٢].

د- وعن جبير بن نفير: إن رسول الله ﷺ كان يسير ومعه جماعة، فذكروا الشام، فقال رجل: كيف نستطيع الشام وفيه الروم؟ قال: ومعاوية في القوم وبيده عصا، فضرب بها كتف معاوية، وقال: يكفيكم الله بهذا[٣].

وإذا كان هذا الأثر مؤشرًا إلى ولاية أو خلافة معاوية.. فثمة ما هو أصرح من ذلك، فقد روى أحمد في المسند بسنده أن معاوية أخذ الإداوة وتبع بها رسول الله ﷺ فرفع رأسه إليه وقال: يا معاوية: إن وليت أمرًا فاتق الله وأعدل، فما زلت أظن أني مبتلى بعمل لقول رضي الله عنه ﷺ حتى ابتليت)[٤].

قال الذهبي: ولهذا طرق مقاربة ثم ساق حديثًا آخر عن معاوية أنه قال: والله ما حملني على الخلافة إلا قول النبي ﷺ يا معاوية: **إن ملكت فأحسن** (قال الذهبي: ابن مهاجر ضعيف، والخبر مرسل[٥].

---

(١) وأبو هريرة رضي الله عنه كان يمشي في سوق المدينة وهو يقول: «ويحكم تمسكوا بصدغي معاوية، اللهم لا تدركني إمارة الصبيان»، ابن منظور: «مختصر تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٥/ ٧٩) عن د. عبد الله الخرعان: «أثر العلماء في الدولة الأموية» (٨٤).

(٢) ابن عساكر في «التاريخ» (٥٩/ ٢٠٨).

(٣) قال الذهبي: وهذا مرسل قوي: «السير» (٣/ ١٢٧).

(٤) «المسند» (٤/ ١٠١)، ورجاله ثقات. (٥) «السير» (٣/ ١٣١).

وقد حسن الترمذي حديثًا قال فيه النبي ﷺ عن معاوية: «**اللهم اجعله هاديًا مهديًا، واهد به**»[١].

وبالجملة فقد أدركت خلافة معاوية جمعًا من صحابة رسول الله فأثنوا وما اعترضوا، حتى قال الأوزاعي رحمه الله: أدركت خلافة معاوية عدة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم: سعد بن أبي وقاص، وأسامة بن زيد، وجابر بن عبد الله وابن عمر، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وسلمة بن خالد، وأبو سعيد الخدري، ورافع بن جدع، وأبو أمامة، وأنس بن مالك، ورجال أكثر مما سميت بأضعاف مضاعفة.. كانوا مصابيح الهدى، وأوعية العلم.. ومن التابعين كالمسور[٢]، وعروة.. لم ينزعوا يده عن مجامعة في أمة محمد ﷺ[٣].

أحاديث باطلة في ذم معاوية:

أما ما جاء من أخبار في ذم معاوية والتنقص منه: كحديث: «إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه» وحديث: «معاوية في تابوت من نار في أسفل درك منها» وحديث: «كيف بك يا معاوية إذا وليت حقبًا تتخذ السيئة حسنة والقبيح حسنًا يربوا فيها الصغير ويهرم فيها الكبير، أجلك يسير، وظلمك عظيم ونحوها.. فهي أخبار مكذوبة، وقرر العلماء أمثال ابن تيمية، والخلال كذبها واعتبروها من وضع الروافض وأهل الريب كما أشار إلى أنها موضوعة[٤].

---

(١) «السير» (٣/ ١٢٥)، والحديث أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٢١٦)، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٤/ ٦١٥).

(٢) هذا قيل من صغار الصحابة.

(٣) أبو زرعة الدمشقي: «تاريخه» (١/ ١٨٩، ١٩٠)، ابن كثير: «البداية والنهاية» (٨/ ١٣٣).

(٤) ابن الجوزي في كتابه «الموضوعات» (٢/ ١٥) وانظر: سليمان العلوان: «الاستنفار للنبي عن الصحابة الأخيار» (٣٦).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].



الخطبة الثانية:

الحمد لله يستحق الحمد والثناء والصلاة والسلام على النبي المجتبى ورضي الله عن صحابته النجباء . . .

وبعد:

لماذا الطعن بمعاوية أكثر من غيره؟ لأن ذلك مدخل إلى غيره من الصحابة

قال الربيع بن نافع: معاوية بن أبي سفيان ستر أصحاب النبي ﷺ فإذا كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه[١].

يعني: من المهاجرين والأنصار، وساقه ذلك إلى جحد الكتاب وتكذيب السنة والطعن في رسول الله ﷺ[٢].

وقد كان أئمة السلف رحمهم الله يقولون: معاوية بمنزلة حلقة الباب، من حركه اتهمناه على من فوقه[٣].

ومما يشهد لذلك ويؤكده: ما نقله الخطيب البغدادي[٤] من طريق الزبير بن أبي بكر، حدثني عمي مصعب بن عبد الله قال: حدثني أبي عبد الله بن مصعب قال: قال لي أمير المؤمنين (المهدي) يا أبا بكر: ما تقول فيمن ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: قلت زنادقة، قال: ما سمعت أحدًا قال هذا قبلك، قال قلت: هم أرادوا رسول الله ﷺ. بنقص، فلم يجدوا أحدًا من الأئمة يتابعهم على ذلك فتنقصوا هؤلاء عند أبناء هؤلاء، وهؤلاء عند أبناء هؤلاء، فكأنهم

---

(١) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٩/ ٢٠٩) عن سليمان العلوان «الاستنفار للذب عن الصحابة الأخيار» (٢٨) .

(٢) العلوان (٢٨).

(٣) ابن عساكر: «تاريخ دمشق» (٥٩/ ٢١٠). (٤) في «تاريخه» (٧١٠/ ١٧٤)

قالوا: رسول الله ﷺ يصحبه صحابة السوء، وما أقبح بالرجل أن يصحبه صحابة السوء، فقال: ما أراه إلا كما قلت.

ومع ذلك يبقى معاوية رضي الله عنه كغيره من الصحابة وإن اختلفت مراتبهم وتفاوت فضلهم بشرًا، يصيب ويخطئ، وما أجمل ما قاله شيخ الإسلام وهو يدفع عن معاوية التهم الباطلة ويقول: «نحن لا ننزه معاوية ولا من هو أفضل منه عن الذنوب، فضلًا عن تنزيهه عن الخطأ في الاجتهاد[١]».

بل وأجمل من ذلك اعتراف معاوية بذنوبه، وسؤاله ربه المغفرة، وعمله من الحسنات ما يكفر بها السيئات حتى خصم المسور بن مخرمة رضي الله عنه وهو من خيار صغار الصحابة (ذكره ابن حجر والذهبي ولادته بعد الهجرة بسنتين، توفي سنة ٦٤هـ[٢] كما قال ابن تيمية[٣].

وقد نقل ابن تيمية، والذهبي وقبلهم ابن عساكر هذا الحوار العقول ومما جاء فيه: عن عروة أن المسور أخبره أنه قدم على معاوية فقال: (معاوية) يا مسور: ما فعل طعنك على الأئمة؟ قال: دعنا من هذا وأحسن فيما جئنا له، قال: لتكلمني بذات نفسك بما تعيب علي؟ قال (المسور) فلم أترك شيئًا إلا بينته، فقال (معاوية) لا أبرأ من الذنب، فهل تعد لنا مما نلي من الإصلاح في أمر العامة، أم تعد الذنوب وتترك الحسنات؟ قلت: نعم، قال (معاوية) فإنا نعترف لله بكل ذنب، فهل لك ذنوب في خاصتك تخشاها؟ قال: نعم، قال: فما يجعلك الله برجاء المغفرة أحق مني، فوالله ما ألي من الإصلاح والجهاد، وإقامة الحدود أكثر مما تلي، ولا أخير بين الله وبين غيره إلا اخترت الله على

(١) «منهاج السنة» (٢/ ٢٦١).

(٢) «الإصابة»، و«السير» (٣/ ٣٩١، ٣٩٤).

(٣) في «المنهاج» (٢/ ٢٦١).

سواه، وإني لعلى دين يقبل فيه العمل ويجزى فيه بالحسنات ويتجاوز عن السيئات.. قال المسور: فعرفت أنه قد خصمني، قال عروة: فلم أسمع المسور ذكر معاوية إلا صلى عليه (دعا)[١].

أجل إن الطعن في الصحابة قديم منذ نشأت الفرق الباطلة، والنحل المنحرفة وطالما سودت الكتب بسبهم بل وبلعنهم- وهم أهل السابقة والفضل- واليوم يتكالب الموتورون وأهل الانحراف على إعادة الطعن والسب يختلف الطاعنون في انتمائهم الطائفي والمذهبي وتوجهاتهم الفكرية ولكنهم يلتقون عند هدف السب والطعن والإثارة، والإساءة لخير القرون. أما لماذا يكون ذلك وما هدف الطاعنين؟ وإلى أي حد ينتهون؟

إنه تطاول على الشرع المنزل وإن ظهر بشكل التطاول على الأشخاص، إذ أن هؤلاء المطعون فيهم -بغير حق- هم حملة الدين والمبلغون عن الرسول، وهم خيار الأمة.. وإذا انتقص الناقل كان ذلك سلمًا للطعن في المنقول ويأبى الله ذلك والمؤمنون وهو تطاول على مقام النبوة وشخصية الرسول لكن من وراء وراء.. فإذا كان مثيرًا لسواد الناس التطاول على مقام الرسول- من قبل المنتسبين للإسلام- فليكن الخدش في أصحابه والتقليل من شأن رجاله.. سلمًا للطعن والخدش فيمن فوقهم.

وثمة هدف من وراء هؤلاء الطعون ألا وهو كسر الحواجز عن سياج الفضيلة وحراسها فإذا اعتدى على الكبار من ربان السفينة وحراس الفضيلة كان الطعن فيمن دونهم من باب أولى.

والقوم المغروضون الطاعنون يستهدفون تذويب إسقاط القدوات التي تحتل

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٩١، ٣٩٢)، و«منهاج السنة» (٢/ ٢٦١).

مكانًا عظيمًا في نفوس المؤمنين.. فإذا أزيحت هذه القدوات أو شكك في مصداقيتها.. كانت الفرصة مهيأة أمام هؤلاء المنحرفين لوضع قدوات من مشاربهم - وتعظيم رجال أو نساء لا يرجون لله وقارًا ولا يملكون مقومات العظمة.. لكنه الظلال والانحراف وتزين سوء الأعمال ومن يضلل الله فما له من هاد.

وبعد فسيظل الصحابة الأخيار جبالًا شاهقة تنكسر النصال على النصال دون أن تحط من قدرهم وستظل أعمالهم وإنجازاتهم شموعًا مضيئة تكشف عن صدقهم، وتحرق أنوارها من أرادهم بسوء أو تطاول عليهم بغير حق، وحين نتقرب إلى الله بالدفاع عن أعراضهم، فإننا نشهد الله على محبتهم، ونسأل الله أن يحشرنا معهم (والرجل مع من أحب) فليكن حب الصحابة عقيدة نحيا ونموت عليها، ولنغرسها في قلوب أبنائنا وبناتنا، ولتزين بها مناهجنا، وليفخر بذكر مفاخرهم إعلامنا. وخطباؤنا، ومعلومنا ..

ذلك أقل واجبات هذا الجيل الفريد علينا.. وذلك مقتضى الأمانة وتحقيق مناط الرسالة، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.



من هدي المرسلين[1]

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين خلق فسوى وقدر فهدى، وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا.. وهو وحده الذي يخرج المرعى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده.. كما يحيي الأرض بوابل السماء يحيي قلوب العباد يهدي المرسلين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أنار الله به- وبإخوانه المرسلين- قلوبًا عميًا، وفتح به آذانًا صمًا.. اللهم صل وسلم عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين.. ورضي الله عن الصحابة أجمعين..

أيها الإخوة المؤمنين من أصول الإيمان التصديق الجازم بالرسل والرسالات التي أنزلها الله، ومن معتقد أهل السنة والجماعة الإيمان بالأنبياء والمرسلين الذين بعثهم الله يعلمون الناس الخير ويدعونهم للتوحيد ويحذرونهم من الشرك والفساد ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فضل الله الرسل بعضهم على بعض، وأثنى عليهم جميعًا حيث بلغوا الرسالة وخافوا الله: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

واختارهم الله للنبوة والرسالة ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ﴾ [الحج: ٧٥] وهو أعلم حيث يجعل رسالته.. فإن هلاك الأمم بسبب تكذيب هؤلاء المرسلين فهذا صالح عليه السلام يقول الله عنه ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في ٢٠/ ٥/ ١٤٣٠هـ.

لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩].

وعن شعيب عليه السلام يقول الله: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٣].

ومن أنكر شيئًا مما أنزل الله على رسله فهو كافر: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

إخوة الإسلام -إذا كان هذا معتقد أهل السنة والجماعة- في الأنبياء والمرسلين، فثمة اعتقاد منحرف حين قرر غلاة الروافض تفضيل أئمتهم على الأنبياء، وقد غدا هذا المذهب أصلًا من أصول (الاثنى عشرية) قرروه في كتبه وتناقلته أئمتهم -جيلًا بعد جيل- فقد عقد المجلس (في بحار الأنوار) بابًا بعنوان: باب تفضيل الأئمة عليهم السلام على الأنبياء وعلى جميع الخلق، وأخذ ميثاقهم عنهم وعن الملائكة وعن سائر الخلق..)[1].

ويقرر شيخ الرافضة ابن بابويه في اعتقاداته التي تسمى (دين الشيعة الإمامية) هذا المبدأ عندهم حيث يقول: يجب أن يعتقد أن الله عز وجل لم يخلق خلقًا أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم والأئمة- وأنهم أحب الخلق إلى الله عز وجل وأكرمهم وأولهم إقرارًا به لما أخذ الله ميثاق النبيين في الذر..) ثم عقب المجلس على هذا النص بقوله: واعلم أن ما ذكره ابن بابويه رحمه الله من فضل نبينا وأئمتنا على جميع المخلوقات، وكون أئمتنا أفضل من سائر الأنبياء هو الذي لا يرتاب فيه من تتبع أخبارهم على وجه الإذعان واليقين.. والأخبار في ذلك أكثر من أن

(١) «البحار» (٢٦/ ٢٦٧).

تحصى، وعليه عمدة الإمامية ولا يأبى ذلك إلا جاهل بالأخبار[١].

ومن هؤلاء المتقدمين إلى بعض متأخري الرافضة حيث يتكرر الإيمان بعقيدة تفضيل أئمتهم على الأنبياء حيث يقول الخميني في كتابه (الحكومة الإسلامية/ ٥٢): «إن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل إلى قوله: وقد ورد عنهم (يعني أئمتهم) أن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل».

ويغالي الرافضة في هذا المعتقد المنحرف حيث يقول أئمتهم (ما استوجب آدم أن يخلقه الله بيده وينفخ فيه من روحه إلا بولاية علي عليه السلام، وما كلم الله موسى تكليمًا إلا بولاية علي عليه السلام، ولا أقام الله عيسى بن مريم آية للعالمين إلا بالخضوع لعلي عليه السلام، ثم قال: أجمل الأمر ما استأهل خلق من الله النظر إليه إلا بالعبودية لنا»[٢].

أيها المسلمون -وليس المقصود تتبع عقائد الرافضية- ولكن هذا بيان لمعتقدهم في الأنبياء والأولياء.. وهي من الأصول والقضايا الكبرى التي يختلف معهم فيها أهل السنة والجماعة. كما يختلفون معهم في عدد من القضايا والمتطلبات في الأصول الكبرى وليست في فروع الدين ومسائل الخلاف فحسب وليس هذا موطنها وحيثما زعم أحد من الشيعة المعاصرين اليوم إنكاره لمثل هذه المعتقدات الباطلة المنحرفة فليعلن ذلك على الملأ، وليتبرأ مما في كتب أسلافهم واللاحقين من هذه الطامات الكبرى..

---

(١) «بحار الأنوار» (٢٦/ ٢٩٧، ٢٩٨).

(٢) «الاختصاص» (٢٥٠) وانظر د. ناصر القفاري: «أصول مذهب الشيعة الاثنى عشرية» (٢/ ٦١٦).

على أن الحديث عن الأنبياء والمرسلين يستلزم الحديث عن هداهم وطرائق دعوتهم فبهداهم يقتدي، وببصيرة دعوتهم يستبين ويتبع إلا وأن من أعظم هديهم وأصول دعوتهم تحقيق التوحيد والدعوة إليه ونبذ الشرك وصرف الناس عنه.

بل إن لب دعوات الرسل عليهم الصلاة والسلام- وجوهر رسالات السماء هو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وقد عرض القرآن الكريم لدعوات الرسل مبرزًا هذه القضية العقدية بوضوح، فنوح يقول لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وإبراهيم قال لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦].

وهود وصالح قالا لقومهما: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥، ٧٣].

والرسل جميعًا أرسلوا لهذه المهمة بنص القرآن: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وهذه الغاية في العبودية والوحدانية لله هي وصية الرسل والأنبياء لمن بعدهم: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا﴾ [البقرة: ١٣٣].

إن توحيد الربوبية والاعتراف بأن الله هو الخالق هو فطرة الكائنات من بني الإنسان والحيوان والجمادات، ولا مجال لإنكار هذه القدرة الربانية فهي كفلق الصبح، وكل ما في الكون من مواد وعناصر يشهد بأن له خالقًا ومدبرًا ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾ [الروم: ٣٠] ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٤٤].

ومؤرخوا الأديان مجمعون على أنه لم تكن هناك أمة أو جماعة إنسانية ظهرت وعاشت ثم بادت دون أن تفكر في مبدأ الإنسان ومصيره، وتفكر في

تعليل ظواهر الكون وأحداثه.. ودون أن تأخذ لنفسها رأيًا في ذلك لتفهم به القوة التي يخضع لها الكون ويعود إليها كل شيء[١].

أيها المؤمنون وفي سبيل تقرير التوحيد وتأكيد الربوبية لله رب العالمين أفصح الأنبياء والمرسلون عن بشريتهم ومحدودية علمهم - فيما لا يعلمه ولا يقدر عليه إلا الله فأولهم (نوح) يقول لقومه: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٣١].

وخاتمهم (محمد) يقول لقومه: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٠].

ومن ادعى في الأنبياء أو الأولياء أو الأئمة أنهم يعلمون الغيب، أو يكشفون الغم، أو يفرجون الكربات أو يغيثون المضطر.. فقد أشرك مع الله غيرهم ونسب للخلق ما يتبرأ منه الأنبياء، وغيرهم من باب أولى.. صفاء المعتقد، وتوحيد الخالق، وبشرية المخلوقين حتى وإن كانوا أئمة مرسلين هو وحي القرآن، ومنهج المرسلين، ومن ابتغى الهدى من غيرهما أضله الله..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ۝٩٠ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩٠، ٩١].

اللهم انفعنا بهدي القرآن ووفقنا لاقتفاء هدي المرسلين.

❁ ❁ ❁

---

(١) «منهج الدعوة في البناء الاجتماعي» محمد الأنصاري (٣٦، ٣٧).

الخطبة الثانية:

الحمد لله له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله اللهم صل وسلم عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين.

إخوة الإسلام في دعوة المرسلين ملامح أخرى -غير التوحيد- فدعوتهم على هدى وبصيرة ويقين وبرهان - وليست تخبطًا أو جهلًا أو هوى أو تشكيكًا وكذلك ينبغي أن يدعو أتباعهم ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وهي دعوة وتحمل في كل الأحوال والظروف، قام بها المرسلون في أحوال الضراء كما قاموا بها في حال السراء، وأدوها وهم مستضعفون يطاردون، كما التزموا بها وهم أقوياء آمنون لم تمنعهم غياهب السجون من الدعوة إلى الله: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

ولم يفت في عضدهم أن يدعو إلى الله وهم يحاصرون في الشعاب والأودية، ويمنعون أو تشوه دعوتهم لدى الوفود القادمة إلى مكة.

لم تسلم دعوتهم من الأذى والتكذيب، لكنهم عالجوا ذلك بالصبر واليقين ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

وسخر بهم وبدعوتهم ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨]. وكما سخروا بمن سخر بهم، فقد سخر الله بمن لمزهم ولهم عذاب أليم.

ولم يكن للبأس سبيل إلى قلوبهم - وإن قل العدد أو عدم النصير ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ

نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦].

وجاء النصر بعد الصبر والثبات والتمحيص ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠].

ورغم العناد والاستكبار والسخرية والأذى فقد كان الرفق في الدعوة والحرص على هداية المدعوين معلمًا بارزًا في هدي المرسلين ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤] ومع الرفق واللين قوة في الحق ورد على المبطلين ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢].

إخوة الإسلام ولقد كان من مهام المرسلين ومن أساليب دعوتهم معالجة التبعية البلهاء، ومقاومة الاتباع للآباء والأجداد الضالين، وتجاوز الأعراف والتقاليد الجاهلية التي لم ينزل الله بها من سلطان ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣، ٢٤].

ولم يغفل الأنبياء والمرسلون عن إصلاح أمور الناس الدنيوية -فضلًا عن عنايتهم في الأمور الأخروية- فقد ساهموا في بناء الاقتصاد وتحسين مستوى المعيشة للناس ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [يوسف: ٤٧].

واعتنوا بأمور الناس الاجتماعية والأخلاقية وحذروا من الفساد بكل صوره وأشكاله ﴿وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ [هود: ٨٤]، ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠] كما حذروا أقوامهم من مصائر الغابرين المهلكين ودعوهم إلى التوبة والاستغفار ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ

شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾ [هود: ٨٩، ٩٠].

تلكم ملامح من هدي المرسلين، وطرائق وأساليب دعوتهم ومن رام المزيد فليقرأ كتاب الله، ويتصفح سير المرسلين ونحن مأمورون بالاقتداء بهم «فبهداهم اقتده» ومطالبون بالتأسي بهم ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٢١].

اللهم ارزقنا البصيرة في ديننا، والاقتداء بسنن المرسلين، اللهم احشرنا معهم وأنلنا شفاعتهم، وأوردنا حوض نبينا، ولا تجعلنا ممن يزادون عنه بسوء أعمالنا.



أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وما وراء الحملة؟[1]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره . . .

صحابة رسول الله ﷺ نجوم الأرض كما الكواكب نجوم في السماء، رضي الله عنهم وأرضاهم وليس فوق تزكية الله لهم تزكية وليس فوق الجنة منزلة وقد أعدت لهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فما انقطع الوحي من السماء حتى تاب الله عليهم وأكرمهم وخلد ذكرهم وشاع الثناء عليهم في الخافقين وليس لأحد أن يغمزهم أو يتقصدهم لسوء والله يقول: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

وأكد الحبيب الذي لا ينطق عن الهوى خيريتهم وفضلهم على القرون فقال: «**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم. .**» الحديث متفق على صحته، ونهى عن سبهم وأذيتهم فقال: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»[2].

أيها المسلمون عقيدة أهل السنة والجماعة في محبة الصحابة وتقديرهم

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في ١٥/ ١٠/ ١٤٣١هـ.

(٢) رواه البخاري.

والدفاع عنهم رسم معالمها القرآن الكريم، وأعظم شاهد عليها محمد عليه الصلاة والسلام، ومن حاد عن كلام الله وكلام رسوله ﷺ فسحقًا له وتبًا، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون.

كما أن عدالة الصحابة رضوان الله عليهم -عند أهل السنة والجماعة- من مسائل العقيدة، القطعية ومما هو معلوم من الدين بالضرورة، وليس يطعن فيهم إلا من في قلبه غل، أو في معتقده خلل.

وأمهات المؤمنين هنَّ الطاهرات المطهرات، اختارهن الله ليكن أزواج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، وحكم وهو أصدق الحاكمين ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [النور: ٢٦]. وبنص القرآن واذهب الله عن أهل البيت الرجز وطهرهم تطهيرًا، وتليت في بيوت نساء النبي آيات الله والحكمة.. فهل بعد هذا الثناء والتزكية مدخل أو طريق للفتنة؟

وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في طليعة النساء وأفضل وأحب نسائه إليه عليه الصلاة والسلام.

ففي صحيح البخاري وغيره قال ﷺ: «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»[1].

الصديقة بنت الصديق بعث لها السلام من السماء، وبلغها رسول الله ﷺ سلام شديد القوى (جبريل عليه السلام) ففي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال لها يومًا: يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام، فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى، تريد رسول الله ﷺ» [ح ٣٧٦٩].

(١) ح٣٧٧٠، «الفتح» (٧/١٠٦).

أجل لقد تأثر رسول الله ﷺ حين طلبت أمهات المؤمنين ومتحدثتهن أم سلمة أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث كان ولا يتحروا بهداياهم يوم عائشة، فأعرض رسول الله ﷺ عن الطلب، حتى إذا أكثرت عليه أم سلمة قال لها يا أم سلمة: **«لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها»**[١].

قال ابن حجر: وفي هذا الحديث منقبة عظيمة لعائشة[٢].

وإذا اعتبر رسول الله ﷺ هذا الطلب البسيط أذى فكيف بمن يؤذي عائشة ومن ورائها رسول الله ﷺ بما هو أعظم من هذا؟ وإذا تابت أم سلمة -كما في الرواية الأخرى- أنها قالت: أتوب إلى الله تعالى (البخاري/الهبة، الفتح ٧/١٠٨) أفلا يتوب إلى الله كل من ذل لسانه أو خط قلمه إثمًا وبهتانًا على عائشة[٣].

إن الأذية لأحد من أزواجه ﷺ أو أهل بيته المؤمنين أو صحابته أجمعين أذية لرسول الله ﷺ ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

ترجم الإمام الذهبي رحمه الله لعائشة رضي الله عنها في أعلام النبلاء وأطال وأثنى، معتمدًا على أحاديث المصطفى وتزكيات العلماء، ومما ساق حديث البخاري ومسلم في سؤال عمرو بن العاص رضي الله عنه للنبي ﷺ حيث قال: أي الناس أحب إليك

---

(١) رواه البخاري (ح٣٧٧٥).

(٢) «الفتح» (٧/١٠٨).

(٣) وحيث كفت أم سلمة عن عائشة حيث قالت: (أعوذ بالله أن أسوك في عائشة) كما في رواية النسائي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي في «المستدرك» (٤/٩، ١٠)، و«السير» (٢/١٩٩) أفلا يكف عن البهتان من تقصد أم المؤمنين؟

يا رسول الله؟ قال: **عائشة**، قال فمن الرجال؟ قال: **أبوها**(١).

ثم علق الذهبي: هذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض وما كان عليه السلام ليحب إلا طيبًا.. فأحب أفضل رجل من أمته وأفضل امرأة من أمته، فمن أبغض حبيبي رسول الله ﷺ فهو حري أن يكون بغيضًا إلى الله ورسوله(٢).

وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لا غرو أن تكون محل الثناء والحب والتقدير من لدن الأكابر من صحابة رسول الله ﷺ، وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يزيد في عطاء عائشة عن أمهات المؤمنين حيث فرض لهن عشرة آلاف، وزاد عائشة ألفين وقال: إنها حبيبة رسول الله ﷺ(٣).

وأبو موسى رضي الله عنه يقول: ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها علمًا(٤).

وبرغم أنوف الروافض فعلي رضي الله عنه ومع ما وقع بينهما يثني على عائشة ويقول: إنها خليلة رسول الله ﷺ(٥).

ويستمر ثناء الصحابة -وهم خير الشهود- على عائشة حتى فارقت الدنيا، وهذا ابن عباس يستأذن عليها في مرض وفاتها، فتقول: لا حاجة لي به ولا بتزكيته فيقال لها إنه من صالح بنيك يودعك ويسلم فلما أذنت له وقعد قال: أبشري، فوالله ما بينك وبين أن تفارقي كل نصب، وتلقي محمدًا والأحبة إلا أن تفارق روحك جسدك، قالت: إيهًا يا ابن عباس! قال: كنت أحب نسائه إليه، ولم يكن يحب إلا طيبًا، سقطت قلادتك ليلة الأبواء وأصبح رسول الله ﷺ

---

(١) البخاري (٧/ ١٨ ح٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٤٢).

(٣) «الطبقات» لابن سعد (٨/ ٦٧).

(٤) «الإصابة» (١٣/ ٤٠).

(٥) حسنه الذهبي في «السير» (٢/ ١٧٧).

ليلقطها، فأصبح الناس ليس معهم ماء فأنزل الله ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: ٦] فكان ذلك من سببك وما أنزل الله بهذه الأمة من الرخصة، ثم أنزل الله تعالى براءتك من فوق سبع سموات فأصبح ليس مسجد من مساجد يذكر فيها الله إلا براءتك تتلى فيه آناء الليل والنهار، قالت: دعني عنك يا ابن عباس، فوالله لوددت أني كنت نسيًا منسيًا[١].

وكذلك سار قطار التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى تقدير أم المؤمنين عائشة والثناء عليها وهذا (مسروق) رحمه الله كان إذا حدث عن عائشة رضي الله عنها قال: حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله، المبرأة من فوق سبع سموات[٢].

فاقت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها غيرها في علم الدين والدنيا، وهذا عروة بن الزبير رحمه الله كان يقول لعائشة: يا أمتاه، لا أعجب من فقهك، أقول: زوجة نبي الله وابنة أبي بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس أقول: ابنة أبي بكر وكان أعلم الناس، ولكن أعجب من علمك بالطب كيف هو ومن أين هو، وما هو؟ قال فضربت على منكبه وقالت: أي عرية أن رسول الله ﷺ كان يسقم عندي آخر عمره وكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الأنعات، وكنت أعالجها له، فمن ثم[٣].

وبلغ إعجاب الذهبي بعلم عائشة حدًا قال معه: ولا أعلم في أمة محمد ﷺ، بل ولا في النساء مطلقًا امرأة أعلم منها[٤].

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها جمعت خلالًا أخرى واختصت بمزايا قالت عنها:

---

(١) (أخرجه أحمد بسند صحيح، وصححه الحاكم والذهبي، «السير» (٢/ ١٨٠) ص٧.

(٢) «الحلية» (٢/ ٤٤)، و«السير» (٢/ ١٨١).

(٣) «السير» (٢/ ١٨٢).

(٤) «السير» (٢/ ١٤٠).

توفي رسول الله ﷺ في بيتي، وفي يومي وليلتي، وبين سحري ونحري، ودخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك رطب، فنظر إليه حتى ظننت أنه يريده فأخذته فمضغته ونفضته وطيبته ثم دفعته إليه فاستن به كأحسن ما رأيته مستنًا قط، ثم ذهب ليرفعه إلي فسقطت يده فأخذت أدعو له بدعاء كان يدعو به له جبريل.. حتى رفع بصره إلى السماء وقال: الرفيق الأعلى، وفاضت نفسه، فالحمد لله الذي جمع بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا(١).

ما أحب عائشة إلا مؤمن وما أبغضها إلا منافق، ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [النور: ٢٦]. اللهم أنا نشهدك على محبة عائشة ومحبة حبيبها محمد ﷺ وأبيها أبي بكر.. اللهم فاحشرنا معهم، وافضح من نالهم بسوء..



(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤٨)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي في «المستدرك» (٤/ ٧). و«السير» (٢/ ١٨٩).

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للتقوى وللمتقين ولا عدوان إلا على الظلم والظالمين.

أما بعد:

فأمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها شمسٌ لا يمكن حجب نورها.. إنها في كل بيت وعلى كل لسان، وفي كل عصر ومصر لا يكاد يخلوا منها كتاب، ولا يكاد تخطئ فضائلها عين أو تغيب مناقبها عن السمع، هي ملئ السمع والبصر، وحمقى أولئك الذين يشغبون عليها، أو يظنون أنهم يحجبون شيئًا من أنوارها.

وبعد -إخوة الإسلام- ففي سورة النور نور وفرقان وبلاء وبهتان، صال المنافقون وأرجفوا واتهموا بيت النبوة -وراموا النيل من الإسلام وأهله- حتى إذا زلزل أهل الإيمان كشف الله الغمة، وفضح أهل النفاق والظغينة، ومع عظم البلاء نزلت البراءة من السماء فكانت بيانًا وتزكية للصديقة عائشة إلى يوم الدين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].

ولقد وقف المفسرون عند آيات الإفك وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، فقال ابن كثير: هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الغافلات، خرج مخرج الغالب المؤمنات، فأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة، ولا سيما التي كانت سبب النزول، وهي عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما، وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية فإنه كافر لأنه معاند للقرآن[١].

(١) «تفسير ابن كثير» عند آية النور (٢٣)، (٣/ ٤٥٦).

وقبله قال القرطبي عند قوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٧]. (فكل من سبها بما برأه الله منه مكذِّب لله، ومن كذَّب الله فهو كافر)[١].

كما نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله -في الصارم المسلول على شاتم الرسول- عن القاضي أبي يعلى رحمهما الله قوله: من قذف عائشة بما برأها الله منه كفر بلا خلاف (ص٥٧١) عن ما يجب أن يعرفه المسلم عن عقيدة الروافض[٢].

إخوة الإيمان لن يضير أم المؤمنين إرجاف المرجفين وقد تولى الله بنفسه الدفاع عنها وتبرئتها بل كلما زاد الإرجاف والبلبلة والتهم الباطلة زاد معه الحب لعائشة، وعلم الناس من فضائلها ومقامها ما جهلوا.. ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يفقهون، إنها لا تحتاج إلى دفاع أحد بعد دفاع الله عنها، ولن يضرها شماتة المرجفين وبغض الحاقدين وقد أحبها خيرة خلق الله أجمعين.

ولكن السؤال المهم: ماذا وراء الإرجاف والبلبلة في صديقة الأمة؟ ولئن استهدفت عائشة رضي الله عنها ظاهرًا فوراء الأكمة ما وراءها، والمشروع المتآمر بتجاوز عائشة إلى استهداف رموز الإسلام وحملة القرآن والسنة (والخيران) أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وغيرهم ليسوا بمعزل عن تهم من الأخلاق لهم، وإنه لمن العيب والعار أن تنسب مصنفات لأهل الإسلام جاء فيها كما يقول المجلس: «ومما عد من ضروريات دين الإمامية استحلال المتعة، وحج التمتع، والبراءة من

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٢/٢٠٦).

(٢) أحمد الحمدان (٨٢).

أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية»[١].

بل يتجاوز الطعن إلى شخص الرسول ﷺ حيث اتهم بيته ورميت بالفاحشة حبيبته، بل يتجاوز الطعن من شخصه إلى سنته حيث روت عائشة رضي الله عنها طائفة كبرى من سنته، وقد بلغ ما أسندته ألفين ومائتين وعشرة أحاديث[٢] بل يروم المغرضون والطاعنون في أم المؤمنين التشكيك في أحكام الدين، وقد قيل إن ربع أحكام الشريعة منقول عن عائشة رضي الله عنها[٣] ويرومون التشكيك في القرآن وتكذيب آياته، ويبلغ التطاول مداه حين يكون على رب العالمين حيث يعترض على تبرئته لها من فوق سبع سموات.. فماذا بقي؟ وأي إسلام هذا؟

إن القضية التي يدور رحى فتنتها هذه الأيام، ليست وليدة اليوم، وليست مجرد نزوة فردية.. بل هي عقيدة راسخة، وتراث تتجدد طبعاته وهو يفيض بالطعن والسب لا لعائشة بل لجمهور الصحابة.. وخليق بأصحاب هذا المذهب أن يعلنوا براءتهم منه أن كانوا رافضين لسب أم المؤمنين عائشة.. إننا نقبل من الشيعة أن يستنكروا الطعن في أم المؤمنين عائشة، لكنا لا نقبل أن تظل مصنفاتهم ومصنفات مشايخهم لها طافحة بالسب والتهم لخيار الصحابة، ولا أن تظل مواقعهم وقنواتهم مليئة بالسخرية والسب لخيار الأمة ولسنا أغبياء بدرجة كافية. إنها ثقافة متجددة، ودول تخدم المذهب وتسيس الدين وتصدر الثورة وتشعل الفتنة، وعلى المسلمين كافة أن يتنبهوا للخطر وحجم المنكر، ولا يجوز بحال وفي زمان اصطفاف المسلمين في مواجهة التحريف والتشويه

(١) «الاعتقادات للمجلس» (ص٩٠، ٩١) عن أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية د. ناصر القفاري (٢/ ٧٢٩، ٧٣٠).

(٢) الذهبي: «السير» (٢/ ١٣٩).

(٣) «الفتح» (٧/ ١٠٧)

والسخرية بالإسلام ونبيه، والتهديد بإحراق القرآن واتهام أهله- أن تزيد طوائف تنسب إلى الإسلام وأهله الطين بلة، وتوسع دائرة التهم والسخرية والبلبلة والفتنة، وعلى كل من سعى بالفتنة وفرق الصف من الله من يستحق، والمكر السيء لا يحيق إلا بأهله، وما تعرض أحد لأهل الإسلام الكبار بسوء إلا خذله الله في قديم الزمان وحديثه أما أم المؤمنين فستظل منارة يقتبس منها أهل الإسلام، وستظل شهابًا محرقة لأهل الزيغ والزندقة والفساد والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون..

ولم يكن الشعر والشعراء بمعزل عن مشهد عائشة والثناء عليها والدفاع عنها، ولاسيما ممن أيده الله بروح القدس، فحسان بن ثابت رضي الله عنه يقول في عائشة -كما رواه ابن إسحاق-:

رأيتك -وليغفر لك الله- حرة	من المحصنات غير ذات غوائل
حصان رزان ما تزن بريبة	وتصبح غرثي[1] من لحوم الغوافل
عقيلة حي من لؤي بن غالب	كرام المساعي مجدهم غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها[2]	وطهرها الله من كل سوء وباطل
فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتوا	فلا رفعت سوطي إلي أناملي
وكيف وودي ما حببت ونصرتي	لآل رسول الله زين المحافل
فإن الذي قد قيل ليس بلائط[3]	ولكنه قول امرئ متماحل[4]

(١) جائعه أي كافه عن أعراض الناس. (٢) طبعها وأصلها.
(٣) لازق أو لائق.
(٤) «السيرة» لابن هشام (٣/ ٣٢٤)، «السير» للذهبي (٢/ ١٦٣)، و«الاستيعاب» لابن عبد البر (١٣/ ٩٠).

وحينما قيل لعائشة أن حسانًا شارك في حديث الإفك اعتذرت عنه وقالت أليس هو الذي يقول:

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وفاء(١)

ومما ينبغي أن يعلم أن الحملة المرجفة وتهم عائشة بالفاحشة ليست الأولى من نوعها، فقد سبقها بالتهمة طاهرون وطاهرات، فيوسف عليه السلام قيل عنه ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٥] ومريم قال لها قومها: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٧، ٢٨].

قال القرطبي: قال بعض أهل التحقيق: إن يوسف عليه السلام لما رمي بالفاحشة برأه الله على لسان صبي في المهد، وأن مريم لما رميت بالفاحشة برأها الله على لسان ابنها عيسى صلوات الله عليه، وإن عائشة لما رميت بالفاحشة برأها الله تعالى بالقرآن، فما رضي لها ببراءة صبي ولا نبي برأها الله بكلامه من القذف والبهتان(٢).



(١) «الاستيعاب» (١٣/ ٩٢).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٢/ ٢١٢).

أقسام الناس مع المنكرات .. والأندية النسائية[١]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره . . .

إخوة الإسلام والمتأمل في سنن الله في الكون، وفي أحوال البلاد والعباد ينتهي نظره إلى وجود الأخيار والأشرار قديمًا وحديثًا، وثمة أبرار وفجار، وسابقون إلى الخيرات بإذن ربهم، وظالمون لأنفسهم بتقحم المعاصي والسيئات، وحيثما وجد الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فثمة من يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، ومع الصالحين مفسدون في الأرض، وكذلك يوجد الخبيث والطيب.

ومن سنن الله في القديم والحديث وجود الهدى والضلال، والصلاح والفساد، والحق والباطل، والاستقامة والانحراف.. ولكن ومهما اختلت الموازين في تقييم الأشياء والأشخاص فيبقى ميزان الحق تعالى عدلًا، وحكم الله صدقًا فلا يستوي الخبيث والطيب -ولو أعجبك كثرة الخبيث- ولا يستوي المؤمنون والفساق ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨] كما لا يستوي المتقين والفجار ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨] و﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ﴾ [الحشر: ٢٠] وإذا كانوا لا يتساوون في الآخرة فهم كذلك في الدنيا ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١] وكما أنه لا يجتنى من الشوك العنب كذلك لا ينال الفجار منازل الأبرار[٢].

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في ٥/ ٦/ ١٤٣٠هـ. (٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤١).

ومن سنن الله في خلقه- قديمًا وحديثًا- تدافع الحق والباطل ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [الحج: ٤٠] وتمييز الخبيث من الطيب، ونجاه المصلحين وهلاك الظالمين ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

وعلى مدى تاريخ الأمم وأحوال القرون رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون وبهم وبسببهم يحل العذاب ويكون الهلاك، وآخرون ينهون عن الفساد في الأرض وبسببهم تكون النجاة والفلاح ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود ١١٦، ١١٧].

أيها الإخوة المؤمنون.. حين يشيع المنكر ويكثر المبطلون، ويحاول أهل الريب والفساد خرق السفينة، فالناس ينقسمون أقسامًا تجاه المنكر والمروجين له.

فمنهم بارد المشاعر، متبلد الإحساس، لا يعنيه الأمر من قريب أو بعيد -جهلًا أو تجاهلًا- لا يتمعر وجهه للمنكر وأنى له أن يحرك ساكنًا لتغييره، ولا يشعر بخطر المروجين للمنكرات وأنى له أن يبغضهم أو يناصحهم.. أولئك مرضى القلوب، وأموات الأحياء.. وأولئك الذين عناهم ابن القيم بقوله: وقد غر إبليس أكثر الخلق بأن حسن لهم القيام بنوع من الذكر والقراءة والصلاة والصيام والزهد في الدنيا، والانقطاع، وعطلوا هذه العبوديات فلم يحدثوا قلوبهم بالقيام بها (يعني نشر السنن والأمر بالمعروف، وإقامة الحق، والنهي عن المنكر على القادرين عليه) وهؤلاء عند ورثة الأنبياء من أقل الناس دينًا، فإن الدين هو القيام لله بما أمر به، فتارك حقوق الله التي تجب عليه أسوأ حالًا عند

الله ورسوله من مرتكب المعاصي، فإن ترك الأمر أعظم من ارتكاب النهي.. ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله ﷺ وبما كان عليه هو وأصحابه رأى أن أكثر من يشار إليهم بالدين هم أقل الناس دينًا والله المستعان، وأي دين وأي خير في من يرى محارم الله تنتهك، وحدوده تضاع، ودينه يترك وسنة رسوله ﷺ يرغب عنها وهو بارد القلب، ساكت اللسان؟ شيطان أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا أسلمت لهم مآكلهم ورئاستهم فلا مبالاة بما جرى على الدين؟ وخيارهم المتحزن المتملظ، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذل وجد واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار.. وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم قد بلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب، فإن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ولرسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل[(١)].

القسم الثاني: قوم تتفطر أكبادهم للمنكرات تقع، ويتحسرون على الدين حين تنتهك حرماته.. لكنهم يقفون عند هذه الحدود من المشاعر المستنكرة والعواطف الملتهبة، وعسى الله أن يجزي هؤلاء على غيرتهم وكرههم للمنكر وأهله إن كانوا لا يستطيعون غير ذلك ومن أنكر بقلبه فهو منكر وإن كانوا قادرين على أكثر من هذا فعسى الله أن يهديهم ويسددهم لتغيير المنكر وإشاعة المعروف بأيديهم أو ألسنتهم.

القسم الثالث.. قوم لا يكتفون بالمشاعر المستنكرة ولا يقفون عند حدود العواطف، بل يفكرون ويقدرون ثم يسارعون لمقاومة المنكر، ولا يكتفون بإنكار المنكر بل ويأمرون بالأمر بالمعروف وإشاعة الخير، والدعوة للهدى عبر

---

(١) «أعلام الموقعين» (٢/ ١٧٦، ١٧٧).

عدد من الوسائل والآليات وبالحكمة والموعظة الحسنة، ويجاهدون في سبيل ذلك ويصبرون ويصابرون ويرابطون ويتقون- وأولئك هم المفلحون- وأولئك أشد على الشيطان وحزبه من غيرهم وإن لم يكونوا أكثر من غيرهم صلاة وصيامًا وذكرًا.

إخوة الإيمان: إننا محتاجون للاستنفار بنصر الدين في كل حين، ولكن حاجتنا إلى ذلك في زمن الإحباط واليأس أشد، ومحتاجون للفأل في كل حال ولكن حاجتنا إليه في زمن التشاؤم أعظم.. إن استبشار المسلم بنصر الله رغم ما يبصره من منغصات ورغم ما يشاهده من منكرات.. فهو يستبشر بنصر الله وفي الوقت نفسه يجاهد لإعلاء كلمة الله.. إن أمله ليس فارغًا لكنه مصحوب بالعمل، وحزنه على المنكر يتجاوز التلاوم على التعاون، والتحسر والقعود إلى فعل الأسباب والمدافعة المشروعة إن نفرًا من أهل الغيرة ربما بالغوا في التشاؤم فأحبطوا غيرهم- وهذا حين يوجد انتصار للمنكر وأهله- ولو أن كل المسلمين فعلوا ما يوعظون به لكان خيرًا لهم وأشد تثبيتًا..

إن مواجهة الانحراف لا يجدي فيها سلاح النقد والتهويش فحسب، ولا يظن المسلم القادر أنه يكفيه أن يعلن رفضه للمنكر وبغض للمفسدين، بل الأمر يتطلب جدًا ومجاهدة وتفكيرًا في أساليب دفع المنكر وأساليب أخرى للإصلاح وإقامة المعروف.. ولا تتوقف الدعوة حين ثبط المخذلون أو لا يستجيب المبطلون فالبلاغ مهمة الرسل وهي مسئولية أتباعهم من بعدهم وينبغي أن يكون شعار الدعاة والمحتسبين ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ [هود: ٨٨] ومعه شعار آخر ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

إن من المؤسف أن يكون أهل الباطل أصحاب نفس طويل لإقرار المنكر

وإشاعة الفساد، وأصحاب خطط واستراتيجيات واجتماعات ومشاورات، وصبر على طول الطريق وإقرار ما يصادم الفطرة وتنكره العقول السليمة.. في حين يكون نفر من أصحاب الخير والدعوة والحسبة أقصر نفسًا أو أقل تخطيطًا.. أو أزهد في اللقاءات والمشاورات ورسم الخطط واقتراح البرامج (وعلى المدى القريب والبعيد).

ومن قرأ في سير الأنبياء والمصلحين سره ما يطالعه في سيرهم من صبر ومصابرة، ومجاهدة للمنكر وتأسيس للمعروف، وأساليب متنوعة للدعوة.. قد تستغرق عشرات السنين وربما بلغت المئتين من السنين (ومن أول المرسلين إلى خاتمهم) عبرة في الأمر والنهي والدعوة والبلاغ والصبر والجهاد.. وأولئك بهداهم نقتدي وبسيرهم يطيب المسير.. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠] نفعني الله وإياكم بهدي الكتاب والسنة، وشرفنا ربنا بالأمر والنهي والدعوة.



الخطبة الثانية:

أيها المؤمنون: دعونا نأخذ مثالًا صارخًا في المنكر يتصل بالمرأة ويتعلق بالحجاب والسفور والاختلاط والتبرج، ومحاربة الفضيلة والدعوة للرذيلة، والأخطر حين يراد تعميم المنكر وإقراره عبر وسائل الإعلام وبرامج التعليم، ويراد فرضه بالقوة ومن قبل حفنة قليلة في المجتمع لا تمثل المجتمع بشكل عام ولا تعبر عن المرأة ورؤيتها وحشمتها وحيائها في بلادنا(١).

وهنا يشكر المنكرون للمنكر، والمدافعون عن قيم الحياء والحشمة والعفة من الرجال والنساء ولكن الأمر فوق هذا يستدعي استبصارًا في الرؤية وعمقًا في الإستراتيجية، فلا يكتفي بردود الأفعال بل لا بد من أعمال بنائية للمرأة تتجه للموجود منها بالدعم والتطوير وسواء في ذلك ما تتبناه الجهات الرسمية في الدعوة لتوعية المرأة وطرح المشاريع والمبادرات الخيرة بما ينفعها ويحفظ مجتمعها من الانحلال والفساد.. أو الجهات الخيرية لإقامة الدور والمدارس النسائية لتحفيظ القرآن الكريم، أو المناشط الأسرية التي تعني بها البيوت لإصلاح بناتهم وحمايتهن من المخاطر، أو البرامج الإعلامية التي تتجه إلى بناء الشخصية السوية للمرأة.. أو نحوها من مراكز ومؤسسات تعني بشئون المرأة وإصلاحها، وتبصر بالمخاطر التي تراد لها، والمخططات العالمية والمحلية تجاهها.

وفوق الموجود ينبغي أن يفكر الخيرون بمبادرات وبرامج نافعة للمرأة.. تسير باتجاه تعبيدها لله، وتتفق مع نصوص الشرع تجاه إكرام المرأة وتذكيرها بواجباتها ومسئولياتها.

---

(١) لقد رأيت ورأيتم عددًا من الصور النسائية الفاضحة الغريبة في بلادنا ومجتمعنا، والخارجة عن سياساتنا في الإعلام.. وليست ضمن برامجنا في التعليم، ولا هي من عادتنا وتقاليدنا الحميدة.

ولئن كانت المرأة تعذر -فيما مضى- عن المشاركة في اقتراح هذه البرامج وصياغتها، فهي اليوم أكثر وعيًا وأعمق فكرًا.. في مجتمعنا عدد من الأكاديميات المتميزات، ولدينا عدد من الكاتبات القديرات، وفي بلادنا بحمد الله عدد من المربيات الفاضلات، والداعيات والمحتسبات ولذا يتحتم اليوم على المرأة المشاركة الفاعلة ليس فقط ضد الحملات التغريبية[١].

وفي حديث آخر عن سبيعة الأسلمية قالت: دخل على عائشة نسوة من أهل الشام فقالت عائشة ممن أنتن؟ فقلن من أهل حمص، فقالت: صواحب الحمامات؟ فقلن نعم، ثم قالت عائشة رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الحمام حرام على نساء أمتي..**»[٢].

وأيًا ما كان سباق عائشة للنبي ﷺ إن في سياق الجهاد حيث أخرجه أبو داود باب في السبق على الرحل، أو في عشرة النساء كما أخرجه النسائي.. فهو شيء وما يراد من رياضة النساء في هذه الأيام شيء آخر.

كما أن الاستدلال بركوب عائشة للجمل شيء والدعوة لقيادة المرأة للسيارة شيء آخر في الهيئة والهدف.. والله المستعان.

وفوق هذا وذاك فلا ينبغي إشغال المرأة بهذه القضايا الهامشية للمرأة.. وهل انتهت قضايا المرأة وهمومها، وحقوقها وواجباتها فلم يبق إلا حديثًا عن الرياضة والقيادة؟ إن في ذلك ابتذالًا لوظيفة المرأة وتهشيمًا لدورها في المجتمع وإشغالًا للأمة عن قضايا مصيرية تراد لها..

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٨٨).

(٢) الحديث رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي «المستدرك» (٤/ ٢٩٠).

المال وغوائل الربا و(السندات المالية)[1]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا. . . يقال أن المال عصب الحياة، ومن المؤكد أنه سبب لليسر والتقوى، وسبيل للبخل والعسرى، ومن الاقتصاد ما هو سبيل للبر والنماء، ومنه ما هو متخبط في الإثم والربا.

وحين نطل إطلالة تذكر واعتبار على النظم الاقتصادية المعاصرة في الحاضر أو في عقود قريبة مضت نرى أنها تكاد تنحصر في ثلاثة نظم:

١) النظام الشيوعي البائد، وهو قائم على سحق الفرد وإسقاط الملكية وإعلان الاشتراكية -وهو وإن زعم العدل والمساواة- فقد أفلس في تحقيقها واغتصب الحقوق وسلب الحريات، وانتهى بإعلان زعمائه الفشل أمام العالم، وسقطت الشيوعية برمتها وسقط معها النظام الاقتصادي الاشتراكي غير مأسوف عليه.

وفي مقابل هذا النظام:

٢) نظام رأسمالي إقطاعي احتكاري، تسحق فيه المجموعات على حساب تورم الأفراد، ويفتقر الملايين من البشر على حساب ثراء أفراد معينين إنه يخلق مجتمعات التفاوت الاقتصادي ويقل فيه الإنصاف الاجتماعي، كما اعترف بذلك أحد الغربيين. وكلما طغت الرأسمالية في بلد كلما ارتفع معدل الفقر في شعبها، وهل تعلم أن اليابان- مثلًا- تحتل المرتبة الثانية بعد معدلات الفقر في

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في ١٧/ ٧/ ١٤٣٠ هـ.

الولايات المتحدة الأمريكية؟ كما تشير الدراسات إلى ذلك (د. محمد السلومي: نقائص الرأسمالية، ودور القطاع الثالث) هذا النظام الرأسمالي العابر للقارات والمسيطر على عدد من الشركات، والمتبجح بسيطرته على أسواق المال من الجانب الاقتصادي، والمهيمن سياسيًا على رقعة واسعة في العالم، لم يكن قادرًا على تحقيق السعادة للبشر، بل ولا مساهمًا في حل المعضلات والمشكلات التي يعاني منها الضعفاء.. حيث تشير لغة الأرقام إلى أن مليارًا من البشر- اليوم- يعيشون بمعدل يقل عن دولار واحد في اليوم، ويفتقر قرابة مليار آخر إلى المياه النظيفة، ويعاني **٨٢٦** مليون من سوء التغذية، ويموت عشرة ملايين إنسان في كل سنة جراء نقص الرعاية الصحية الضرورية. (د. محمد السلومي: نقائص الرأسمالية..) فماذا صنع لهم هنا النظام الرأسمالي؟

بل لقد ساهم هذا النظام النكد في حرق الأرض ببناها الفوقية والتحتية، ولم يكن البشر بمعزل عن هذه الحرائق- لاسيما الأطفال والنساء- حيث أبيدوا بصور جماعية وبأشكال موحشة.

وأخيرًا فلم يكن هذا النظام الرأسمالي قادرًا على حماية نفسه، أو الحفاظ على مؤسساته وشركاته.. وجاءت انهيارات السابع عشر من سبتمبر **٢٠٠٨**م الضخمة لتشهد على فساد هذا النظام وتورمه وعدم مصداقيته.. وحيث ذكرت الإحصاءات- كنموذج على هذا الانهيار- أن (البورصات) العالمية فقدت أربعة (٤) تريليونات دولار في شهر سبتمبر من عام **٢٠٠٨**م، ولم يسعفها تدخل الحكومة الأمريكية بدعمها بسبعمائة مليار دولار، وشراء المصرف المنهار (أمريكان إنترناشيونال جروب).

ونعود إلى لغة الأرقام لتأكيد حجم هذا الانهيار حيث أشارت (النيوزويك

الأمريكية) أن شركة (بيرسترنز) حينما انهارت كان لديها (ثلاثون دولار) من الديون مقابل كل دولار من رأسمالها، وأن ديون الشركتين العملاقتين للرهون العقارية (فاني ماي) و(فريدي ماك) بلغت (٥,٢) تريليون دولار.. (د. محمد السلومي: نقائض الرأسمالية..).

على أن الأدهى والأمر أن هذه الانهيارات المروعة للاقتصاد الرأسمالي يعتبرها المحللون الاقتصاديون بداية الكارثة وليست النهاية..

وكان محقًّا أحد الباحثين في الاقتصاد حينما وصف واقع الاقتصاد الرأسمالي بأنه سلاح التدمير المالي الشامل (الشيخ صالح الحصين في ورقات كتبها بعنوان (الإصلاح).

إخوة الإسلام وهذه الانهيارات والأرقام الفلكية المخيفة إن فاجأت العالم فلم تكن مفاجأة لأهل الإسلام الذين يقرءون في كتاب ربهم: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

ومن هنا التفت العالم كله مسلمه وكافره، مغربه ومشرقه إلى النظام الثالث (النظام الاقتصادي الإسلامي).

وعلَت الصيحات بتطبيق المصرفية الإسلامية، وتكاثرت الطروحات المنادية بدراسة واعتماد النظام الاقتصادي الإسلامي.. ولئن لم يكن لدى المسلمين -في واقعهم المعاصر- من قوة الإعلام أو قوة الإرادة أو الإدارة ما يستثمرون به هذا الحدث، ويوظفون هذا الطلب أحسن توظيف فمما يسلي أن النظام الاقتصادي الإسلامي بنفسه قادر على المضي والتأثير. إنه نظام رباني محفوظ بحفظ هذا الدين، وهو نظام عادل تستشرفه النفوس الأبية وإن لم تكن مسلمة، وينظر إليه الغرماء والمعوزون والمنسيون -على قارعة الطريق- من ضحايا الأنظمة

البشرية الفاسدة على أنه المنقذ لهم والمسدد لحاجاتهم، والمستجيب لاستغاثتهم.

لا يلغي النظام الإسلامي الاقتصادي حقوق الفرد، لكنه يمنع تسلط الأفراد واحتكار المجموعات وينهى عن جشع الأغنياء ويجعل في أموالهم حقًا للسائل والمحروم، يحذر هذا النظام الرباني أن يكون المال دولة بين الأغنياء، كما يفرض نسبة من الزكاة تسد حاجات المحتاجين وتصرف على ثمان مصارف -هي في الجملة شاملة للحوائج وللمحتاجين.

كما يرغب الإسلام في بذل صدقات أخرى، يتعاظم أجرها ويبارك الله في أموال المتصدقين بسببها وكما يدعو الإسلام إلى الصدقات المقطوعة.. يحث كذلك على الأوقاف المنجزة في الحياة والوصايا اللاحقة بعد الممات.. ليظل عطاء المسلم متدفقًا في كل حين، وشاملًا للأفراد والمؤسسات، وكما يطعم منها البطون الجائعة.. تشفى فيها القلوب العليلة، ويعلم الجهلة يفرج بها الكربات، ويقضي نوائب الدعوة للخير ويؤسس للبر والإحسان.

إن المال -في نظر المسلم- مال الله ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور: ٣٣] والمال في نظر الإسلام (زينة) ولكن الباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابًا وخير أملًا.

إنه (محبوب) للنفوس ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠] لكنه (فتنة) ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥].

المال (حسب) كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إن أحساب أهل الدنيا الذين يذهبون إليه هذا المال**»[1].

---

(١) رواه أحمد والنسائي وغيرهما بسند حسن «صحيح الجامع الصغير» (٢/ ٤٢)، و«إرواء الغليل» (١٨٧١) ولكن (التقوى) خير وأكرم.

فقد جاء في حديث آخر «الحسب المال، والكرم التقوى»[١].

والمعنى كما قيل في شرح الحديث: الشيء الذي يكون فيه الإنسان عظيم القدر عند الناس هو المال، والذي يكون به عظيمًا عند الله هو التقوى. (الألباني في تعليقه على هذا الحديث في صحيح الجامع) وفي التنزيل «**إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم**»[٢] وكما ذم القرآن من آتاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بحملها العصبة من الرجال، فقد أثنى الله ورسوله على أصحاب المال الباذلين على الفقراء المهاجرين وعلى الذين لا يجدون ما ينفقون بكوا إذ لم يجدوا ما يحملون به أنفسهم للغزو في سبيل الله حيث نصحوا لله ولرسوله ﷺ.

وكما يسأل المرء عن ماله من أين اكتسبه، يسأل كذلك: وفيم أنفقه؟ إن الذين يتخوضون في هذا المال فلا يبالون بجمعه من أي مصدر وبأي طريقة قوم جاهلون، وإن الذين يهلكون هذا المال فيما حل أو حرم قوم يسرفون على أنفسهم مؤاخذون على تجاوزاتهم، وليس أمام المسلم خيار في جمعه كيف شاء أو في إنفاقه كيفما أنفق «**فلن تزولا قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع ومنها: عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه**»[٣].

وفيما أحل الله غنية عما حرم، وفي الكسب الحلال راحة بال، وطمأنينة قلب، وخير وبركة وفي الكسب الحرام شقاء ونكد، وهموم وغموم، ولوم وتقريع في الدنيا، ومساءلة وحساب يوم العرصات والقيامة الكبرى.

---

(١) رواه أحمد والترمذي وغيرهما بسند صحيح «صحيح الجامع» (٣/ ٩٨).

(٢) لكن إن اجتمع المال والتقى فنور على نور ونعم المال الصالح للرجل الصالح، وفضل الله يؤتيه من يشاء.

(٣) رواه الترمذي وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦/ ١٤٨).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ [النساء: ٢٩].

نفعني الله وإياكم بهديه وكتابه وسنة نبيه ﷺ أقول ما تسمعون وأستغفر الله..



الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له...

إخوة الإسلام السعيد من وعظ بغيره، والكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ومن الشقاء أن يرى الناس المثلات تحل بغيرهم، ويبصرون العقوبات تنزل عن يمينهم وشمالهم ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون.. وإذا كان عقلاء العالم يطالبون بإلغاء الربا والتخلص منه إلى غير رجعة لما ذاقوه من مره ونكده.. فمن نوازل العصر ومصائب الزمان في مجتمعنا إعلان هيئة المال إقرار السندات المالية (القائمة على الربا) وما أدراك ما هذه السندات؟ وما حكم الشرع فيها؟ إن مما تجري به معاملات بعض الناس اليوم أخذ الزيادة في المال أي نقدًا بنقد بزيادة يسمونها زورًا وبهتانًا (بالفائدة) يأخذها الدائن من المدين نظير تأجيل الدين من قرض أو ثمن مبيع أو نتيجة تفضيل أحد المبيعين على الآخر مما يجري فيه ربا الفضل كالذهب بالذهب وغيره مما فيه علة الربا، وقد تكون هذه الزيادة مشروطة، وقد تكون متعارفًا عليها كما هو واقع كثير من المعاملات البنكية وغيرها من المعاملات الربوية الشائعة، والربا الذي حرمه الله ورسوله نوعان: ربا فضل (زيادة) وربا نسأ (وهو التأجيل) ومما يجمع بين النوعين من الربا الإقراض بفائدة، وذلك بأن يقوم البنك أو غيره بإقراض عملائه قرضًا بفائدة يتفقون عليها، ويكون التسديد من العميل على دفعة أو دفعات.

وقد أجمع العلماء المعتبرون على تحريم هذا النوع من القروض وعدوه صريح الربا.

وإن من أدوات توسيع القروض بفائدة إصدار السندات، وهي وسيلة من

وسائل التمويل الربوي فإذا احتاجت جهة معينة أو شركة من الشركات إلى اقتراض ربوي، فمن طرق ذلك أن تصدر هذه الجهة سندات (دين) بقيمة عشر ريالات مثلًا للسند الواحد، ويكون له فائدة دورية، ويتحول الدين في سوق المال (تداول) إلى سلعة تباع وتشترى، وإصدار السندات بهذه الصفة وتداولها محرم بل محادة وحرب لله ورسوله.

وقد أفتت اللجنة الدائمة بأنه (لا يجوز بيع ولا شراء السندات المذكورة لأنها معاملة ربوية محرمة والربا محرم بالنص وإجماع المسلمين)[١].

وقد تكدر لسماعها في زمنه سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله حين قال: اطلعت على إعلان في صحيفة الشرق الأوسط يوم الاثنين ١٢/٨/١٤٠٩هـ وفيها إعلان عن إصدار خزينة إحدى الدول العربية سندات اقتراض بربح أحد عشر واثني عشر في المائة لسنوات مبينة في الإعلان، ولقد كدرني ذلك كثيرًا ورأيت أن من واجب النصح لله ولعباده بيان حكم هذا الاقتراض- ثم ذكر أدلة تحريم الربا من الكتاب والسنة- ثم ختم بقوله فنصيحتي للخزينة المذكورة ترك هذه المعاملة، والحذر منها لكونها معاملة ربوية، ونصيحتي لكل مسلم ألا يدخل فيها لكونها معاملة محرمة مخالفة للشرع المطهر[٢].

كما أصدر مجمع الفقه الإسلامي قرارًا بتحريم هذه السندات وجاء نص قرارهم: إن السندات التي تمثل التزامًا بدفع مبلغًا مع فائدة منسوبة إليه أو نفع بشروط محرمة شرعًا من حيث الإصدار أو الشراء أو التداول؛ لأنها قروض ربوية سواء أكانت الجهة المصدرة لها خاصة أو عامة ولا أثر لتسميتها شهادات

---

(١) رقم الفتوى ١٩٢٧٨ ج١٤ ص ٣٥٣.

(٢) المجلد ١٩ ص١٩١.

أو صكوكًا استثمارية أو ادخارية، أو تسمية الفائدة الربوية الملتزم بها ربحًا أو ريعًا أو عمولة أو عائدًا[١].

أيها المسلمون ولم يفق الناس بعد من ضربات الأسهم، والكثير من المتضررين بها عادوا يلومون أنفسهم ويتشككون في نزاهتها أو بعضها من الربا، مما سبب لهم خسارة ومحقا واعتبروا ذلك موعظة من ربهم فانتهوا وتابوا.. أفيراد لهم أن يدخلوا النفق مرة أخرى وبشكل ليس محتمل بل بصريح الربا.. إن أصحاب الربا مهددون بالنار ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٠] ومن يبارز الله بالحرب؟ وأكلة الربا إذا لم يذروه محاربون لله ولرسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩] وأصحاب الربا ملعونون على لسان رسول الله ﷺ يستوي في ذلك الآكل والمؤكل والكاتب والشهود ففي الحديث الصحيح: لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه وقال: هم سواء[٢].

الربا يا عباد الله مؤذن بهلاك المجتمعات والأمم وقد صح الخبر «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»[٣].

ومن يستبشع الزنا فمن باب أولى أن يستبشع الربا، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ستة وثلاثين زنية**».

---

(١) مجلة المجمع عدد ٦ ج٢ ص١٢٣٧، وعدد ٧ ص٧٣.

(٢) (رواه مسلم).

(٣) رواه الطبراني والحاكم عن ابن عباس وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٢٤٦).

بل لقد ورد في تشنيع الربا وتعظيم جرمه قوله ﷺ: «**الربا سبعون حوبًا أيسرها أن ينكح الرجل أمه**»[١].

يا أخا الإسلام وما بك حاجة إلى هذه المصائب والآثام، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟ يملأ بطنك القليل، ويشرق فمك بالكثير.. (وحين تتوكل على الله فسيرزقك كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا)[٢].

إنها مصيبة المال بل هما مصيبتان، كما قال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلها للعبد في ماله، قيل وما هما؟ قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله[٣].

يا مسلم احتط لدينك وتنبه لجمع مالك.. وإياك أن تأكل أو تطعم أهلك وذريتك الحرام أترغب أن ترد دعوتك؟ وفي الحديث أطب مطعك تستجب دعوتك.

لا يغرنك المفتونون.. ولا تكن ضحية للترويج والدعاية والإعلان.. ولا تنظر إلى الهالك كيف هلك ولكن انظر إلى الناجي كيف نجا.. لا تنطلي عليك الحيل.. ولا تغمض عينيك عن الردى.. ولا تصم سمعك عن داع الهدى.. ومن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها.. القناعة كنز لا يفنى، وليس الغنى عن كثرة العرض ولكنه غنى النفس.

جعل الله مطعمك ومشربك حلالًا وكفانا جميعًا المتشابه والحرام..

---

(١) رواه ابن ماجه بسند صحيح في «صحيح الجامع» (٣/ ١٨٦) وبأكثر من رواية.

(٢) رواه أحمد وغيره بسند صحيح في «صحيح الجامع» (٥/ ٦٠).

(٣) من خطبة الحفيل عن السندات ٣/ ٧/ ١٤٣٠ هـ.

أرض الشام وجرائم النصيرية في سوريا[1]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره . . .

الشام أرض باركها الله، فيها قبلة الأنبياء، ومسرى محمد -عليهم جميعًا أفضل السلام والسلام- ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١].

أرض الشام -وفيها بيت المقدس- أرض المحشر والمنشر، عن ميمونة بنت سعد -مولاة النبي ﷺ- قالت: قلت يا رسول الله «أفتنا في بيت المقدس، قال: **أرض المحشر والمنشر، ائتوه فصلوا فيه فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره،** قالت: أرأيت إن لم أستطع أن أتحمل إليه؟ قال: **فتهدي له زيتًا يسرج فيه فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه**» الحديث[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «مكة أم الخلق وفيها ابتدأت الرسالة المحمدية وأطبق نورها الأرض.. والإسلام في الزمان الأول ظهوره بالحجاز أعظم، ودلت الدلائل المذكورة على أن تلك النبوة بالشام والحشر إليها، فإلى بيت المقدس وما حوله يعود الخلق والأمر، وهناك يحشر الخلق، والإسلام في آخر الزمان يكون أظهر بالشام..»[3].

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في ٣/٦/١٤٣٢هـ.

(٢) رواه ابن ماجه وقال: إسناده صحيح ورجاله ثقات (١٤٠٧)، ورواه غيره كأحمد وأبي داود والطبراني وصححه الألباني «الأربعون المقدسية» (٣٨).

(٣) «الفتاوى» (٢٧/٤٣).

أيها المسلمون وقد أثنى الذي لا ينطق عن الهوى على أرض الشام فقال-كما في حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه-: «**طوبى للشام، طوبى للشام، قلت: ما بال الشام؟ قال: الملائكة باسطوا أجنحتها على الشام**»[(١)].

وفي الصحيحين من حديث معاوية رضي الله عنه ما يؤكد أن الشام مقام الطائفة المنصورة حيث قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس**» قال معاذ بن جبل «وهم أهل الشام»[(٢)].

وفي تحديد أكثر لدمشق وما حوله قال ﷺ: «**لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله، أو على أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم من خذلهم، ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة**»[(٣)].

إخوة الإسلام يطول بنا الحديث لو ذهبنا نستقصي فضائل الشام ونصرة أهلها المؤمنين فهي «**خيرة الله من أرضه**» و«**يجتبى إليها خيرته من عباده**» «**وفسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام**» «**والملائكة باسطة أجنحتها على الشام**»[(٤)].

وبرغم أن الشام لم تفتح في زمن النبوة، فقد طرقت جيوش المسلمين أرضها بأمر النبي ﷺ في (سرية مؤتة) ثم اقترب منها النبي ﷺ في «غزوة تبوك» حتى إذا

---

(١) رواه أحمد، والترمذي، والطبراني وابن حبان، والبيهقي بإسناد حسن «جامع الأصول» (٩/ ٣٥٠)، «الأربعون المقدسية» (٥٤).

(٢) البخاري (٣٦٤١، ٧٤٦٠)، ومسلم (١٩٢٣، ١٧٤)، ورواه غيرهما.

(٣) رواه أبو يعلى في «المسند»، وقال الهيثمي في «مجمعه» رجاله ثقات، ورواه غيره والحديث صحيح «الأربعون المقدسية» (٥١).

(٤) انظر في ذلك: «جامع الأصول» (٩/ ٣٥٠-٣٥٢)، «الأربعون المقدسية» (٢٩، ٣٠).

جاء عصر الراشدين فتحت الشام، وهزمت الروم وعادت أرض الشام أرضًا إسلامية يذكر فيها اسم الله، بل وتنطلق منها رايات الجهاد، في أعظم ملاحم شهدها التاريخ في زمن الأمويين، حيث انطلق المجاهدون في شرق الأرض ومغربها يفتحون البلاد، ويسلمون العباد، وكانت (دمشق) حاضرة المسلمين ومركز خلافتهم قرابة قرن من الزمان، ثم توالت الدول الإسلامية على أرض الشام، حتى حل الباطنيون (العبيديون) أرض مصر واستولوا عليها وأفسدوا أرضها وأهلها، وطال بلاد الشام فسادهم، وفي أيامهم أخذت النصارى ساحل الشام من المسلمين، وذلك لأن العبيديين كانوا يستوزرون اليهود والنصارى حتى كثرت معابدهم- لاسيما الكنائس- الأمر الذي جرأهم على غزو بلاد المسلمين، وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أن حكم هؤلاء العبيديين (نحو مائتي سنة) كان على غير شريعة الإسلام وهم رافضة في الظاهر، ولكنهم في الباطن إسماعيلية ونصيرية وقرامطة باطنية[١].

وما زال المسلمون يعظمون بيت المقدس والأرض المباركة بالشام، حتى التقوا بالنصارى في عدة معارك حتى كان فتح بيت المقدس للمرة الثانية على يد صلاح الدين الأيوبي رَحِمَهُ اللَّهُ ثم توالت الحملات الصليبية على بلاد المسلمين.. وكان التركيز على بلاد الشام حتى تم لهم السيطرة عليه، وشهدت ساحات الأقصى مجزرة رهيبة حتى كانت خيل النصارى تخوض في دماء المسلمين.. وقال قائلهم بعدها ها قد عدنا يا صلاح الدين.. ولئن كانت عداوة اليهود والنصارى مكشوفة للمسلمين بنص القرآن فالدرس المهم هو أن الذي مهد لهؤلاء النصارى لدخول بلاد الشام هم الباطنية الذين يظهرون الإسلام ويبطنون

---

(١) «الفتاوى» (٢٨/ ٦٣٥، ٦٣٧).

الكفر والبغض لأهل الإسلام، وهؤلاء كانت بدايتهم بالدولة العبيدية التي انطفأ نور الإسلام والإيمان في زمنها في بلاد المسلمين، بل قال بعض العلماء: أنها كانت دار ردة ونفاق كدار مسيلمة الكذاب(١).

وتحدث العلماء عن عداوة هؤلاء الباطنية لأهل الإسلام، حتى أعلنوا سب الصحابة في منابرهم، وكان العلماء يخافون من رواية الأحاديث النبوية في زمنهم خوفًا من القتل، حتى قرر شيخ الإسلام أنهم قتلوا من علماء المسلمين ومشايخهم ما لا يحصي عدده إلا الله، ومن هنا حكم الشيخ على هؤلاء الباطنية (المسمون تارة بالقرامطة وأخرى بالنصيرية، أو القرامطة) بالكفر والضلال، وقال أنهم أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من كثير من المشركين، وقال أن ضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين كالتتار والفرنج وغيرهم(٢).

إخوة الإسلام وحيث قرر شيخ الإسلام وغيره فساد عقائد هؤلاء الباطنية، وبغضهم للإسلام الحق وأهله فقد قرر الشيخ أن جهاد هؤلاء الباطنية وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات.. واعتبر الشيخ جهادهم من جنس جهاد المرتدين الذين قاتلهم الصديق وسائر الصحابة معه(٣).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التحريم: ٩].



(١) «الفتاوى» (٣٥/ ١٣٩).
(٢) «الفتاوى» (٣٥/ ١٤٩، ١٥٠).
(٣) «الفتاوى» (٣٥/ ١٥٨).

الخطبة الثانية:

الحمد لله القوي العزيز، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

أيها المؤمنون، وأيام الله دول وحيث تقلبت بلاد الشام بين عز المسلمين، وذل الباطنيين فقد شاء الله وقدر أن تقع أرض الشام (دمشق وما حولها) في هذا الزمان في قبضة (النصيرية) فمن هم النصيرية وما جرائمهم ضد المسلمين؟ هي فرقة تنسب إلى مؤسسها وهو الشيعي محمد بن نصير المتوفى سنة ٢٦٠هـ وكان من أتباع الحسن العسكري، وقد ادعى النبوة ويقول بالتناسخ والحلول وتأليه الأئمة (كما ذكر ذلك النوبختي في فرق الشيعة/ ٧٨) وفي عقائدهم (النصيرية) وتأثر بعقائد النصارى، ويعتقدون أن عليًا رضي الله عنه إلهًا -تعالى الله[١]. وقد سئل عن (النصيرية) شيخ الإسلام: ما تقول السادة العلماء في النصيرية القائلين باستحلال الخمر، وتناسخ الأرواح، وقِدم العالم، وإنكار البعث والنشور، والجنة والنار في غير الحياة الدنيا، وبأن الصلوات الخمس عبارة عن خمسة أسماء وهي: علي، وحسن، وحسين، ومحمد، وفاطمة.. إلخ ما ذكر السائل من أوصافهم فأجاب الشيخ: هؤلاء القوم المسمون بـ(النصيرية) هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية، أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين إلى أن قال: ولا ريب أن جهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات، وهم أتباع أبي شعيب محمد بن نصير، وكان من الغلاة الذين يؤلهون عليًا[٢].

---

(١) «تاريخ الإسلام» حسن إبراهيم (٤/ ٢٦٦).(٢) «الفتاوى» (٣٥/ ١٤٥-١٦١).

وحيث تبين معتقد النصيرية وعدوانهم على المسلمين في الماضي، فهم مثل أو أشد في زماننا الحاضر[١]، ومنذ أن استولى النصيرية على سوريا، وهم يسومون المسلمين السنة سوء العذاب، وقد عاد الإسلام غريبًا في حكمهم، والمسلمون غرباء فمنهم من قتل ومنهم من طرد أو سجن، هدمت المساجد، واضمحل العلم وغاب العلماء، بل وعادت الأرض المباركة ميدانًا للخيانات والتحالفات مع أعداء الأمة يفعل وتجاوزات هذه الطائفة النصيرية المنحرفة حتى صرح قادة الكيان الصهيوني بقوله: «إن إسرائيل لن تكون بأمان ولن تكون قوة إقليمية عظمى ما لم تكن محاطة لفيفًا من الدويلات الطائفية والعرقية» واليوم وحيث ينتفض الشعب السوري مطالبًا بالحرية ورفع الظلم، والعودة للهوية المسلمة، يواجه بالحديد والنار، وتتحرك الدبابات والمدفعيات لتقصف المدن الآهلة بالسكان قصفًا عشوائيًا، تتساقط على أثره الجثث، ويكثر الجرحى، في مذابح بشعة، وعلى مرأى العالم ومسمعه، وإذا ثبت مشاركة النظام البعثي النصيري من قبل ميلشيات وعصابات تابعة لحزب الله (المزعوم) والباسيج الإيراني -حيث تقوم بالقتل على الهوية- فإن ذلك يعني حربًا طائفية على المسلمين السنة في سوريا.

إنها جرائم حرب ومذابح يندى لها الجبين، ويستصرخ المستضعفون المحاصرون في سوريا إخوانهم فهل من مجيب؟ ويحكم الحصار أكثر على

(١) وليس بخفي أن وجود هؤلاء النصيرية وتمكينهم كان بدعم من الغرب لا سيما (الفرنسيين) الذين أنزلوهم من الجبال وشجعوهم على الانخراط في السياسة تحت راية المستعمر ليخلفوهم بعد رحيلهم وقد كان، حتى أن تسمية النصيرية بـ(العلويين) صدر بقرار رسمي من قبل المندوب السامي الفرنسي في بيروت.

(درعا) وساكنيها، وتهدم بيوتها وتحاصر مساجدها، وتفني أهلها في همجية تذكر بغزو التتر بلاد المسلمين.

وحيث أعلن عن أدوار إيجابية لبعض الدول الأوروبية (كفرنسا) لردع النظام السوري إذا استمر في بطشه على المدنيين العزل وأمريكا تعتبر تصرفات سوريا تحمل شعبه تصرفات همجية.. فالمسلمون أولى بالنصرة والمساعدة وأول ما يتجه الخطاب للأحرار من قوات الأمن والجيش في سوريا يكف القتال ورفع السلاح عن إخوانهم الذين يطالبون بحقوقهم ورفع الظلم عنهم، وهو حق كفلته شريعة الإسلام بل والأنظمة العالمية كلها، ثم يسير التذكير للعلماء والعامة في سوريا أن يكونوا صفًا واحدًا مقابل الظلم والعدوان، ويذكر شيوخ العشائر والقبائل في سوريا كذلك بنصرة المظلوم وردع الظالم كما تطالب الدول بمنع النظام السوري من عمليات القمع الوحشية ضد شعبه الأعزل، ويطالب المسلمون عمومًا بالنصرة والمؤازرة لإخوانهم -بما يستطيعون- وبالتضرع إلى الله تعالى بأن يكشف كربتهم ويحقن دماءهم ويحمي أموالهم وأعراضهم، ويعينهم في هذه المحنة، وأن يخذل عدوهم ويظهر الحق ويبطل الباطل.. ويطالب العلماء والدعاة وأصحاب الفكر بقول كلمة الحق وفضح النظام البعثي النصيري والكلمة منهم في هذه المرحلة واجبة ومن يدري فلعل هذه الانتفاضة في بلاد الشام مقدمات لعودة هذه الأرض لسابق عزها، وإيذان برفع الظلم عن المسلمين، واجتماعهم على الحق، وعدًا تنازليًا لهذه الأقلية النصيرية التي ساقت المسلمين وأفسدت بلادهم والتاريخ لا زال يعلمنا أن البطش والانتقام لا يقيم حضارة ولا يحمي دولة فالله هو القوي العزيز، وكم من مغرور بقوته جعله الله عبرة للمعتبرين.. وعلى المسلمين في سوريا أن يبتهلوا إلى الله، ويصبروا ويصابروا ويرابطوا، ويتقوا فالله الله لا يصلح عمل المفسدين ولا

يهدي كيد الخائنين، وسوف يمكن للمستضعفين ويجعلهم أئمة إن هم صدقوا واتقوا. . وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، وسيعود إلى أرض الشام بإذن الله عزها، وللمسلمين مجدهم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون. . اللهم انصر دينك وعبادك الصالحين، واجعل الدائرة على الكافرين والمنافقين، اللهم أصلح أحوال إخواننا المسلمين في سوريا، واحفظ عليهم أمنهم وإيمانهم وثبت أقدامهم واشف أمراضهم، واسخط على عدوهم. وفرق جمعهم، واقذف الرعب في قلوبهم.



الأوامر الملكية الواقع والمأمول(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره . . .

كانت الجمعة الماضية ١٣/ ٤/ ١٤٣٢هـ موعدًا للوفاء، وفرصًا للعطاء، ومزيدًا من التلاحم بين الراعي والرعية، وكانت هذه الجمعة -بحق- مضيئة كإضاءة القمر في آخر أيام البيض التي وافقت إعلان هذه الأوامر الملكية والأعطيات السخية، ومهما اختلفت وجهات النظر في تقييمها، أو اختلف الناس في النظر إليها. . فلا يمكن بحال لمنصف أن ينكر جملة من المعاني والمعالم البارزة في هذه الأوامر الملكية ولعل أبرزها ما يلي:

١- أنها سبقت بكلمة معبرة من خادم الحرمين الشريفين صُفع فيها الباطل بالحق والخيانة بالولاء، وحيثما كان الخطاب موجهًا لعموم شعب المملكة، فقد خصص العلماء بالخطاب أولًا، وهم في نظر الوالي أوفى من وقف، وأحق من يكرم، وأخص من يذكر ويشكر، وكأن في هذه الاستهلالة إشارة إلى آيتين في كتاب الله أولاهما قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨]، والأخرى قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾ [المجادلة: ١١].

٢- والتأكيد على مكانة العلماء في المملكة ليس غريبًا ولا جديدًا، فالدولة السعودية الأولى تأسست على يد رجلين هما: الإمام محمد بن سعود، والإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمهما الله- واستمر للعلماء مكانتهم، وتواصى

(١) ألقيت هذه الخطبة في ٢٠/ ٤/ ١٤٣٢هـ.

الأمراء بتقديرهم والثناء على مكانتهم حتى جاء خطاب النائب الثاني ووزير الداخلية -قبيل إعلان الأوامر- مؤكدًا على العلماء مثنيًا على جهودهم، مقدرًا لمواقفهم.

والأوامر الملكية لا تقف عند حد الثناء على العلماء وتقدير مكانتهم، بل وتمنع من أكل لحومهم، وتضع حصانة على أعراضهم من أن تمس بسوء في أي وسيلة من وسائل الإعلام، والرفع عن كل من يتجاوز ذلك لمقام خادم الحرمين.

٣- ويتجاوز الثناء على العلماء إلى التأكيد على قيمة العلم الشرعي بكافة رجاله ورحابه أفقه وبكل مؤسساته العلمية والشرعية والدعوية والاحتسابية.. فأجد الأوامر الملكية إنشاء مجمع فقهي سعودي لمناقشة القضايا الفقهية.. وآخر بإنشاء فروع للرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء في كل منطقة من مناطق المملكة، وإحداث ثلاثمائة وظيفة لهذا الغرض، واعتماد مائتي مليون لهذه الفروع، وثالث لتخصيص مبلغ ثلاثمائة مليون لدعم مكاتب الدعوة وتوعية الجاليات، ورابع هذه الأوامر: دعم الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف بمائتي مليون لاستكمال بناء مقرات لها في مختلف مناطق المملكة، وخامسها دعم جمعيات تحفيظ القرآن الكريم بمائتي مليون.

٤- يحق للمتابع لهذه القرارات والأوامر الملكية أن يستنتج رمزيتها، وأن يبصر طعمها ولونها، وأن يتأكد من مكانة هذه القطاعات والمؤسسات الشرعية في بلاد الحرمين، فهي -في نظر الدولة- لا تستحق مجرد البقاء، بل وتستحق الدعم والمساندة ماديًا ومعنويًا، وكشفت هذه الأوامر الخاصة بهذه المؤسسات الشرعية والدعوية عن هوية قوم كانوا يغردون خارج السرب، وربما وصل الحال ببعضهم إلى المطالبة بإلغاء هذه المؤسسات أو ضمها لبعض، أو تقليص

صلاحيتها . . أو الشغب عليها بشكل أو بآخر . . فجاءت الأوامر صفعة للباطل بالحق، وترسيخًا للخير، وتزكية للخيرين، وتأكيدًا على خصوصية بلاد الحرمين والتي طالما حاول البعض تغيبها أو إنكارها .

٥- وحيث شملت الأوامر الملكية العناية ببيوت الله بتخصيص خمسمائة مليون لترميمها في كافة أنحاء المملكة، فلا شك أن العناية بالمساجد يعني العناية بدور المسجد ورسالته في المجتمع، والعناية بأئمة المساجد تأهيلًا وتدريبًا، والعناية بالمصلين دعوة وتعليمًا .

٦- أما كتاب الله فهو المهيمن على الكتب السماوية كلها، وهو النور والشفاء، والذكر والبصائر. ولا غرابة أن تعني الدولة -وفقها الله- به تعلمًا وتعليمًا، وطباعة وحلقًا . . فهو الدستور الأعظم الذي تستمد منه نظامها . . وهو مع سنة المصطفى ﷺ هو الفيصل والحكم في أنظمتها وأحكامها .

٧- ولم تهمل الأوامر الملكية دنيا الناس ومعاشهم، وتحسين ظروفهم الاقتصادية حيث شملت العاطلين عن العمل، ووفرت السكن، وحمت المستهلك من الجشع، ورفعت الحد الأدنى لرواتب السعوديين بحيث لا تقل عن ثلاثة آلاف ريال، ورفعت قرض صندوق التنمية العقارية إلى خمسمائة ألف، ثم أكملت فرحة موظفي الدولة بمنحهم مرتب شهرين، وتجاوزت إلى طلاب وطالبات التعليم العالي الحكومي، وهذه الأعطيات يقدرها الإسلام وتعني بها الحضارة الإسلامية، فديوان العطاء مفرق في تاريخه الإسلامي .

٨- وجاء الأمر بمحاربة الفساد ومتابعة المفسدين معلمًا بارزًا في هذه الأوامر الملكية لا يستثنى أحد (كائنًا من كان) ولا يسمح بأي لون من الفساد (المالي والإداري) ولا مكان للمحسوبية والرشاوي، أو استغلال النفوذ، أو التستر، ولعل من نافلة القول أن يشمل هذا الأمر الملكي الداعي لمحاربة

الفساد إصلاحًا في السياسة والاقتصاد والتربية والتعليم والعدل، والاجتماع والإعلام. . وسواها من مرافق الدول . . إنها صيحة ينبغي أن تجلجل في بلادنا وثقافة حرية بأن تنتشر بين كافة أفراد مجتمعنا، ومسئولية ينبغي أن نحملها ونتحملها جميعًا.

٩- كما جاء الأمر بمحاربة الجريمة وملاحقة اللصوص وسراق المال والأمتعة أو سراق العقول والقلوب بالمخدرات والمسكرات ونحوها، ومتابعة من تسول له نفسه العبث بأمن البلد ومقدراته. . وذلك بتعزيز الأمن وضخ ستين ألف وظيفة للأمن العام، نأمل أن تكون إنذارًا للمجرمين وحسمًا لمواقع الفتنة، وفرصًا وظيفية لأبناء الوطن.

١٠- وحيث شملت الأوامر الملكية العسكريين المرابطين بترقياتهم وبناء وحدات سكنية لهم، فلاشك أن هؤلاء يمثلون خط الدفاع الأول، وهم أهل لحراسة مكتسبات الوطن والزود عن قلعة الإسلام، وقطع الطريق على كل صاحب فكر منحرف يريد نقبًا في السد، والترصد لكل فئة أو طائفة لها ولاءات وارتباطات خارجية (فالله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

١١- ولم تهمل الأوامر الملكية صحة المواطن والمقيم حيث جاء فيها دعم وتوسعة المدن الطبية في المملكة وشمول ذلك للمدنيين والعسكريين. . اللهم فلك الحمد والشكر، والشكر موصول لولاة أمرنا، ولكل من ساهم في تفعيل هذه الأوامر وعجل بمخرجاتها ووسع دائرة الاستفادة منها ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

إخوة الإسلام. . ومع الشكر والثناء والابتهاج بالواقع والعطاء. . فثمة أمل ومأمول ورجاء وتطلع. . فالحياة بطبيعتها متجددة، وهي فرص متواصلة،

وتحديات لا بد من مغالبتها . . وبرغم شمول هذه الأوامر بخيرها لشريحة كبرى في بلادنا، فالمأمول أن تمتد المساحة ويشمل بالعطاء من فاته الكرم، وكم هو جميل أن نسمع عن عدد من القطاعات الخاصة شمول منسوبيها بالعطاء تفاعلًا مع هذه الأوامر، ولا نزال نتطلع للمزيد حتى تعم الفرحة المواطن والمقيم والموظف الحكومي وغيره، ولا نزال نتطلع من قادتنا وفقهم الله الالتفات إلى شرائح في المجتمع قد يكون نصيبها من هذه الأعطيات أقل من غيرها، ولا يزال الكرم في الكرام حتى يكون سجية لهم وطبعًا، وخلقًا يتحسسون فيه المحتاج ويبعدون شبح الإحباط.

عن كل فئات المجتمع، وحيث شملت الأوامر المرأة العاملة -خارج بيتها- فالمأمول أن تشمل مكارم الدولة المرأة العاملة في بيتها، حيث هو عمل يستحق الإشادة والتشجيع، وربات البيوت هن الحارسات الأول لبيوتنا، والمدارس المخرجة لفلذات أكبادنا. . فالأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق، والأم أستاذ الأساتذة الأولى شغلت مآثرهن مدى الآفاق.

والمؤمل كذلك أن يستشعر أصحاب الجهات والهيئات والمؤسسات، والجمعيات والقطاعات المدعومة مسئوليتهم في استثمار هذه الأوامر وتفعيلها، والتفكير بعقليات متفتحة، وأفكار ورؤى وآليات تطور وتبدع، وتدرب وتبتكر، وتزيد مساحة الخير، وتكون على مستوى تطلع القادة، وتحديات الواقع، فتوفر المال نعمة، ولكن استثمار هذا المال وتوسيع مخرجاته والعمق في فقه القرارات والأوامر نعمة لا تقل عن سابقتها.

أملنا كبير في تفعيل هذه الأوامر الملكية، ووضع الهيئات واللجان الرقابية والمعايير، واستصدار الأنظمة واللوائح المفيدة حاضرًا ومستقبلًا.

وأمل أكبر أن يصاحب هذه القرارات شعور جماعي بالمسئولية، وثقافة تنتشر

في المجتمع لتغيير كثير من المفاهيم الخاطئة، وتعاون على البر والتقوى يحفظ على هذه الأوامر جمالها ويبلغ بها الحد الذي يريده الإسلام أولًا ، ويتطلع إليه كل مسئول ومخلص لبلده وأمته ثانيًا .

والمأمول كذلك أن نفرح جميعًا بهذه الأوامر. . ولا يسوغ لأحد أن يختزلها أو يختصر شيئًا منها، وكم كانت صدمة حين خرجت بعض صحافتنا بعد الإعلان عن هذه الأوامر، لتهمل عددًا من هذه الأوامر، في عناوينها، أو في تعليقات رؤساء وأصحاب الأعمدة فيها ولئن كان من حق أي إنسان أن يعبر عن وجهة نظره في موقعه الإلكتروني أو في مجالسه الخاصة، أو مع من يشاركونه الثقافة. . فليس يسوغ بحال أن يكون الاجتراء في صحف تمثل الدولة وتنطلق من سياستها الإعلامية، وليست ملكًا لثقافة معينة، أو حكرًا لأشخاص معينين ومجتمعنا -بحمد الله- بلغ به الوعي منزلة لا يليق تغييبه أو تجهيل أفراده وكما حجبت مواقع - كانت تسبح عكس التيار- ينبغي أن تحاسب أو تحجب من يزيف الوعي، أو يعبر عن الدولة بخلاف تعبيرها. وعزاؤنا أن الأكثرية في المجتمع فرحة وشاكرة، وأن ثمة وسائل إعلام أخرى عبروا بها عن فرحتهم وشكرهم لولاته أمرهم.

وبعد يا عباد الله فبالشكر تدوم النعم ترى كم منا من شكر الله على هذه النعم فأعطى وتصدق، وأخلص في عمله وشارك في إصلاح مجتمعه وزادته هذه النعم طاعة لله وشكرًا له وحسن عبادة، ولم يتيسر شكر ولاته والدعاء له.

هنا وقفة ولفتة ذكر بها خادم الحرمين الشعب بالدعاء له. . والدعاء لولي الأمر حق وهو أقل واجب، وصلاح الراعي أقرب طريق للإصلاح ومحاربة الفساد، اللهم فاهد قلبه وثبت إيمانه وقو عزيمته على الخير، وبارك له في عمره وعمله، وألبسه ثوب الصحة، واجعله نصرة للحق وسيفًا على المبطلين،

وأصلح له البطانة، وسدده في مسؤلياته ومتابعة قراراته، واشمل بالدعاء نائبه الأول، ونائبه الثاني الذي بشر بهذه الأعطيات قبل صدورها، وأثنى على العلماء والخطباء وقدر مواقفهم.. اللهم انصر من نصر الدين واجعل الدائرة على الكافرين المنافقين.



الحياء من الإيمان[١]

الخطبة الأولى:

الحمد لله أمر بالبر والتقوى، ونهى عن الفحشاء والمنكر قولًا وفعلًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له من لاذ بحماه نجى، ومن أعرض عن ذكره فإن له معيشة ضنكًا، ويحشر يوم القيامة أعمى وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله دعا إلى مكارم الأخلاق وكان أسبق الناس لها، ونهى عن خوارم المروءة وقبائح الأخلاق فكان أبعد الناس عنها.. اللهم صل وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، هم مصابيح الدجى، والأعلون في الآخرة والأولى، ورضي الله عن الأصحاب النجباء، والمجاهدين الأوفياء، ومن تبعهم بإحسان ما لاح برق أو أضاء نجم في السماء.. أوصي نفسي وإياكم معاشر المسلمين بالإيمان والتقوى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢].

أيها المؤمنون: خلق عظيم من أخلاق الإسلام، وميراث من ميراث النبوة الأولى ما أحرانا بالتذكير به، وأخذ أنفسنا به -قولًا وعملًا- يوصف به الله جل جلاله، ووصف به خيرة خلقه ﷺ.. «**إن الله حيي ستير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**»[٢].

وفي الحديث الآخر: «**إن الله تعالى حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرًا خائبتين**»[٣].

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في ٢١/ ٤/ ١٤٣٠هـ.

(٢) رواه أحمد وغيره وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/ ١٠٨).

(٣) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم بسند صحيح «صحيح الجامع الصغير» (٢/ ١٠٨، ١٠٩).

وكما أن الحياء سمة للأنبياء في الدنيا ومحمد ﷺ كان أشد حياء من العذراء في خدرها فهو سمتهم في الآخرة وقد ورد أن عددًا من الأنبياء عليهم السلام حين تطلب منهم الشفاعة يوم الموقف العظيم يتوقفون، وهم يذكرون ذنوبهم فيستحيون من الشفاعة، ويقول آدم: لست ها هنا ويذكر ذنبه فيستحيي، ثم يأتون نوحًا فيستشفعونه فيقول لست ها هنا ويذكر سؤاله ربه ما ليس به علم فيستحيي، ثم يأتون الخليل، ثم موسى ويذكر قتل النفس فيستحيي من ربه، ثم يأتون عيسى فيعتذر حتى يأتون محمدًا ﷺ فيستأذن ربه ويخر ساجدًا، ويدعو ما شاء الله حتى يؤذن له بالشفاعة.. الحديث[1].

ألا ما أعظم الحياء حين يكون سمتًا للأنبياء في الآخرة والأولى، ومن قبل صفة لله جل وعلا، وما أقبح البذاء والجفاء ولاسيما حين يقودان إلى هتك الحجب، وتجاوز الحدود المشروعة فيورد صاحبه البوار، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار**»[2].

يا أيها المتفاصح في المجالس رياءً وسمعة، أو تصدرًا للحديث للشهرة إياك أن تتجاوز الحياء، وتقع في النفاق، وفي الحديث: «**الحياء والعي شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق**»[3].

إن الحياء قرين الإيمان (وكفى بذلك منزلة) وقد صح الخبر «**الحياء والإيمان قرنا جميعًا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر**»[4].

---

(١) رواه البخاري (٤٤٧٦)، «الفتح» (٨/ ١٦٠).

(٢) رواه الترمذي والحاكم وغيرهما بسند صحيح «صحيح الجامع الصغير» (٣/ ١٠٣).

(٣) رواه أحمد والترمذي والحاكم وسنده صحيح «صحيح الجامع الصغير» (٣/ ١٠٣).

(٤) رواه الحاكم وغيره وصحح إسناده الألباني «صحيح الجامع» (٣/ ١٠٣).

أيها المسلمون وثمة مفاهيم خاطئة قد تعد من الحياء المشروع وهي ليست كذلك، كالقعود عن طلب العلم، قال مجاهد: لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر، وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: نِعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين[١].

ولا ينبغي أن يمنع الحياء من التفقه في الدين وسؤال ما أشكل، فإن استحيا بنفسه عن السؤال وكل غيره، كما فعل علي رضي الله عنه حين كان رجلًا مذَّاءً (هو الذي يخرج من الرجل عند الملاعبة[٢].

فقال ﷺ فيه الوضوء (صحيح البخاري) لا ينبغي الحياء في المطالبة بالحقوق ولا في تعليم الجاهل، ونصرة المظلوم، وردع الظالم.

ليس من الحياء التوقف عن قول الحق أو فعل الحق، وفي البخاري عن أم سليم رضي الله عنها قالت: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة غسل إذا احتلمت؟ قال: «**إذا رأت الماء**»[٣].

ومن المفاهيم الخاطئة في الحياء التأخر في فعل المأمور الشرعي بسبب الحياء، أو الإقدام على فعل المحذور شرعًا حياء ومجاملة للآخرين، فالحياء -الحق- لا يأت إلا بخير -ليس من الحياء المشروع مداراة بعض الأعراف الاجتماعية المنحرفة، وليس من الحياء المشروع الخجل والفزعة بغير الحق- بل عصبية جاهلية.

---

(١) «صحيح البخاري»، كتاب العلم، باب الحياء في العلم.

(٢) «الفتح» (١/ ٢٣٠).

(٣) رواه البخاري (ح١٣٠)، «الفتح» (١/ ٣٢٨).

عباد الله ليس من الحياء من الله من إذا جن ليل وكان الظلام باشر من الفجور وارتكب من المعاصي والآثام ما لم تخطئه عين الله ولم يغب عن علمه، وإن ستره في الدنيا فالفضيحة يوم القيامة على رءوس الأشهاد، وليس من الحياء من يظهر التنسك والعبادة أمام الخلق حتى إذا لاح له مغنم من الدنيا أو غاب عن أنظار الخلق نسي الله ونسي نفسه وتنسكه فلم يبال بالحرام ولم يتورع عن المنكرات.

ليس من الحياء من يعتدي على أعراض الناس أو أموالهم أو دمائهم.. وربما رأى ذلك نوعًا من الشطارة والشجاعة والدهاء.

ليس من الحياء من يتكاسل عن الصلاة المكتوبة أو يمنع الزكاة الواجبة.. وليس من الحياء شرب المسكرات وتناول المخدرات.. ليس من الحياء المجاهرة بالمعصية أو رؤية المنكر دون تمعر الوجه وتحرك الإيمان لتغير المنكر وليس من الحياء الكذب في الحديث، والخلف في الموعد، والفجور في المخاصمة.

إن من مظاهر التوازن، ومن علامات التكامل في التربية، أن تجد المؤمن القوي الحازم الدءوب حييًا خجولًا أديبًا وقورًا.

الحياء الممدوح: (خلق يبعث على ترك القبيح)[(١)] -كما عرّفه ابن حجر- وقد صنف الحياء إلى شرعي وغير شرعي فقال: (الشرعي الذي يقع على وجه الإجلال والاحترام للأكابر -وهو محمود- وأما ما يقع سببًا لترك أمر شرعي، فهو مذموم وليس هو بحياء شرعي، وإنما هو ضعف ومهانة[(٢)].

---

(١) «فتح الباري» (١٠/ ٥٢٢) عند شرحه لباب الحياء من كتاب الأدب - الحديث (٦١١٨).
(٢) «فتح الباري» (١/ ٢٢٩) عند شرحه لباب الحياء في العلم من كتاب الإيمان.

ومن الحياء والذوق الرفيع أن تأتي للناس مثل ما تحب أن يأتوه إليك. . وثمة أبرار حييون إذا خلوا من الناس خلوا بربهم يعبدونه ويبكون وإذا خالطوا الناس كانوا بالمعروف آمرين وعن المنكر ينهون لا يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وربما بلغ بهم الإيمان أن فرحوا بكل نعمة تحصل لإخوانهم المسلمين وكأنما حصلت لهم. .

أيها المسلمون ومن لم يرزق الحياء بالفطرة، طُولب به بالقصد والاكتساب والتعلم، هو خلق الإسلام خاصة وأنه الخلق المميز لأتباع هذا الدين، كما جاء في الحديث الحسن: «إن لكل دين خلقًا، وخلق الإسلام الحياء»[(١)].

لقد كان أهل الجاهلية -على جاهليتهم- يتحرجون من بعض القبائح بدافع الحياء، ومن ذلك ما جرى مع أبي سفيان عند هرقل، لما سئل عن رسول الله ﷺ، ويقول في ذلك: «فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذبًا، لكذبت عليه»[(٢)] اهـ.

ترى الرجل الحيي يحتقن وجهه، وتحمر وجنتاه، إذا صدر منه أو من غيره ما ينافي الحياء: «كان رسول الله ﷺ أشد حياء من عذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئًا رئي ذلك في وجهه»[(٣)]، ومن سمت الحياء: ما يتميز به الحيي من مظاهر الوقار والسكينة، إذ روي عن بُشير بن كعب قوله: (مكتوب في الحكمة: إن من الحياء وقارًا، وإن من الحياء سكينة)[(٤)] قال القرطبي: «معنى كلام بُشير: أن من الحياء ما يحمل صاحبه على الوقار، بأن يوقر غيره، ويتوقر هو في نفسه، ومنه ما يحمله على أنه يسكن عن كثير مما يتحرك الناس فيه من الأمور التي لا

---

(١) «صحيح سنن ابن ماجه» (٢/٤٠٦) الحديث (٣٣٧٠/ ٤١٨١) (حسن).
(٢) «صحيح البخاري» - كتاب بدء الوحي- باب ٦- الحديث ٧ «الفتح» (١/ ٣١).
(٣) «صحيح سنن ابن ماجه» (٢/٤٠٦) الحديث (٣٣٦٩) (صحيح).
(٤) «صحيح البخاري» - كتاب الأدب- باب ٧٧ الحديث (٦١١٧) «الفتح» (١٠/ ٥٢١).

تليق بذي المروءة..)[١] فالحياء يحجز النفس عن كثير من خوارم المروءة، وقوادح الدين.

اللهم ارزقنا حياء نخشاك فيه في السر والعلن، وحياءً من خلقك نؤدي إليهم حقوقهم ونحترم واجباتهم.



(١) عن «فتح الباري» (١٠/ ٥٢٢) عند شرحه للحديث (٦١١٧).

الخطبة الثانية:

من ثمرات الحياء ومن الحياء إجلال الأكابر، واحترام أهل السابقة والعلم، وفي سلوك ابن عمر رضي الله عنهما برهان ذلك.

فقد سأل رسول الله ﷺ الصحابة: «**إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي مثل المسلم، حدثوني ما هي؟**»[١] فعرف ابن عمر أنها النخلة، واستحيا أن يجيب، ويعلل حياءه -كما في روايات الحديث- بأنه وجد نفسه أصغر الجالسين، وأنه رأى أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكره أن يتكلم[٢]. كم يشرح الصدر ذلك المجتمع الذي يستحي فيه الصغير من الكبير، ويتعامل الناس فيه بالاحترام والتوقير.

ومن ثمرات الحياء أن الحياء بنفسه وقاية من الوقوع في المعاصي، فقد ورد أن أحد الصحابة كان يعاتب أخاه على حيائه، وكأنما يقول له: قد أضر بك الحياء. فقال رسول الله ﷺ: «**دعه. فإن الحياء من الإيمان**»[٣] قال أبو عبيد الهروي: (معناه أن المستحي ينقطع بحيائه عن المعاصي.. فصار كالإيمان القاطع بينه وبين المعاصي)[٤] ولذلك عمم الرسول ﷺ في سبل الخير للحياء، فقال: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»[٥] وهو سبيلٌ للخير وزينة للسلوك، فقال: «**ما كان الفحش في شيء قط إلا شانه، ولا كان الحياء في شيء قط إلا زانه**»[٦].

(١) «صحيح البخاري» - كتاب العلم- باب ٤ الحديث (٦١).
(٢) «فتح الباري» (١/ ١٤٦).
(٣) «صحيح البخاري» - كتاب الأدب - باب ٧٧ الحديث (٦١١٨) «الفتح» (١٠/ ٥٢١).
(٤) عن «فتح الباري» (١٠/ ٥٢٢) عند شرح الحديث (٦١١٨).
(٥) «صحيح البخاري» - كتاب الأدب - باب ٧٧ الحديث (٦١١٧).
(٦) «صحيح سنن ابن ماجه» (٢/ ٤٠٧) الحديث (٣٣٧٤) (صحيح).

وكما يورث الحياء الأدب مع الخلق فهو أعظم حين يورث الأدب والخشية من الخالق، وكما أن الحياء أدب مع الخلق فهو أعظم، بل أسمى صوره حين يكون حياءً من الخالق، ولذا جاء الأمر به «**استحيوا من الله حق الحياء**».

ومن أمارات الاستحياء من الله: أن تحفظ الرأس وما وعى (أي تحفظ سمعك وبصرك ولسانك وأنفك وفكرك عن الحرام) وأن تحفظ البطن وما حول (فلا تأكل أو تشرب الحرام) وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا) فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء[١].

ولإحساس المؤمن في الدنيا بأن الله يراه على جميع أحواله؛ فإنه يستحيي من ربه، حتى في حال خلوته، ولذلك ورد في التستر عند الاغتسال في الخلوة، قوله ﷺ: «**الله أحق أن يستحيا منه من الناس**»[٢] والذي يستحيي من ربه، إن كشف عورته في خلوته، حري به أن يمنعه الحياء من الإقدام على معصية.. يجاهر بها.

أخي المسلم حيث تشعر بالحرج، وتخشى التأثم، فتوقف، وحيث يطمئن القلب، ولا تشعر بالحرج، فاصنع ما شئت.

فاقد الحياء فليصنع ما يشاء، ولينظر بعدئذ ماذا يفعل الله به.

وليس عجيبًا ما نراه من منكرات الأخلاق، إذا علمنا أن رادع الحياء قد مات عند بعض الناس، فالذي لا يستحي -عادة- يصنع ما يشاء، بلا حرج من أحد[٣].

---

(١) رواه أحمد والترمذي والحاكم وغيرهم بسند حسن «صحيح الجامع» (١/ ٣١٨).

(٢) من معلقات البخاري في كتاب الغسل - باب ٢٠. قال في «الفتح» (١/ ٣٨٦): (.. وحسنه الترمذي وصححه الحاكم).

(٣) يراجع «فتح الباري» (٦/ ٥٢٣) شرح الحديث (٣٤٨٣) وكذا (١٠/ ٥٢٣) شرح الحديث (٦١٢٠).

أفلا يكون كل منا عونًا لأخيه في مجاهدة النفس، وتجنب ما لا يليق، والتزام حدود الأدب مع الخلق والخالق، في الخلوة والجلوة، وفي الغيبة والشهادة، فقد جاء في الحديث: «**إن الله ﷻ حليم، حيي، ستير، يحب الحياء والستر..**»[1] وربما كان لاقتران الحياء والستر فيما يحب الله، إشارة إلى أنه حيث وجد الحياء، وجد الستر والعفاف، وحيث تحل الجرأة على القبائح، يحل معها التكشف والفضائح، إن عيوب النفس مستورة بجلباب الحياء، فإذا ما نزع الستر، تكشفت أمراض النفوس، وتجرأ الصغير على الكبير، وانطلق الناس من كل قيد، وتحرروا من كل وازع، وغرقوا في أوحال الرذيلة... وستبقى الفطرة ميالة إلى الحياء والستر.

فلنحافظ على الحياء ولنجعله لنا شعارًا ودثارًا وخلقًا وسلوكًا ولنتذكر جميعًا أنه حيث وجد الإيمان عليه زاد مؤشر الأحياء.. وحيث ضعف الإيمان حل الجفاء والبذاء، وصنع المرء ما شاء، وعند ربك الملتقى.



(١) «صحيح سنن النسائي» (١/ ٨٧) كتاب الغسل- باب ٧ الحديث (٣٩٣) (صحيح).

مشاهد الرعب والموت في عبَّارة السلام(١)

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره . . .

عباد الله: المسافة بين الموت والحياة قصيرة جدًا، والخيط رفيع بين الأحياء والأموات.. ومع اكتمال الصحة وتوفر القوة فقد يسترخي المرء للموت رغم أنفه.. وقد ينهك المرض أو الهرم جسد الإنسان ويعمر ما شاء الله له أن يعمر من السنين..

إنه الموت غائب حاضر، بعيد قريب، أجل محتوم وأنفاس معدودة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

ويحك يا ابن آدم تفجر وتفسق وتطغى وتتجبر.. وقد يكون الموت منك قاب قوسين أو أدنى، وما من الموت مفر ولا مهرب.. تعجز الأموال أن تدفع الموت.. ويقف الملك والسلطان ضعفاء أمام قدر الله وقوته وأجاله وسلطانه..

وقد يكون الموت راحة من عناء.. وفرجًا من شدة.. ونقلة من حال إلى حال كما يكون الموت شهادة ورفعة، فليس الشأن بالموت -رغم ما فيه من أهوال ومصائب- ولكن الشأن الأعظم فيما بعد الموت، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

أيها المسلمون: آلمني وآلم غيري من المسلمين حادث غرق السفينة المسماة بالسلام ٩٨.

(١) ألقيت هذه الخطبة في ١٨/ ١/ ١٤٢٧هـ.

ألف أو يزيدون من المسلمين يموتون حتفهم في لج البحر. . وقبل الموت يحاصرهم الرعب وتحيط بهم المخاوف من كل جانب. . فمن تحتهم حريق تتصاعد أدخنته حتى تكتم الأنفاس وتخلع القلوب، وللنار رهبة لا تخفى، وعن أيمانهم وشمائلهم لج البحر بعمقه وأمواجه المتلاطمة. . فكيف إذا كانت الرياح عاتية. . والجو باردًا؟ وكيف الحال إذا كان على ظهر العبارة قرابة ألف وخمسمائة من البشر وفيهم النساء والأطفال والشيوخ والعجزة، والمرضى والضعفاء؟

إنها حالة من الرعب تبلغ نهايتها حين تتعالى الأصوات بالبكاء وتوزع ستر النجاة. . ولا مفر من الحريق إلا الغرق. .

وأخيرًا تنطفئ أنوار المركبة. . والحدث في جنح الظلال، والزمان في أول الشهر فلا بدر من الظلام. .

يا الله لك أن تتصور هذه الساعات الحرجة التي عاشها المسافرون على ظهر عبارة الموت؟ ظلمة السفينة وظلمة البحر، واشتعال النار، وأصوات العويل والبكاء. . واستصراخ يقطع أنياط القلوب. .

ويحدث شهود العيان الذين نجوا من هذه الكارثة ويقولون تعجز كلماتنا أن تصف المشهد. . ويصعب على الخيال أن يتصور المأساة. . ونحن لم ننج بقوتنا ولا بحيلنا، ولا بمهاراتنا. . إنها العناية الإلهية ليس إلا. . أنقذنا الله ونحن نحسب أنفسنا في عداد الموتى. . كيف لا ونحن نشاهد في كل لحظة أطفالًا يغرقون. . وربما ازرقت أجسادهم من الكرب حتى ماتوا. . ونشاهد نساء ورجالًا يطفون على سطح البحر. .

العناية الإلهية أنقذت الطفل الذي قال إن آخر العهد بأبي حين وضعني في قارب نجاة وطلب مني الانتظار. . وبعد أكثر من عشرين ساعة بين أمواج البحر

يعثر رجال إنقاذ على الطفل ليكون في عداد الأحياء تاركًا أباه وأمه وأخاه وأخته في عداد المفقودين. .

ويؤكد ناج آخر أنه أمضى خمسين ساعة في البحر في صراع بين الموت والحياة حتى كتب الله له النجاة. . ويروي قصته والثلاثة الذين معه الذي أمسكوا جميعًا بطوق نجاة وكانت الرياح والأمواج تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال حتى سقط منهم اثنان في البحر لشدة الأعياء. . ونجا اثنان منهم. . كان هو أحدهم.

ويحدث ناج فقد أخاه ويقول حين وقعت في البحر لم أجد إلا برميلًا تعلقت به أنا وعشرة آخرون معي ولمدة خمسة عشر ساعة، وأصعب مشهد واجهته في عرض البحر أن سمك (القرش) التهم أحد الأشخاص من بيننا. . مما جعلنا في حالة ارتباك وذعر متواصلة. . وقال إن هذا المشهد لن ينساه أبدًا.

ويروي أحد الناجين بكل ثقة وإيمان إنه لم يفقد عقله منذ بدأ الحدث حتى أنجاه الله، ولم يفتر عن الذكر والدعاء. . يستحضر فضل يوم الجمعة وساعة الإجابة فيه وهو في عمق البحر فيذكر الله ويدعوا. . ويحضر وقت صلاة على أثر صلاة أخرى فلا يتأخر عن الأذان والصلاة وقد لا يستطيع الصلاة إلا قائمًا أو بالإيماء فيفعل، وقد يجمع الصلاتين- وقد يصلي الفجر بوضوء العشاء أو الوتر- إنها حالات تكشف عن الثبات والإيمان. . واليقين، ويحدث شباب نجوا عن جهودهم في الإنقاذ، رغم الهول والشدة، وكم تبرز في هذه الحالات مروءات الناس ونجدتُّهم وإن كانوا هم أحوج ما يكونون للنجدة والإنقاذ.

فريق من الذين نجوا يحدثون عن الساعات الأخيرة التي ودعوا فيها آباءهم وأمهاتهم وأبناءهم وإخوانهم وأخواتهم. . وقد فصل البحر بينهم، أو التهم الحريق عددًا منهم. . ولك أن تتصور أن العبارة حين غرقت واستقرت في عمق

البحر كانت تغوص لعمق سبعمائة وخمسين مترًا، وكان يرقد فيها مئات من الركاب الذين ابتلعهم البحر ولم يستطيعوا أن يتجاوزوها كغيرهم.. ممن تجاوزها فنجا.. أو تجاوزها وكان مصيره كمصير هؤلاء.. رعب الموت جعل الركاب يتزاحمون على القوارب القليلة للنجاة وربما حمل القارب سبعين وهو لا يتحمل أكثر من ثلاثين، ولذا غرقت القوارب ليغرق معها نفر من الناجين لأول وهلة وليعود من السبعين بعضهم ليعاود الحياة من جديد..

ساعات حرجة.. ومصاب جلل.. كم أنات نفذت.. وكم من عبرات سكبت.. كم من استعانة واستغاثة ولا غوث إلا الله هناك في أعماق البحر الأحمر دفنت آمال، وانقطعت أنفاس، وأصطفى الله شهداء.. تيتم أطفال.. وترملت نساء، وأزهقت أرواح، وذهبت أموال.. فمن المسئول؟ وماذا بعد الحدث، وكيف تكون الاحتياطات في المستقبل؟ أيليق أن يؤذن لعبارة قديمة متهالكة بالإبحار وعلى ظهرها جموع كثيرة من البشر، هذا فضلًا عن البضائع والأموال وقد رُفِضَتِ العبَّارة في بلاد الغرب.. ويُسْمَحُ لها في بلاد المسلمين؟ كيف يهيم الركاب الناجون من الحريق في لج البحر لخمسين ساعة أو تزيد دون أن تصلهم فرق الإنقاذ.. في بحر لا كالمحيطات الكبرى..؟!

إن الموت لا مفر منه، والأجل لا مهرب عنه.. ولكن الأسباب مأمور بها شرعًا.. فهل تكفي الأسباب والاحتياطات التي عملت لعبارة الموت وركابها.. سواء منهم من نجا أو احترق أو غرق؟

وهل يكفي أن يكون الحدث جعجعة إعلامية ثم ينتهي كل شيء لا يكفي أن نسمع من الناجين حكايات الموت وعبارات المحنة، ومشاعر الذهول ثم ينتهي الأمر ويطوى ملف العبارة.

إن الناس قد تنسى الحدث كما تنسى غيره حين تتلاحق الأحداث، ولكن الله

لا ينسى إهمال المسئولين، وتفريط اللامبالين بأرواح البشر. . ومن حق الناس أن يكون هذا الحدث درسًا لغيره. . تتخذ كافة الاحتياطات ويعتني بالمراكب، ووسائل النجاة، ويكون التواصل لعبارة تحمل مثل هذا العدد مستمرًا من حين تتحرك من مرساها إلى أن تصل إلى غايتها. . أما أن يظل البشر يطفون على سطح البحر ليوم أو يومين أو أزيد دون علم أو طريقة سريعة للإنقاذ. . فذلك لا يسوغ في زمن العلم وعصر التقنية وتوفر وسائل السلامة، هنا لا مكان للشفاعة والواسطة والمحسوبية على حساب أرواح البشر.

عباد الله. . وإذا قيل هذا وغيره عن من وراء الحدث والمسئولية عن شركات النقل البحرية. . فيقال لعموم الناجين بل ولعموم المسافرين. . ما هو زادنا للسفر؟ وما هي نوايانا حين السفر؟ إن من الناس من يتزود للسفر بكل شيء ولكن زاده من الإيمان والتقى ضعيف وخير الزاد التقوى فهو أمان من الكروب. . ومطمئن حين الشدائد ومن عرف الله في حال الرخاء عرفه في حال الشدة. .

وكم تختلف نوايا المسافرين. . فكن أيها المسافر المسلم مستحضرًا لعظمة الله في حال سفرك وإقامتك. . وإياك والأماني الباطلة والأهداف المريبة فقد تسافر ولا تعود. . وقد تختم لك بسوء عملك في سفرة لم تتحرز فيها من الخناء والفجور، تظن بزعمك أنك بعيد عن الأنظار والله يراك حين تقوم وتقعد وتحط وترحل.

فالله الله في المراقبة. . والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. . وإذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل خلوت ولكن قلَّ علي رقيب. .

إنه ميلاد جديد لمن نجوا من عبارة السلام. . وينبغي أن يكون موعظة وذكرى لغيرهم من المسلمين. . يراجعوا أنفسهم ويفتشوا في أرصدتهم، ويروا بماذا

يلقون ربهم.. وأحداث الزمان تتكرر.. ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الأسباب والموت واحد.. والكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

غفر الله لمن لقوا حتفهم وتقبلهم الله شهداء وأجر أهلهم وذويهم ورزقهم الصبر والاحتساب، وشفا الله من مرض وكتب الأجر لمن عانى وسلم، وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا نقول إلا ما يرضي ربنا.



الخطبة الثانية:

أيها المسلمون ومشهد مأسوي آخر رآه الناس هذه الأيام تلغى فيه آدمية البشر.. وتنس إنسانيته.. وتقصر حقوقه عن حقوق الحيوان فضلًا عن الإنسان..

المشاهد التي تتكرر على أيدي جنود الاحتلال في العراق وهم يمارسون أبشع ألوان الظلم والحقد والكراهية..

أجل إننا ما نسينا ولا نسي الزمان أحداث سجن أبي غريب.. ومآسي جوانتناموا، والسجون الطائرة، والمبحرة، والمغيبة في دول مختلفة..

وهذه الأيام يكشف النقاب عن لون من الهمجية يمارسه الجنود البريطانيون مع الصبية العراقيين.. تعجز العيون عن متابعة المشاهد كلها.. وتعتصر القلوب أسى لحجم الظلم والاعتداء على صبية عزل أي لون من الهمجية هذا.. وأي ضرب من ضروب الحضارة يمارس في أرض الرافدين..

أي كرامة للإنسان.. وأي ذنب اقترفه المسلمون.. غير المقاومة عن بلادهم المحتلة وحقوقهم المشروعة؟

أهذه الحرية المزعومة والتي طالما خدع بها الغرب المغفلين؟ أهذه هذه الديمقراطية التي أراد الغرب أن يزرعها في بلاد المسلمين؟ إن قضايا التعذيب والإهانة والحقد الذي مارسه الغرب في بلاد الرافدين وغيرها أضافت إلى سجل أمريكا وبريطانيا -على الخصوص- مشاهد لا تنسى، وحقدًا حفر في القلوب..

إنهم يزرعون الحقد وينبتون الكراهية لهم في شعوب العالم، وتلك إيجابية للمسلمين رغم سلبياتها..

إنها تكشف عن الوجه الكالح للحضارة الغربية المتهاوية.. وإن هذه

المشاهد لتبعث في المسلمين روح الحياة والمقاومة ولكن القوم لا يعقلون..

ولربما عجزت خطب رنانة عن تصوير بغض الغرب للإسلام والمسلمين.. وقامت هذه المشاهد بدور البعث وإلهاب المشاعر.. والقوم بأنفسهم يوقعون ولربما تقاصرت الكلمات مهما كانت بلاغتها عن تصوير همجية الغرب.. فجاءت هذه الأحداث المأسوية والصور الناطقة لتعبر بجلاء.. وتضع الغرب أمام مشاهد الكاميرا التي تسوء ولا تسر وتفضح ولا ترحم.

أجل طالما تحدث أهل العقيدة والفكر السليم عن عقيدة الولاء والبراء.. الولاء للمؤمنين والبراءة والبغض للكافرين ولكن أحداث القتل والتدمير والتعذيب والكراهية والعدوان باتت وسيلة ناجحة لتحقيق هذا المفهوم العقدي الذي يملأ آيات القرآن وأحاديث المصطفى ﷺ.

إن العالم الإسلامي اليوم يتململ ويتفجر.. فهو لا يفتأ أن ينتقل من كارثة إلى أخرى ومن حرب إلى ثانية.. وكلها توجه إلى صدور المسلمين.. وقيمهم وإسلامهم.. حتى وصل الأمر إلى قرآنهم ونبيهم.. فكانت قشة قصمت ظهر البعير..

لقد أزعجت هذه الحوادث والتصرفات الرعناء عقلاء القوم وإن لم يكونوا مسلمين.. واعتبروا الأحداث الأخيرة بمثابة قطرة زيت أشعلت الغضب الكامن لدى المسلمين..

إن هذه الأحداث رغم مرارتها تثبت الإيمان في القلوب، وتستدعي الغيرة على الإسلام حتى من نفر من المسلمين أقل من غيرهم في الالتزام ولئن كانت رصيدًا للمسلمين في تحريك المشاعر، وصدق الانتماء للإسلام ومحبة الرسول ﷺ، وجمع الكلمة، والشعور بالتحدي الباعث على الدعوة للدين الحق

وتصحيح الأخطاء، والاستعداد للخطر القادم، ودعم المقاومة المشروعة، والانتصار للمظلومين.. فهي في المقابل طعنة في قيم الغرب.. وإفلاس في حضارتهم وتعميق للعداوة.. ووضوح في الرؤية تجاه مبادئهم وصادراتهم، إنها عد تنازلي لمكاسبهم.. وخروق كبيرة في سفنهم المبحرة، وبداية للخلاف بينهم.. والفأل يدعونا أن نقول إنها بدايات النهاية لهم.. وربك لا يصلح عمل المفسدين.. ولا يرضى لعباده الكفر، ويمحق الكافرين والسؤال المهم هل يستفيد المسلمون من هذه الأحداث بالقدر المطلوب وهل يستثمرونها لصالح دينهم وقضاياهم.. دون أن يكون للغرب أو الشرق مدخل عليهم.

هل تكون بداية لانطلاق العملاق.. هل تنهي هذه الممارسات الظالمة الهمجية فترة من الذل والهوان والفرقة والشتات والاستضعاف هل تكون مجالًا للتنسيق والمشورة وتبادل الآراء والخروج من المآزق بسلام..

إن القادة والمفكرين والعلماء والدعاة والأغنياء والوجهاء والرجال والنساء مدعوون جميعًا لاستثمار هذه النوازل وتوجيهها حتى لا تخرج عن مسارها الصحيح.. وحتى تثمر أمنًا وإيمانًا ونصرًا وعزة وكرامة للمسلمين أولًا.. ولغيرهم ممن كرم الله من بني آدم ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم.

إن هذه الأحداث الدامية فرصة لإصلاح الذات والعودة على الأخطاء بالتصحيح.. إنها امتحان للإيمان.. وكاشفة للغيرة، ورهان على المحبة الصادقة للإسلام ولنبي الإسلام ﷺ.

والأحداث كذلك تدعوا إلى الالتفات للساخرين من أبناء جلدتنا.. والذين طالما حملوا على الإسلام أو سخروا بالنبي من وراء وراء.. أولئك الذي يجدون في الغرب ضالتهم يحسبون على المسلمين وقلوبهم مع غير المسلمين..

أولئك حانت الفرصة لكشفهم ونصحهم ووعظهم.. ومن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها.. ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله.. وحين يكون فسطاط الإيمان وفسطاط الكفر.. يبقى فسطاط النفاق جائرًا منزويًا.. ويبقى المنافقون أخطر من غيرهم.. بل هم العدو.. وكفى بعبارة القرآن..



آفتا التعصب والتعالم[1]

الخطبة الأولى:

إخوة الإسلام.. آفتان عظيمتان يجدر بنا أن نتوقف عندهما وأن ننبه إلى مخاطرهما على الفرد والمجتمع، بليت بهما الأمة قديمًا.. والداء يتكرر.. والآفة بهما تتجدد.. فما هما؟

إنهما آفتا التعصب والتعالم.

والتعصب شيمة من شيم الضعف، وخلة من خلل الجهل يبتلى بها الإنسان فتعمي بصره، وتغش عقله، فلا يرى حسنًا إلا ما حسن في رأيه، ولا صوابًا إلا ما ذهب إليه أو من يتعصب له..

فالقوي لا يهاب ولا يحذر ولا يتوارى بالتعصب عن قول الحق.. ولذا كان المتعصب ضعيفًا لا قويًا.

والعالم المدقق لا يزال يبحث عن الصواب، وقد يتبين له حق كان يقول بخلافه، وقد يرجع عن رأي أو فكرة، أو معتقد كان يعتقده؛ لأن الحق تبين له بخلاف ما كان يعتقده.

ومن هنا كان المتعصب جاهلًا لا عالمًا.

فالكمال لله، والعصمة لرسوله ﷺ، ولذا قيل: «لا يزال المرء عالمًا حتى إذا ظن أنه علم فقد جهل»[2].

أيها المسلمون.. قد يظن المتعصب -أحيانًا- أن التعصب مظهر قوة..

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في ١٧/ ١٠/ ١٤٢٤هـ.

(٢) «مقدمة في أسباب الحلال» لمسلم محمد العبد، طارق عبد الحكيم (٨٣).

وليس الأمر على إطلاقه.. وقد يخلط بين التعصب والثبات على الحق.. وبينهما فروق لا تخفى أن مِن سيما العلماء الراسخين.. وأهل العقل والحكمة الرجوع إلى الحق إذا تبين لهم.. فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها..

بل إن التعصب ظاهرة تؤدي في النهاية إلى التفرقة والاختلاف ورفض الحق، وهو من خصال أهل الكتاب كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فوصف اليهود: أنهم كانوا يعرفون الحق قبل ظهور الناطق به والداعي إليه، فلما جاءهم الناطق به من غير طائفة يهود لم ينقادوا له - إلى أن قال وهذا يبتلى به كثير من المنتسبين إلى طائفة معينة في العلم أو الدين من المتفقهة أو المتصوفة أو غيرهم، أو إلى رئيس معظم عندهم في الدين- غير النبي ﷺ- فإنهم لا يقبلون من الدين رأيًا ورواية إلا ما جاءت به طائفتهم.. مع أن دين الإسلام يوجب اتباع الحق رواية ورأيًا من غير تعيين شخص أو طائفة - غير الرسول ﷺ[١].

إخوة الإسلام إن المسلم الحق هو الذي يقبل الحق ممن جاء به، ويرفض الباطل أيًا كان مصدره فالحق - كما يقول شيخ الإسلام- يستحيل أن يكون اجتهادي.

ومن الظلم والتعسف أن تلزم الناس برأي اجتهادي انتهيت إليه وقد يكون هناك ما يخالفه بل ما هو أقوى منه.

ولهذا عرف الشوكاني التعصب وحذر منه بقوله: «أن تجعل ما يصدر عن

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٧٤، ٧٥).

(الأيام المتبع) من الرأي ويروى له من الاجتهاد حجة عليك وعلى سائر العباد، فإنك إن فعلت ذلك كنت قد جعلته شارعًا لا متشرعًا، ومُكَلِّفًا لا مكلفًا»[1].

عباد الله ومن صور التعصب التعصب لاتباع مذهب من المذاهب الأربعة -وفي مسألة يسوغ فيها الخلاف- وقد يكون رأي الإمام الآخر أقوى من رأي الإمام الذي اتبعته.. ويرحم الله هؤلاء الأئمة فقد حذروا من التعصب لهم وذموا من أخذ أقوالهم بغير حجة، وكان يروى عنهم: إذا صح الحديث عن النبي ﷺ فهو مذهبي..

أما التعصب لمذهب أو نحلة من النحل الباطلة فذلك أشد وأنكى وبعض هؤلاء المتعصبة لا حجة لهم إلا أنهم ورثوا هذا الرأي أو المعتقد عن آبائهم وأجدادهم، وتلك حجة داحضة عاتب الله القائلين بها، وعاب القرآن أصحابها الذين قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢، ٢٣].

ومن صور التعصب أن يظل الأتباع المقلدون على رأي شيخهم وإن تُخلى عنه وتبين له الحق في خلافه بحجة أن هؤلاء الأتباع ثابتون على الحق وإن تغير عنه من تغير، ولو ذهبت تناقش هؤلاء الأتباع لم تجد عندهم من قوة الدليل ما يناقشون به أو يدعم ثباتهم.

إن الثبات على الحق المدعوم بالدليل شيء، والتعصب لما ألفه الإنسان وسار عليه فترة من حياته شيء آخر.

---

(١) «أدب الطلب» للشوكاني عن «مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين» (٨٦).

ومن صور التعصب المذموم التمسك والقول بتبديع أو تفسيق من لا يستحق التبديع والتفسيق..

وأعظم من ذلك أن يطلق الكفر على مسلم لا يجوز إطلاق الكفر عليه.. وهذا عظيم عند الله.. وأولى بالإنسان أن يحفظ لسانه عن القول بلا علم، وإلا رجع عليه قوله.

أيها المسلمون.. وكما يعاب على المرء التعصب في أمور الدين يعاب عليه التعصب في أمور الدنيا- وإن كان الأول أعظم- فبعض الناس يصر على إنفاذ رأيه وإن كان مخطئًا وآخرون من الناس ينتقد تصرفات الآخرين وإن كانت حقًا.. إن المرونة المتزنة مطلوبة.. وأن تقدير وجهات نظر الآخرين دليل على رجاحة العقل، وسعة الصدر والأفق.

وإن الاستماع إلى الرأي الآخر مؤشر للتعقل والحكمة وإن التخلق بالحوار المثمر دليل على الوعي، ولو تعصب كل إنسان لرأيه لفسدت الحياة وتفارق الأحياء.



الخطبة الثانية:

عباد الله والتعالم آفة أخرى يصاب بها بعض الناس فيعتقد أنه عالم بكل شيء. . وقد يكون يجهل معظم الأشياء وقد يسوِّغ المتعالم لنفسه أن يتحدث في كل شيء وهو لا يجيد الحديث إلا في بعض الأشياء. . وقد ينصب من نفسه مفتيًا في كل شيء. . ويرى أن من العيب أن يقول أحيانًا لا أدري. . مع أنها نصف العلم يقول ابن حزم رحمه الله: لا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدخلاء فيها، وهم من غير أهلها، فإنهم يجهلون ويظنون أنهم يعلمون ويفسدون ويقدرون أنهم يصلحون» إنك ترى من الناس من يكتب متخوضًا في كل شيء، وقد يأتي بالعجائب، بل وفي الطوام فيما يكتب أحيانًا. . ويفهم النصوص على غير ما وضعت له، وربما اتهم أشخاصًا عالمين بما ليسوا أهلًا للإتهام به.

وقد ترى أو تسمع من شاب صغيرٍ حديثًا أو فتوى في أمر عظيم. . لو عرضت على أمثال عمر لجمع لها أهل بدر. .

-وربما سمعت إلى فتوى تعجب منها النساء فضلًا عن الرجال لغرابتها. . ولا ضير على من سأل عن ما لا يعرف أن يجيب بلا أدري. . ومن روائع ما يروى عن العلماء الربانيين في هذا، قال الزهري عن خالد بن أسلم: خرجنا مع ابن عمر فمشى فلحقنا أعرابي فقال: أنت عبد الله بن عمر؟ قال: نعم، قال: سألت عنك فدللت عليك، فأخبرني: أترث العمة؟ قال (ابن عمر) لا أدري، قال: (الأعرابي) أنت لا تدري؟ قال: نعم، اذهب إلى العلماء بالمدينة فسألهم فلما أدبر قبَّل يديه وقال: نعمًا قال أبو عبد الرحمن سئل عما لا يدري فقال: لا يدري[1].

---

(١) «مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين» (٩٥).

ونقل ابن القيم: وصح عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما: من أفتى الناس في كل ما يسألونه عنه فهو مجنون وقال ابن مسعود: من كان عنده علم فليقل به، ومن لم يكن عنده علم فليقل: الله أعلم فإن الله قال لنبيه: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].

وقال مالك: من فقه العلم أن يقول لا أعلم، فإنه عسى أن يتهيأ له الخير، وقال الشعبي: (لا أدري) نصف العلم»[١].



(١) إعلام الموقعين: ٢/ ١٨٥.

الدَّيْن[١]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره . . .

أيها المسلمون ثمة حقوق يتساهل بها بعض الناس مع أن أمرها عظيم عند الله، وثمة قضية يستهين بها نفر من المسلمين وهي ليست كذلك في شريعة الإسلام.. إنها حقوق الخلق، ومنها الدَّيْن أخذًا أو عطاءً، قضاءً واقتضاءً كتابة للعقد، وإشهادًا على الدَّيْن.. وحرص على الوفاء.. وعدم مماطلة في الأداء..

إن أطول آية في كتاب الله هي آية الدَّيْن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

روى الإمام ابن جرير وعنه ابن كثير عن سعيد بن المسيب رحمه الله أنه بلغه أن أحدث القرآن بالعرش آية الدَّيْن[٢] وفي الآية أحكام وآداب وتنبيهات على كل مسلم أن يعقلها ويعمل بها.. وإنما يقع الخلل وتكثر المشاكل والمظالم حين يكون التهاون بشيء من هذه الأحكام والآداب.

وإذا كان الله يقول ﴿وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فما بال نفر من المسلمين يتساهلون في هذه المعاملات، ويعتمدون بزعمهم على الثقة.. وينسون أن هذه الكتابة لا تخرم مروءة ولا تلغي ثقة، إنما هو الضبط والاحتياط وحفظ الحقوق واستنطاق الشهود.

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في ٢٢/٢/١٤٢٩هـ. (٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٩٥)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢]
قال ابن كثير: هذا إرشاد منه تعالى لعباده المؤمنين إذا تعاملوا بمعاملات مؤجلة أن يكتبوها، ليكون ذلك أحفظ لمقدارها، وميقاتها، وأضبط للشاهد فيها[١].

إخوة الإسلام ليس عيبًا أن يكون الإنسان فقيرًا، ولا حرج إن احتاج إلى سلفة أو دَّيْن من الآخرين، وليس فخرًا، أو دليلًا على الرضى أن يكون الإنسان غنيًا.. فالفقير مبتلى بالفقر وقد يكون خيرًا له، والغني مبتلى بالمال وقد يكون فتنة له ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٣] وإذا مدح الفقير الصابر، فيمدح الغني الشاكر.

ولكن العيب أن يستدَّيْن المرء أو يستقرض ما يعلم من نفسه العجز عن الوفاء به وعيب آخر وأعظم أن يأخذ المرء أموال الناس وهو ينوي التلاعب بها وعدم سدادها، ومماطلة أصحابها.

وإذا كانت النوايا يعلمها علام الغيوب فهو تعالى يعين من أخذ حقًا يريد أداءه ويتلف من أخذ شيئًا وهو عازم على جحده أو المماطلة فيه.

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله**»[٢].

أيها الناس وبقدر ما يعين الله من أحسن ظنه بالله، وصدق مع خلقه في أداء الحقوق وتيسير القضاء.. فكذلك يتلف الله من أضمر نية المماطلة وساء ظنه بربه، وأساء في تعامله مع الخلق.

وبقدر ما يكون الله مع الدائن (الصادق) حتى يقضي دَّيْنه.. يتخلى الله عن

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٩٥).
(٢) (ح٢٣٨٧).

المماطل المتلاعب.. والوعيد هنا شديد، وعبارة (أتلفه الله) وقف عندها العلماء وقال ابن حجر رحمه الله: ظاهر أن الإتلاف يقع له في الدنيا، وذلك في معاشه أو في نفسه وهو علم من أعلام النبوة، لما نراه بالمشاهدة ممن يتعاطى شيئًا من الأمرين، وقيل المراد بالإتلاف عذاب الآخرة[١] وأيًا ما كان الأمر فهو تلف وهلاك!

-أيها الأغنياء المماطلون- ويا أيها الواجدون المتلاعبون بحقوق الخلق اتقوا الله واتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة.. وهل تعلمون أن هذه المماطلة مع القدرة على الوفاء تحل أعراضكم وعقوبتكم؟

قال عليه الصلاة والسلام: «**مطل الغني ظلم**»[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لي الواجد يحل عقوبته وعرضه**»[٣].

والواجد هو القادر المتلاعب بالوفاء.. وهذا تحل عقوبته حتى السجن، وتحل عرضه بالشكاية والشكوى والتحسب ورفع الصوت، فإن لصاحب الحق مقالًا.. وقد صح الخبر أن النبي ﷺ «أتاه رجل يتقاضاه فأغلظ له، فهم به أصحابه فقال: **دعوه فإن لصاحب الحق مقالًا**»[٤].

بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما أطيبك حيًا وميتًا، وما أحسنك وأكرمك وأعدلك قاضيًا أو متقاضيًا.. تعلم الناس حسن القضاء وأدب الاقتضاء.

ورغمت أنوف تتطاول على الناس بأخذ حقوقهم.. ثم هي تتلاعب وتماطل فإذا كانت الشكوى كانوا قومًا خصمين، وللحق منكرين، ولربما لشهادة الزور طالبين.. ألا شاهت وجوه تلك تعاملاتها وأتلف الله من أخذ أموال الناس يريد

---

(١) «الفتح» (٥/ ٥٤).
(٢) رواه البخاري (ح٢٤٠٠).
(٣) (ح٢٤٠٠).
(٤) أخرجه البخاري (ح٢٤٠١).

إتلافها، وأدى الله عن أناس ينوون القضاء ويحسنون الأداء، وفضل الله يؤتيه من يشاء.

عباد الله على أن أمر الدَّيْن من الخطورة بحيث ترك النبي ﷺ الصلاة -في أول أمره- على أصحاب الدَّيْن، فقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالرجل المتوفى عليه الدَّيْن، فيسأل: هل ترك لدَّيْنه قضاءً؟ فإن حدث أنه ترك وفاءً صلى، وإلا قال للمسلمين صلوا على صاحبكم، قال: فلما فتح الله على رسوله كان يصلي ولا يسأل عن الدَّيْن، وكان يقول: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفى من المؤمنين فترك دَّيْنا أو كلًا أو ضياعًا فعلي وإلي، ومن ترك مالًا فلورثته[١].

إنه أمر عظيم أن يدع النبي ﷺ الصلاة -في أول أمره- على من مات وعليه دَّيْن وأمر عظيم كذلك أن يصلي ويتحمل الدَّيْن والعيال والضياع بعد أن فتح الله عليه . . .

أما الحكمة من ترك الصلاة على أهل الدَّيْن، فقد قال العلماء: كأن الذي فعله ﷺ من ترك الصلاة على من عليه دَّيْن ليحرض الناس على قضاء الديون في حياتهم، والتوصل إلى البراءة منها لئلا تفوتهم صلاة النبي ﷺ[٢].

أيها المؤمنون والدَّيْن من الخطورة والتشديد كذلك بحيث أنه قد يكون سببًا في حجب صاحبه عن الجنة -وإن كان مستحقًا لها حتى يقضى عنه الدَّيْن- فقد أخرج النسائي بسند حسن عن محمد بن جحش رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فرفع رأسه إلى السماء ثم وضع يده على جبهته ثم قال: سبحان الله! ماذا نزل من التشديد؟ فسكتنا وفزعنا، فلما كان من الغد سألته: يا رسول الله ما

---

(١) «جامع الأصول» (٤/ ٤٦٦).
(٢) «الفتح» (٤/ ٤٧٨).

هذا التشديد الذي نزل؟ فقال: والذي نفسي بيده لو أن رجلًا قتل في سبيل الله ثم أحي ثم قتل ثم أحي ثم قتل وعليه دَّيْن ما دخل الجنة حتى يقضى عنه دَّيْنه[١].

عباد الله إنها حقوق الخلق لا بد من الخلاص منها، وهناك في يوم القيامة تنقطع المقاضاة المالية، ويبقى القضاء بالحسنات أخذًا أو بالسيئات تحميلًا وثقلًا.. وليس يخفى أن في عداد المفلسين يوم القيامة من أتى وقد سفك دم هذا.. وأكل مال هذا.. فيؤخذ لهذا من حسناته.. ولهذا من حسناته فإن فنيت حسناته -قبل أن يقضى ما عليه- أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار.

عباد الله وإذا أفلس المدَّيْن وكثر غرماؤه حجر عليه، ومن حق الحاكم أن يقسم ما بقي من ماله على غرمائه، فعن كعب بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ حجر على معاذ بن جبل ﷺ ماله، وباعه في دَّيْن كان عليه[٢].

ثم بعثه النبي ﷺ (معاذ) إلى اليمن ليجيره بذلك.

وإياكم والدَّيْن فإن أوله هم وآخره حصد للمال.. كما قال عمرو ﷺ، وفي زمن عمر حجر على رجل من جهينة كما حجر النبي ﷺ على معاذ..

فقد روى الدارقطني في غرائب مالك بسند متصل: أن رجلًا من جهينة كان يشتري الرواحل فيغالي فيها فيسرع المسير فيسبق الحاج فأفلس فرفع أمره إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقال: أيها الناس إنه لا الأسيفع أسيفع جهينه قد رضي من دينه وأمانته أن يقال سبق الحاج، فأصبح وقد دَّيْن به -أي أحاط به الدَّيْن- فمن كان له عليه دَّيْن فليأتنا بالغداة فيقسم ماله بين غرمائه، وإياكم والدَّيْن فإن

(١) «جامع الأصول» (٤/ ٤٦٤) في التغليظ في الدَّيْن، وحسَّن إسناده المحقق.

(٢) رواه الدارقطني والحاكم وصححه، وأخرجه أبو داود مرسلًا «سبل السلام» (٣/ ٨٧٧).

أوله هم وآخره حرب (أخذ المال كله)[١].

إياكم عباد الله وإفلاس الدين أو الدنيا، وإياكم ومراكمة الديون، وسوء القضاء فالعافية لا يعدلها شيء، ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، وكلوا مما رزقكم الله حلالًا طيبًا. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٢٩، ٣٠].



(١) «سبل السلام» (٣/ ٨٧٨، ٨٧٩).

الخطبة الثانية:

أيها المسلمون.. وإذا قيل الكثير عن التحذير من الديون.. فيقال الكثير عن الأمر بحسن الوفاء وحسن القضاء، وإنظار المعسر، والتفريج عن المكروب، كيف لا وفي الهدي النبوي: «**من أنظر معسرًا أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله**»(١).

وحوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء، إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسرًا، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال: قال الله ﷻ: «**نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه**»(٢).

وطلب أبو قتادة غريمًا له فتوارى عنه، ثم وجده، فقال: إني معسر فقال: آلله؟ قال: آلله، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه**»(٣).

يا عباد الله خيار المسلمين أحسنهم قضاء، ومحمد ﷺ قدوة هؤلاء الخيار المحسنين في القضاء.. ولكم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، وقد جاءه رجل يتقاضاه في سن من الإبل، فقال أعطوه، فطلبوا سنه فلم يجدوا إلا سنًا فوقها، فقال أعطوه، فقال (الرجل) أوفيتني وفاك الله، فقال النبي ﷺ: «**إن خيركم أحسنكم قضاء**»..

يخطئ من يظن أنها شطارة ومهارة أن يتحايل على الناس بأكل حقوقهم أو تأخيرها.. ومسكين من لا يفارق المحاكم مدافعًا بنفسه بالباطل أو مقيمًا له

---

(١) أخرجه الترمذي وصححه، وهو بمعناه عند مسلم «جامع الأصول» (٤/ ٤٥٧).

(٢) أخرجه مسلم والترمذي، مسلم رقم (١٥٦١) والترمذي (١٣٠٧) «جامع الأصول» (٤/ ٤٥٨).

(٣) أخرجه مسلم رقم (١٥٦٣).

محاميًا يلحن في حجته وليس له عند الله برهان..

إنه واقع يدمي القلب.. أن ترى الرجل يعتاد المساجد.. ويطيل الركوع والسجود، وربما بكى لسماع القرآن.. لكنك إذا تقصيت أمره وجدته ماكرًا محتالًا، كذابًا.. أكولًا لأموال الناس بالباطل.. أي دين هذا؟ وأي أمانة أو خشية تلك، وأين نهي الصلاة عن الفحشاء والمنكر..؟

ويدمي القلب أكثر حين تسمع عن مداينات تتكئ على الربا، وتتجاوز ما أحل الله إلى ما حرم الله، و﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥] ومن فعل ولم ينته -من الربا- فليأذن بحرب من الله ورسوله، ومن تاب فله رأس ماله لا يَظلم ولا يُظلم، ويتوب الله على من تاب.. ألا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم.. لقد أبصر الناس بأم أعينهم كيف تصرمت أموال تصرم النار الهشيم، وكانت عبرة لمن اعتبر حين أمسى أناس وهم في عداد الأثرياء فأصبحوا وهم في عداد الفقراء البؤساء.. أليست هذه نذر أو ليس فيها محق للربا؟ ولا تزال آثار النازلة المالية موجعة لعدد من الأغنياء.. وغيرهم من باب أولى.. فاعتبروا يا أولي الألباب!

أيها المسلم من علائم تقواك أن تكتفي بما أحل الله لك في البيع والشراء ومن علائم رشدك وكمال عقلك أن تكتب مالك وما عليك من الديون فلا تضيِّع شيئًا من حقوقك، ولا توقع الورثة في إشكال مع مدَّيْنيك..

أيها الأبناء ومن أسرع البر بآبائكم وأمهاتكم أن تقضوا ديونهم فور وفاتهم، فذممهم مرهونة بالدَّيْن حتى يقضى عنهم..

ألا وأكثر الله من وسطاء الخير الذين يتحملون ما يستطيعون عن المدَّيْنين عمومًا، وعن الموتى على وجه الخصوص.. وهنا يذكر نموذج (أبي قتادة رضي الله عنه)

فقد امتنع رسول الله ﷺ يومًا عن الصلاة على مدَّيْن بثلاثة دنانير، حتى قال أبو قتادة: صل عليه يا رسول الله وعلي دَّيْنه، فصلى عليه[١].

أيها المسلمون تعوذوا من الدَّيْن حتى تسلموا من غوائله، وادعوا ربكم أن يغنيكم عنه وفي البخاري (باب من استعاذ من الدَّيْن) وبه ساق الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة، ويقول: «**اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم، فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ يا رسول الله من المغرم؟ قال: إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف**»[٢].

اللهم إنا نستعيذك مما استعاذك منه نبيك محمد ﷺ، ونعوذ بك من المأثم والمغرم، ونعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل، ومن غلبة الدَّيْن وقهر الرجال..



(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح٢٢٨٩).
(٢) (ح٢٣٩٧).

أصحاب السبت[1]

الخطبة الأولى:

إخوة الإسلام.. قصة تكرر عرضها في القرآن.. وقوم مسخوا قردة خاسئين.. فعلة شنيعة.. ومنكر ظهر، وتحايل مكشوف كانت الوقعة.. واختلفت المواقف.. وصار القوم فرقًا ثلاثة.. فاعلون للمنكر.. وساكتون عن الإنكار متهاونون بالنصيحة، وثالثة منكرون معتزلون للمنكر..

وفي النهاية.. أنجى الله الذين ينهون عن السوء.. وأخذ الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون.

إنها قصة وفي ثناياها عبرة.. ليس فقط للذين عاشوا أحداثها بل ولمن جاء بعدهم، ويقرأ مواقفهم ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٦٦].

كم يتكرر مثل هذا الموقف، وكم يختلف الناس حيال إنكار المنكر والقرآن وهو يعرض للقص ينبه الغافلين.. ويذكر بمصير الظالمين كم نحتاج إلى تدبر القرآن.. وكم نحتاج إلى تأمل قصص القرآن.. و﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.. تعالوا إلى هذه القصة نعرض لها باختصار ونقف عند أبرز دروسها وعبرها.

حين يكون الحديث عن انحرافات اليهود وحيلهم وتمردهم على شرع الله وأوامره وعصيانهم للأنبياء والمرسلين، فتلك مساحة كبرى، يكفي في شناعتها ما قصة القرآن من مواقف مشينة لهؤلاء القوم، فمن عبادة العجل إلى قصة البقرة

(١) ألقيت هذه الخطبة في ٧/ ٢/ ١٤٢٩هـ.

إلى إيذاء موسى، بل وقتل عدد من الأنبياء، فضلًا عن التكذيب والأذى وليس الحديث عن انحرافات يهود واستجماعًا لموقف اليهود ولكن يكف أن نقف على مشهد من هذه المشاهد المخزية في تاريخ اليهود في قصة واحدة تكرر عرض القرآن عنها.. لبيان الحقيقة من جانب، ولأخذ العبرة والموعظة من جانب آخر.

إنها قصة أصحاب السبت وما أدراك ما أصحاب السبت؟

هم الذين قال الله عنهم في سورة البقرة ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥].

وفصَّل القول عنهم في سورة الأعراف فقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

لقد طلب أولئك القوم أن يكون لهم يوم راحة مقدس، فجعل لهم الله يوم السبت مقدسًا لا يعملون فيه للمعاش. وقد حرم الله عليهم أن يعملوا في السبت شيئًا، فابتلاهم الله بالحوت يخرج ويتكاثر يوم السبت.. وكان ابتلاءً لم تصمد له يهود.. وهل تتركه اليهود وفاءً بعهدٍ أو استمساكًا بميثاق؟ إن هذا ليس من طبع يهود وقد قال الله عنهم: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [المائدة: ١٣].

لقد اعتدى اليهود في السبت.. وبطريقة ملتوية، وظنوا أنهم يخدعون الله وهو خادعهم، فراحوا يحوطون على الحيتان في يوم السبت ويقطعونها عن البحر بحاجز ولا يصيدونها.. لقد وضعوا لها الحبائل والشخوص والبرك قبل يوم السبت، فلما جاء السبت وكثرت الحيتان نشبت في هذه المصائد..

فيتركوها حتى انقضى ذلك اليوم تحيلًا ومخادعة.. فأخذوها.. وقالوا إنما نهينا عن السبت فلم نأخذها حتى ذهب ذلك اليوم..

وحيث أن الجرم كبير.. والمخادعة مع الله.. كانت العقوبة مسخًا حولهم إلى عالم الحيوان والبهيمة حيث لا إرادة له، ولا عهد يرعاه.. ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥].

قال قتادة: صار القوم قردة تتعاوى لها أذناب بعد ما كانوا رجالًا ونساءً.

قال ابن كثير: والصحيح أن مسخهم قردة معنوي وصوري، ولم يكن معنويًا لا صوريًا كما نقل عن مجاهد(١).

ومن دروس قصة أصحاب السبت:

١- أن الاستسلام لأمر الله في أوامره ونواهيه سبب للبقاء، وطريق لسعادة الدنيا والآخرة ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء: ٦٦].

٢- وفي المقابل فإن الإعراض والصدود والعصيان والتمرد سبب للهلاك والعقوبة ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥].

٣- استحلال المحارم والاعتماد على الحيل نهج خاطئ مارسه اليهود في القديم واستخدموه في زمن النبوة، ولا زالوا يتوارثون حتى يومنا هذا..

٤- حين ينزل العقاب للمجرمين يشملهم والساكنين المداهنين وينجي الله الذين اتقوا ونهوا عن السوء.. ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾(٢) [الأعراف: ١٦٥] فلا بد

---

(١) «السير» (١/ ١٥٣).

(٢) ومع اختلاف العلماء في مصير الساكتين فقد قال قتادة رحمه الله فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم (القرطبي ١/ ٤٤٠).

من إنكار المنكر إبراءً للذمة ونصحًا للأمة ونجاة من العقوبة الإلهية.

٥- في قصص الهالكين عبرة وموعظة ليحذروا صنيعهم، ولا يقعوا في أخطائهم ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٦٦].

٦- يحذر النبي ﷺ أمته من صنيع هذه الأمة المغضوب عليها، وينهاهم عن استحلال محارم الله بأدنى الحيل، ويقول: «**لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل**»[1].

وكم يعمد ضعاف الإيمان من هذه الأمة إلى أنواع من الحيل، ولاسيما في تعاملاتهم، وتحيلهم على الحرام، وظنهم الخاطئ أن ذلك يجعل من الحرام حلالًا، أو من المتشابه إلى الواضح النقي ألا فاحذروا الحيل يا من تتعاملون مع من يعلم السر وأخفى، ودعوا ما يريبكم إلى ما لا يريبكم، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يوقع فيه.

٧- وهذه الأمة اليهودية كتب الله عليها البؤس والشقاء، وحكم عليهم ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسوءهم سوء العذاب، عن موسى عليه السلام حيث ضرب عليهم الخراج سبع سنين أو ثلاث عشرة سنة لما تعلم إلى قهر الملوك اليونانيين والكسانيين، والكلدانيين، ثم صاروا في قهر النصارى وإذلالهم.. حتى جاء الإسلام وقاتلهم النبي وأخرجهم المسلمون.. وإلى زمننا هذا وهم محل كره العالم وسخطه وصدق الله ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

٨- وأخيرًا فقد خاب وخسر من باع دينه بدنياه، وتغش الفواحش مخادعة وحيلًا، وحبل الخداع قصير، وطريق المكر موصد، وعاقبة الفساد في الأرض

---

(١) الحديث جوَّد إسناده الحافظ ابن كثير في «التفسير» (١/ ١٥٤).

مشينة.. وهل تعلمون أن بعض المصادر الرسمية الصهيونية تشير إلى أن أكثر من ١٢٤ صهيونيًا أقدموا على الانتحار منذ بداية العام الحالي وإن أكثر من ألف ومائة شخص منهم وصلوا إلى مراحل نهائية في التفكير بالانتحار؟

إنها عقوبة معجلة، وشعور بالقلق لم يمنعه حيازة الأسلحة النووية، ولم يعطله الشعور بالغلبة.. أنهم يعانون في داخلهم ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].



الخطبة الثانية:

إخوة الإسلام ثمة أمور شركية أو بدعية تقع في هذا الشهر صفر، منها ما كان من أمر الجاهلية القديمة، ومنها ما كان من أمر الجاهلية المعاصرة أما ما كان يمارسه أهل الجاهلية الأولى في شهر صفر، فهو التشاؤم بهذا الشهر، وكانوا يقولون أنه شهر مشئوم، فأبطل الإسلام ذلك وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر**»(١).

قال العلماء: والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها، وكذلك التشاؤم بيوم من الإيمان كيوم الأربعاء، ومثله تشاؤم أهل الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة.

وكل ذلك من عوائد الجاهلية التي أبطلها الإسلام.. فالشهور والأيام ليست محلًا للتشاؤم والتطير.. وكل شيء بقدر الله، فهو وحده مانح الخير ودافع الضر..

كما كان أهل الجاهلية يحلون المحرم، ويحرمون صفر مكانه وكل ذلك.. وينسئون ويتلاعبون بالأشهر الحرام ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٧] الآية.

أما بدع الجاهلية المعاصرة.. فمن أبرزها في هذا الشهر ما يسمى بعيد الحسنات، وهو من أعياد النصارى المحدثة في دينهم.. وهذا العيد أحدثه النصارى وليس في دينهم، وإنما قلدوا فيه عبدة الأوثان.. ولقد أنكر أئمة

---

(١) أخرجاه في الصحيحين.

النصارى أصل عيد الحب في وقتهم لما سببه من فساد لشعوبهم.. هذا وهم ضالون، وليس بعد الكفر ذنب..

ولذا فإن الواجب على المسلمين إنكار مثل هذه الأعياد المحدثة، وعدم التشبه بهم أو تقليد أهل الضلال في انحرافاتهم.. لاسيما في زمن باتت هذه الأعياد تعرض في القنوات العالمية ويشاع فيها من الفجور والدجل ما قد ينخدع به البسطاء فعلى المسلمين أن يعتزوا بإسلامهم، ويستمسكوا بهدي نبيهم، ولا يدعوا فرصًا للشيطان بدعوى.. مشاركة الآخرين في مناسباتهم.. أو بدعوى تقريب الأديان.. أو زمالة بني الإنسان أو نحو ذلك من علل تنقض عرى التوحيد.. وتؤدي إلى التشبه بالآخرين ومن تشبه بقوم فهو منهم، ومحبة الله ومحبة ما يحبه الله لا تجتمع مع محبة الكفر وأهله..

فاحذروا معاشر المسلمين من هذه البدع المحدثة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار..



أبو محذورة رضي الله عنه بين الاستهزاء والاستقامة[1]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره . . .

عباد الله: قصة طريفة لكنها تحمل معان عظيمة، وموقف ساخر في البداية، لكنه يتحول إلى هداية واستقامة.

أجل.. بالتربية والتوجيه وحسن الأدب ولطيف العبارة تحول شاب من ساخر بالآذان إلى مؤذن ندي الصوت يتوارث الآذان من بعده ولده، وولد ولده في المسجد الحرام..

لست أدري أأحدثكم في هذه القصة عن الآذان وفضله وطول أعناق المؤذنين يوم القيامة؟ أم أحدثكم عن الشباب ومراهقته أم يكون الحديث عن آثار التربية ولطف المعاملة وحاجتنا إليها أم أكتفي بسياق القصة ليستفاد منها هذه المعالم وغيرها؟ لكني أبادر بالقول أن قصة اليوم من عهد النبوة.. ومحمد ﷺ هو المشرف والموجه فيها.. أما صاحب القصة فهو أحد صحابة رسول الله ﷺ، مؤذن المسجد الحرام أوس بن مِعْير بن لوذان بن ربيعة بن سعد بن جمح.. ولئن اختلف في اسمه فهو مشهور بكنيته (أبي محذورة الجمحي) رضي الله عنه وأرضاه.

والقصة وردت بسياقين بينهما بعض الاختلاف، ولعل بعضهما يكمل بعضًا.

- السياق الأول: أورده ابن عبد البر رحمه الله -في الاستيعاب- بسنده إلى أبي محذورة قال: خرجت في نفرٍ عشرة، فكنا في بعض الطريق حين قفل

(١) ألقيت هذه الخطبة في ١١/ ٧/ ١٤٢٥هـ.

رسول الله ﷺ من (حنين) فأذن مؤذن رسول الله ﷺ بالصلاة عنده، فسمعنا صوت المؤذن ونحن متنكبون، فصرخنا نحكيه (ونستهزئ به) فسمع رسول الله ﷺ الصوت، فأرسل إلينا، إلى أن وقفنا بين يديه فقال: أيكم الذي سمعت صوته قد ارتفع؟ فأشار القوم كلهم إلي -وصدقوا- فأرسلهم وحبسني، ثم قال قم فأذن بالصلاة، فقمت ولا شيء أكره إلي من رسول الله ﷺ ولا مما يأمرني به، فقمت بين يديه فألقى علي رسول الله ﷺ التأذين هو بنفسه فقال: قل: الله أكبر الله أكبر.. فذكر الآذان ثم دعاني حين قضيت التأذين فأعطاني صرة فيها شيء من فضة ثم وضع يده على ناصيتي ثم من بين ثديي، ثم على كبدي، حتى بلغت يد رسول الله ﷺ سرتي، ثم قال رسول الله ﷺ **«بارك الله فيك وبارك عليك»** فقلت يا رسول الله: مرني بالتأذين بمكة؟ قال: **أمرتك به**، وذهب كل شيء كان في نفسي لرسول الله ﷺ من (كراهة) وعاد ذلك كله (محبة) لرسول الله ﷺ، فقدمت على عتاب بن أسيد (عامل رسول الله ﷺ بمكة) فأذنت معه بالصلاة عن أمر رسول الله ﷺ[١].

أيها المسلمون أما السياق الثاني للقصة فقد أورده الذهبي في سيره.. وبسند صحيح أيضًا - عن أبي محذورة قال: لما رجع النبي ﷺ من (حنين) خرجت عاشر عشرة من (مكة) نطلبهم، فسمعتهم يؤذنون للصلاة، فقمنا نؤذن (نستهزئ) فقال النبي ﷺ: لقد سمعت في هؤلاء تأذين إنسان حسن الصوت، فأرسل إلينا، فأذنا رجلًا رجلًا فكنت آخرهم، فقال حين أذنت، تعال، فأجلسني بين يديه فمسح على ناصيتي وبارك علي ثلاث مرات، ثم قال اذهب فأذن عند البيت الحرام، قلت كيف يا رسول الله؟ فعلمني الأولى كما يؤذنون بها، وفي الصبح (الصلاة خير من

---

(١) «الاستيعاب بهامش الإصابة» (١٢/ ١٣٦/ ١٣٨).

النوم) وعلمني الإقامة مرتين مرتين[١].

أيها المسلمون ماذا نستفيد من هذه القصة.. وما هي معالم التربية في سيرة النبي المعلم ﷺ؟ وكيف نتعامل من الخطأ والمخطئ؟

إن القصة لمن تأمل لا تبدأ بالعنف والتوبيخ، وإن كان الخطأ واضحًا، والسخرية يعترف بها أصحابها.. ولكن النبي ﷺ يبدأ بالتثبت لمن وقع منه الفعل، فلا يؤخذ المتهم بجريرة المخطئ وإذا علم المخطئ كان التعامل مع الخطأ بطريقة تربوية حكيمة يعود المخطئ من كره النبي إلى محبته، ومن كره الآذان والاستهزاء به إلى محبة له تتعمق فيه وفي نسله من بعده.

إن الشباب له نزواته ولكنه سهل قريب للخير إذا وجد من يأخذ بيده ويشجعه.. وكذلك صنع الرسول ﷺ بأبي محذورة، فهو يأمره بالآذان ويعلمه كيف يؤذن، ثم لا يبخل عليه بهدية تفتح نفسه وتحببه لمن أهدى إليه، بل يزيد النبي ﷺ فيمسح بيده الشريفة من ناصيته حتى بلغت يده سرة أبي محذورة.. ثم يتبع رسول الله ﷺ ذلك بالدعاء والتبريك لأبي محذورة.. ثم يختم الموقف النبوي بإعطاء الثقة واستثمار الموهبة لهذا الشاب ليكون مؤذن المسجد الحرام؟ ما أروعها من أساليب في التربية، وما أحوجنا إلى هذه القيم الرفيعة في المعاملة والدعوة، وكم هي كنوز التربية في السيرة النبوية.

إخوة الإسلام إنها معالم في التربية ما أحوج الآباء والمربين والدعاة والمتحدثين إلى فهمها وممارستها..

وإذا تحدث المتخصصون في التربية كان لهم في رحاب السيرة النبوية متسع

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في الصلاة، والنسائي وأحمد بهذا الإسناد، وأخرجه غيرهم «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١١٨).

في الحديث، وكان لهم في رسول الله أسوة حسنة.

أيها المسلمون إنما أنتم مبشرون لا منفرون، ولن تسعوا الناس بأرزاقكم ولكن تسعوهم بأخلاقكم.. ولكم في رسول الله قدوة في تحويل الأخطاء إلى سلوكيات منضبطة.. وفي تحويل المستهزئين الطائشين إلى أحلاس مساجد تتجاوب جبال مكة مع تكبيرهم وندائهم بالآذان، ويشهد الناس لأبي محذورة بنداوة الصوت وحسن النغمات حتى قال الشاعر:

أما ورب الكعبة المستورة — وما تلا محمد من سورة

والنغمات من أبي محذورة — لأفعلن فعلة منكورة[1]

زار عمر رضي الله عنه مكة، وأبو محذورة مؤذن المسجد الحرام، فأذن أبو محذورة ثم جاء يسلم على عمر فقال له عمر: ما أندى صوتك.. قال علمت أنك قدمت فأحببت أن أسمعك صوتي.

وبقي أبو محذورة على العهد والإيمان وقضى عمرة مؤذنًا للمسجد الحرام، وكان اللقاء الأول الذي كرهه مع رسول الله ﷺ- البداية لسعادته-، ألا ما أروعك يا نبي الله في حربك وسلمك، وفي تعاملك مع أصحابك وأعدائك ولا غرابة فقد أدبك ربك فأحسن أدبك وشهد لك بحسن الخلق والرأفة والرحمة ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

❁ ❁ ❁

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١١٨)

الخطبة الثانية:

إخوة الإسلام من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ويهديه للإسلام وقد أراد الله لأبي محذورة خيرًا، أما أخوه (أنيس) فقد قتل ببدر كافرًا[١].

أما أبو محذورة فهو صاحب النبي ﷺ، ومؤذن المسجد الحرام أسلم في قصة طلب النبي ﷺ له حين كان يحاكي الآذان استهزاء، فأسلم يومئذ، كما قال ابن عبد البر[٢]، أما ابن سعد فقال: أسلم أبو محذورة يوم فتح مكة، وأقام بمكة ولم يهاجر[٣].

وقال الواقدي: كان أبو محذورة يؤذن بمكة إلى أن توفي سنة تسع وخمسين، فبقي الآذان في ولده وولد ولده إلى اليوم بمكة[٤].

وهذا يعني أن أبا محذورة بقي مؤذنًا قرابة نصف قرن.. وبقي الآذان في ولده قرابة قرنين من الزمان إلى زمن الرشيد العباسي[٥] كم في الآذان من فضائل.. وكم للمؤذنين من فضل، فهم أطول الناس أعناقًا يوم القيامة، والشجر والحجر والإنس والجن، والرطب واليابس يشهد لهم يوم القيامة[٦].

وبشراكم معاشر المؤذنين بهذا الحديث: «**من أذن ثنتي عشرة سنة وجبت له الجنة، وكتب له بتأذينه في كل يوم ستون حسنة، وبإقامته ثلاثون حسنة**»[٧].

وهنيئًا لكم -معاشر المؤذنين- وأنتم أول داخل للمسجد، تذكرون الغافل

---

(١) «الاستيعاب بهامش الإصابة» (١٢/ ١٣٣).

(٢) السابق (١٢/ ١٣٤).

(٣) «الطبقات» (٥/ ٤٥٠).

(٤) «الطبقات» (٤٥٠).

(٥) «جمهرة أنساب العرب» (١٦٣).

(٦) «الفتح» (٢/ ٨٨).

(٧) رواه ابن ماجه والحاكم وغيرهم بسند صحيح «صحيح الجامع» (٥/ ٢٣٦).

بالآذان، وتوقظون النائم مع انشقاق الفجر، ثم تمكثون في المسجد.. تصلون من النوافل ما كتب الله لكم، وتقرأون من كتاب الله أو تذكرون الله وتسبحونه بما لا يتوفر لغيركم- إلا لمن شارككم التبكير للمسجد وفضل الله يؤتيه من يشاء..

وهنا لفتةٌ فكم تشكو المساجد من قلة التبكير إليها، وقد مرت أزمان كان المؤذن يسبق إلى المسجد. فأين المرابطون في المسجد قبل أو مع الآذان.. وأين الباقون في المساجد بعد الصلاة يتلون كتاب الله أو يصلون أو يسبحون ويهللون ويحمدون؟ أولئك رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار..

لقد ضعف وردنا اليومي للقرآن، ولو عودنا أنفسنا التبكير للمسجد، أو المكوث فيه بعد الصلاة، لسهل علينا وردنا من القرآن ولعمرت المساجد أكثر، وإذا كانت هذه الظاهرة تستحق العناية والتذكير، فمن التحدث بنعمة الله أن نذكر أن هناك مساجد عامرة بالمرابطين فيها قبل وبعد الصلاة، وهناك مصلون أخذوا على أنفسهم أن يجلسوا في المسجد أدبار الصلات ليتفرغوا لتلاوة القرآن- أولئك مجاهدون ومرابطون-، ولهم من المشاغل والارتباطات ما لغيرهم، لكنهم محتسبون، وواثقون بأن كل نفس لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها..

فهل يا ترى يتشجع جماعة كل مسجد ويؤنس بعضهم بعضًا في الجلوس في المسجد ولو لوقت قليل، ولو بعض الأوقات.. ولو بعض الأيام.. و﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [الجاثية: ١٥] وبذكر الله تطمئن القلوب، ومنقبة للرجل أن يعرف بلزوم المسجد، وأن يكون من سواريه.

معاشر المسلمين عامة ومعاشر المؤذنين خاصة.. وعلم رسول الله ﷺ

أبا محذورة، صفة للأذان رواها (مسلم) في صحيحه (٣٧٩) وعن أبي محذورة أن رسول الله ﷺ علمه الآذان تسع عشرة كلمة، والإقامة سبع عشرة كلمة.. فذكرها[١].

أيها المؤمنون نداء الآذان شعار للمسلمين في سلمهم وحربهم وفي سفرهم وحضرهم، وحري بهذا النداء أن يقدر، وأن يجاب المنادي للصلاة.. بل وحري بالمسلم أن يسمع الآذان ويردد بعده ما ورد وأن يقول بعد الآذان هذا الدعاء «**اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمود الذي وعدته**» فمن قال ذلك حلت له شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة[٢].

كم نستهين أو نتغافل عن هذا الدعاء وهذا فضله، وكم نزهد في الآذان وتلك مرتبة المؤذنين وفضلهم.

اللهم لا تحرمنا فضلك.. واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.



(١) رواه أبو داود بسند صحيح «صحيح سنن أبي داود» (١/ ١٠٠).

(٢) رواه البخاري (ح٦١٤) «الفتح» (٢/ ٩٤).

كيف نستثمر الأجازة؟[1]

الخطبة الأولى:

الحمد لله القائل: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] وأشهد أن لا إله إلا الله جعل المال والبنين زينة الحياة الدنيا، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابًا وخير أملًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أوصانا بتقوى الله وذكرنا برعاية الأمانات والمسئوليات فقال «**كلكم راع ومسئول عن رعيته**» وقال «**لن تزول قدم عبد حتى يسأل عن أربع فذكر منها «وعن عمره فيما أفناه**» اللهم صل وسلم عليه..

إخوة الإسلام نحن اليوم على موعد للحديث عن وسائل وطرائق لاستثمار الأجازة الصيفية بما ينفع..

ولكن دعوني اذكر نفسي وإياكم بجملة من الأمور لا بد أن نتذكرها ونعيها جيدًا قبل الحديث عن الوسائل النافعة وهنا لا بد أن نتذكر عدة أمور ومن ذلك: هدف الوجود ومفهوم العبارة.. فخلقنا لغاية نبيلة ألا وهي تحقيق العبودية لله ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] والعبادة مفهوم شامل لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال.. فلنستحضر هذا الهدف دائمًا ولنحقق العبودية في مناكب الأرض أينما كنا.

وأمر آخر ألا وهو استشعار قيمة الوقت ومخاطر الفراغ فالوقت هو الحياة وهو أغلى ما نملك، وإذا أردت أن تتبين أقدار الناس وتفاوتهم في الدرجات فانظر إلى قيمة الوقت عندهم وكيف يستثمر..

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في ١٧/ ٥/ ١٤٢٦ هـ.

وإذا كان الفراغ مصيبة على مستوى الأمة والمجتمع فهو كارثة في حق الفتيان والفتيات إذا ما استغل في تدمير الذات أو تدمير الآخرين.. إنه طاقة لا بد من صرفها فيما ينفع، وإلا تحول إلى مشكلة تتجذر أبعادها، ويتحمل المجتمع مخاطرها ونتائجها والأمر الثالث سؤال يوجه للأولياء وللشباب، فهل يشعر الأولياء بمسئوليتهم كاملة تجاه أبنائهم.. هل يقدرون ظروفهم ويتحسبون لمشاكلهم، هل يفكرون جيدًا في استثمار أوقاتهم، هل يقدرون المشكلة حق قدرها وهل يكونون على مستوى المسئولية إن فئة من الأولياء لا تزال غائبة عن الرعاية والتوجيه، مشغولة بجمع الحطام، تاركة الحبل للغارب، وهذه النوعية مهما كانت قليلة فلها أثرها في جنوح الشباب وبلوى المجتمع بهم.

أما الشباب فيقال لهم هل تكرمون أنفسكم أم تذلونها وهل تكونون بناة مجد لبلادكم وأمتكم أم ترضون أن تكونوا مشكلة يبحث لها عن حلول وأرقامًا هامشية لا وزن لها ولا قيمة بل عبئًا على أهليكم ومجتمعكم؟ أين تطلعكم للمستقبل الواعد صلاحًا وهدى، وعلمًا وعملًا، منطقية في التفكير، وتقديرًا للمسئولية، واستثمارًا للفرص، واغتنامًا لزهرة الشباب، إن الآباء والأمهات يتطلعون إلى بركم، والمجتمع ينتظر فاعليتكم وإيجابيتكم وأنتم أهل للثقة.

عباد الله وإذا استقرت هذه المعاني في نفوسنا جميعًا.. كانت مهيئة لقبول البرامج النافعة، سواء كان ذلك في الأجازة أو غيرها، وإنما كان التركيز على الأجازة لكثرة الفراغ وتنوع البرامج الرسمية والأهلية والعائلية، وحسبي هنا أن أذكر بشيء من هذه الوسائل ومنها:

١- الأسرة القدوة وذلك عبر برامج متنوعة تستطيع الأسرة من خلالها أن تضرب النموذج الأمثل للأسر من حولها رعاية للأولاد واستثمارًا للأوقات

والطاقات.. فإن لم تسطع ذلك فلتخير أسرة ناجحة لتنظر في مسارها ولتستفيد من تجاربها، والمهم أن نذكر بالقدوة في أسرنا.

٢- الزيارات الهادفة كالزيارة للأقارب والأصدقاء، وزيارات المرضى لإيناسهم والدعاء لهم، وللمقابر لترقيق القلوب والدعاء للموتى، والزيارة للأماكن الفاضلة، والصلاة بها كالحرمين الشريفين، وللمنتزهات الجميلة الراقية.

٣- بناء الذات واكتساب المهارات.. يحتاج أبناؤنا وبناتنا إلى مهارات تبني ذواتهم وتعينهم في تحمل مسئولياتهم كفن الطبخ والغسيل والتنظيف والترتيب وتربية الصغار ورعايتهم ونحو ذلك من أمور تحتاجها الفتيات كما يحتاج الأبناء إلى تدريبهم على فن التعامل مع الآخرين وحسن استقبالهم، وأصول القيادة، وطرائق البيع والشراء ونحو ذلك مما يحتاجه الفتيان.

٤- اللقاءات الأسرية تتطلع الأسر إلى لقاءات مع أسر مماثلة، لتأنس بها وتستمع منها وتسمعها، ومن الجميل أن تكون هذه اللقاءات هادفة وأن تكون مصحوبة ببرامج ولو كانت خفيفة فالأسر ينشط بعضها بعضًا، وللمنافسة دور في صقل المواهب، وكم هو جميل أن تلتقي عدد من الأسر في استراحات يتوفر فيها مكان للرياضة والترفيه وتتوفر فيها أجواء للاستفادة والبرامج النافعة..

٥- القراءة.. ومن الجميل أن ندرب أبناءنا وبناتنا على القراءة ونحبب إليهم الثقافة ونوجههم إلى النافع من العلم والمعرفة، فعالم اليوم معرفي ولا مكان للأمية، ومشكلة أن يسبقنا الآخرون بالعلوم والمعارف ونحن الذين بدأ تاريخنا بـ ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] وانفتقت حضارتنا عن علوم ومعارف وإبداعات أنارت للآخرين عصور الظلام لنحبب القراءة النافعة لنا شئنا، فمرة نصطحبهم للمكتبات المنزلية وأخرى لمكتبات الأصدقاء، وثالثة للمكتبات

العامة للمطالعة، ورابعة للمكتبات التجارية.. وهكذا ينشأون محبين للكتاب والمكتبة والعلم والمعرفة.

٦- والمسموعات والمرئيات أساليب للتربية وطرائق للتسلية وقضاء الوقت بما ينفع، خاصة إذا أحسنا الاختيار لما يسمعون وما يشاهدون، وبحمد الله تملأ المكتبات الصوتية الإسلامية المدن والقرى، والرواج الأكبر للشريط الإسلامي بأشرطة الكاسيت والفيديو وأقراص الحاسوب، وفيه ما حمل الترخيص ومسح غنية عما سواه.

وثمة شباب وفتيات محترفون في الكمبيوتر.. يخططون ويستثمرون ويبتكرون وأولئك يمكن استثمار قدراتهم في الدعوة للخير، وتصميم مواقع ينفع الله بها.. وآخرون متمرسون في الدخول على مواقع الشبكة العنكبوتية، يدعون ويوجهون ويواجهون الغزو الساقط، ويحذرون من انخدع بهذه المواقع، ويحاورون من التبس عليه الحق أو زين له الباطل.. وهؤلاء وأولئك على خير إن شاء الله.

٧- مكاتب الدعوة ودعاة المستقبل، ومكاتب الدعوة في بلادنا منارات للدعوة ومستودع لكثير من الخيرات والتجارب الدعوية، وزيارة هذه المكاتب بصحبة الأبناء والبنات لأقسام النساء، يكسب أولادنا خبرة، ويدفعهم للدعوة، ويعرفهم بالوسائل الدعوية، وكل ذلك يصنع منهم دعاة للمستقبل مستفيدين من تجارب من سبقهم هذا فضلًا عن دعم هذه المكاتب الدعوية وتشجيع القائمين عليها، وتسجيل الشكر للجهات المشرفة عليها.

٨- وللسفر فوائد ومخاطر، وعلى المسافرين أن يحتاطوا لوسائل السلامة في السفر، فدعاء السفر خير ما بدأت به الرحلة، وصيانة المركوب والالتزام بأنظمة

المرور ضرورة عقلية ومطلب شرعي، وأذكار الصباح والمساء تخفف من كوارث ووعثاء السفر، والحذر من السفر إلى بلاد يبتز فيها المسافرون أو يتعرضون فيها لسرقة أموالهم أو أخلاقهم حصافة في الرأي ومتانة في الدين، وتذكر أيها المسافر أنك لا تدري بأي أرض تموت، ولا يغب عن بالك- عزيزي المسافر- أن السفر اختبار للأخلاق، وامتحان للإرادة المراقبة إنه ميدان للدعوة ومظنة لقبول الدعاء، فرصة للتفكر، وباعث على الذكر والشكر، هو قطعة من العذاب ولكن فيه سلوه، فيه علم وآداب ولكنه مظنة للعطب وإن قدر لك السفر للخارج فإياك أن تفتنك المراقص والملاهي وارتفع بهمتك إلى مواقع الخير ومنارات الدعوة ودعم بمالك أو شجع بزيارتك، اهد كلمة طيبة إن لم تجد وإلا تهديه. . فمراكز الدعوة وهيئاتها ورجالاتها في الخارج أحوج ما يكونون إلى الدعم والمساندة في زمن المضايقة والمحاصرة والتهم الباطلة والإرجاف.

حين تكون الرفقة سيئة. . فاختر رفيقك في السفر، كما تختار صاحبك في الحضر.

٩- المراكز والدورات والدور النسائية. . ثمة فرص متاحة وثمة جهات تعني بفتح المراكز، والدور وأخرى تقيم الدورات، وهذه الجهود حرية بالورود لتنهل من علم العلماء، وتستفيد من تجارب الخبراء، وتكسب من تربية أهل التربية، وإذا كانت هذه المراكز الصيفية والدورات العلمية والدور النسائية محطات يتزود منها الفتيان والفتيات، بل وكبار الرجال والنساء، فالأمل أن يزيد عددها لتستوعب الأعداد الغفيرة وثمة تساؤل ملح يقول، وهل يصح منع الجامعيين من المراكز ولماذا وأين يذهبون؟

وتتساءل النساء وأين البرامج الدعوية والثقافية من الجهات الرسمية المعنية بالدعوة، والمكافئة لكثرتهن وفراغهن؟ ثمة مطالبات لخروج المرأة وقيادتها. .

فهذه المجالات من أنفع ما تخرج له المرأة.. إن كنا ناصحين لها، بدل لهثنا وراء قيادتها أو سفورها واختلاطها.

١٠- الحكايات والقصص المنزلية.. ذلك أسلوب لغرس المفاهيم الطيبة، لاسيما للأطفال الذين يتلذذون بسماع الحكايات ومنصتون لرواية القصص، فهل يعمد الآباء والأمهات إلى هذا الأسلوب التربوي، بدلًا من كثرة التوجيه المباشر أن الأب أو الأم.. مهما كانت ثقافتهم.. قادرون على صياغة حكاية أو قصة حقيقية كانت أم خيالية تسير في اتجاه غرس القيم الفاضلة وتحذر من الرذيلة، بأسلوب مبسط يفهمهم الصغار والكبار فإن عجز الأبوان أو شغل الإخوان والأخوات عن ذلك ففي المكتبات تتوفر قصص مفيدة للأطفال مكتوبة، أو مسجلة ويمكن شراؤها وتوفيرها لهم. وفيها ما يعلم القرآن والسنة والآداب، وفيها ما يكسب الخبرة ويفيق الأذهان ومنع ما فيها من الفوائد ففيها تسلية وتخفيف لمشاجرة الأطفال والصبيان.

١١- وثمة أفكار جميلة للأطفال كفكرة الطفل البار، وفكرة الطفل المنظم ونحوها من أفكار تقوم على تعويد الطفل على مساعدة أهله في أعمال المنزل ولو كان يسيرًا مع التشجيع والهدية، وتدريبهم على النظام والنظافة مع وضع مكافأة تشجيعية في البداية.. وهكذا فكرة الصغير المتصدق، والأمين.. ونحو ذلك من قيم عالية يدرب عليها الصغار.

١٢- المسابقات المتنوعة، فثمة مسابقات ثقافية، وأخرى رياضية، مسابقات في الحفظ، ومبالغة في الألغاز، ومسابقات للتعريف بالأماكن، ومسابقات تعرف بالشخصيات ومسابقات للبحوث الصغيرة، ومسابقات في تنمية المهارات والقدرات بشكل عام، كل ذلك محفز على الخير، داع لاستثمار الوقت بما ينفع.. ويزين هذه المسابقات ويشجع عليها دعمها بجوائز ومحفزات مادية

ومعنوية، ومناسبة المسابقة بعقول وقدرات وميول المتسابقين.

إننا بحاجة لشحذ همم أبنائنا وبناتنا وتنويع البرامج وشد الانتباه حتى إذا تمكن الإيمان في قلوبهم، وانبعث ثمار المعرفة في عقولهم هناك نطمئن لمجاوزتهم القنطرة، ونفرح بكونهم عناصر بناء في مجتمعهم، ونتخفف من مسئوليتنا تجاههم، ويكونون قرة عين وزينة الحياة «ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا».



الخطبة الثانية:

الحمد لله خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملًا وهو العزيز الغفور نحمده ونعمه علينا ظاهرة، ونشكره وقد وعد بالزيادة لمن شكر ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته..

عباد الله قال العالمون: المطلب الأعلى موقوف حصوله على همة عالية ونية صحيحة، فمن فقدهما تعذر عليه الوصول إليه، فالنية تفرد له الطريق، والهمة تفرد له المطلوب(١).

يا مغرور بالأماني لعن إبليس وأهبط من منزل العز بترك سجدة واحدة أمر بها، وأخرج آدم من الجنة بلقمة تناولها، وحجب القاتل عنها بملء كف من دم.. فلا تغتر بالأماني، ولا تستهين بالمعاصي..

١٣- إخوة الإسلام كونوا قدوة لأسركم في المسارعة للخيرات واجتناب المحرمات واحملوهم على الطاعة وابدءوهم بالواجبات ثم حببوا إليهم السنن، وكم هو جميل أيها الولي أن تصلي النوافل في بيتك وتتلوا القرآن بين أهلك وأولادك ونحو ذلك من سنن وفضائل وآداب لتكون إمامًا في الخير ودليلًا للرشد.

١٤- أيها الآباء وأيها الدعاة المربون والمخيمات الدعوية مما تستثمر به الأوقات ويساهم في الدعوة من خلالها، وحين تعمد بعض الأسر لإقامة مخيمات عائلية خاصة بها فذلك كذلك فرصة للصلة والمرح والدعوة واستصلاح شباب الأسرة.

---

(١) «الفوائد» لابن القيم (١٥١).

١٥- والرحلة للقرى والهجر النائية فيه وقوف على المعالم وتعرف على الناس وسياحة في الأرض وتقديم المساعدة للمحتاجين وتعليم من يحتاج للتعليم، وهي فرصة من فرص الدعوة للدعاة والمحتسبين.

١٦- أيها الأولياء عودوا أولادكم على جلسة الأسرة ولو مرة في الأسبوع فيها كلمة طيبة، وتوجيه نافع، وقراءة في كتاب، وتعويد على المشورة وبناء الثقة، وفيها تجسيد لتلاحم الأسرة.

١٧- وربوهم على صلة ذوي القربى، والعطف على المساكين، وتقدير ذوي المكانة واحترام الأكابر، وعلموهم كيف يتعاملون مع الأقران وكيف يختارون الأصحاب، وحذروهم من خفافيش الليل وسراق القيم والأخلاق.

صلوهم بالمجتمع والأمة واجعلوهم قريبين من حركة التاريخ وعلموهم أسباب العزة والتمكين وعوامل الانحطاط والهزيمة.

١٨- أيها الحافظون لكتاب الله هنيئًا لكم واشكروا الله على ما حباكم وفي الأجازة فرصة لمراجعة وتثبيت حفظكم، أيها الراغبون في حفظه أعانكم الله وسدد خطاكم وفي الأجازة فرصة كبرى لتحقيق هذا الحُلُم الكبير.

أيها المقصرون في تلاوة كتاب ربكم هل تكون الأجازة معينًا لكم على تدارك التقصير واللحوق بركب أهل القرآن؟

يا إماء الله تفتح الدور النسائية أبوابها لتعليم وتحفيظ كتاب الله فهل تبادرن بالالتحاق أم تعتدون بعوائق وهمية حتى يفوت الركب ويفوز بالغنيمة والأجر نساء أخريات.

إخوة الإيمان هذه خطوات وطرائق وأساليب ومقترحات لاستثمار أجازة الصيف، وقد يرى أو يمارس بعضكم غيرها وأجمل منها والمهم أن نستفيد من الزمن ونستثمر الأوقات، فكلنا وارد على ربه لا ينفعه مال ولا بنون إلا ما قدم

من صالحات، وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا تذكروا يوم يصدر الناس أشتاتًا أي يرجعون عن موقف الحساب أنواعًا وأصنافًا ما بين شقي وسعيد، ومأمور به إلى الجنة، ومأمور به إلى النار فاحذروا المعاصي والفواحش ما ظهر منها وما بطن.

قال عليه الصلاة والسلام لعائشة ﵂ «**إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالبًا**» رواه النسائي وابن ماجه.

اشكروه على النعم، واستغفروه من الذنوب، وسبحوه بكرة وأصيلًا، واذكروه ذكرًا كثيرًا.

واعلموا أنكم ستسألون عما أنتم فيه من نعيم، لقد قال الصحابة رضوان الله عليهم حين نزلت هذه الآية ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨] يا رسول الله وأي نعيم نحن فيه وإنما نأكل في أنصاف بطوننا خبز الشعير فأوحى الله إلى نبيه ﷺ قل لهم أليس تحتذون النعال وتشربون الماء البارد؟ فهذا من النعيم[١].

آه... كم لله علينا من نعمة وفضل.. وقليل منا الشكور، نصبح ونمسي في نعم من الله، والله يعلم ويشهد أننا نمارس المعاصي صباح مساء.. أهكذا يكون الشكر؟ ألا نخشى العقوبة ألا نبصر من حولنا النذر؟ هل صمت آذاننا أم وضعت الأقفال على قلوبنا؟ إن السعيد من وعظ بغيره، والشقي من صار موعظة لغيره. كم تحيط بنا الفتن.. وكم نسمع كل يوم بل في كل ساعة عن أعداد من القتلى والجرحى وآخرين مشردين غرق وفقر فتن تموج وظلم وظلمات تملأ الوجود.. ولا مخرج إلا بالإيمان وعمل الصالحات ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣] ولن يبالي الله بقوم عصوا أمره وضيعوا حدوده،

---

(١) «تفسير ابن كثير» عند الآية (٤/ ٩١٣).

ومحو شريعته.. لن يبال الله بأي واد هلكوا وإذا عصي الله من يعرفه سلط الله عليه من لا يعرفه، وصدق الله ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٤٥-٤٧].

اللهم احفظ علينا أمننا وإيماننا، واجعلنا لك شاكرين لك ذاكرين، وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.



بين الراسخين والزائغين[1]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره . . .

إخوة الإسلام فرق كبيرٌ بين أهل الإيمان واليقين، وبين أهل الزيغ والبدع والفساد، والفرق كبير بين من يتبعون أهواءهم ومن يتعبدون لخالقهم، والبون شاسع بين أصحاب الإيمان ومرضى القلوب. . ولكن فضل الله يؤتيه من يشاء ومن يهد الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا وحين يكثر الخبث، وترتفع أصوات أهل الأهواء، ويلبس الحق بالباطل. . فلا بد من بيان الحق، وكشف المبطلين حتى يحيا من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة، وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

إن مسيرة أهل الأهواء والزيغ قديمة في تاريخنا، وما زال العلماء الراسخون يواجهون بدعهم ويكشفون عن أهوائهم وتلبيسهم حتى خنسوا. . ولكن هذا الفكر كامن في نفوس أصحابه، يعلو ويتجدد كلما ضعف الراسخون في الإنكار، أو كلما أتيحت فرص لظهور أهل الأهواء، دون محاسبة توقف أو جزاء يردع.

ويرحم الله الفاروق عمر فقد أطفأ في زمنه، فتنة مبكرة كادت أن تسري على أثر حديث (صبيغ بن عسل التميمي) وتساؤلاته في أمور لا حاجة للمسلمين بها، بل ربما كانت سببًا للتشكيك والمنازعة والاختلاف -ودونكم الحادثة وفقه عمر.

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في ١٢/ ١٠/ ١٤٢٧هـ.

عن نافع -مولى ابن عمر- أن صبغيًا العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسمين حتى قدم مصر، فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب، فلما آتاه الرسول بالكتاب فقرأه، فقال: أين الرجل؟ فقال في الرحل، فقال عمر: أبصر أن يكون ذهب فتصيبك مني به العقوبة الموجعة، فأتاه به فقال عمر: تسأل محدثة فأرسل عمر إلى رطائب من جريد فضربه بها حتى ترك ظهره وبرة، ثم تركه حتى برأ، ثم عاد له، ثم تركه حتى برأ، فدعا به ليعود له، فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلًا جميلًا، وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برئت، فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين، فاشتد ذلك على الرجل، فكتب أبو موسى إلى عمر أن قد حسنت توبته فكتب عمر أن يأذن للناس بمجالسته[١]، عن ناصر العقل صبيغ نفعه الله بأدب عمر، ولذا لما خرجت الخوارج، قيل هذا يومك، فقال: نفعني الله بأدب الرجل الصالح[٢].

أما المسلمون فالتزموا بتوجيه عمر وهجر صبيغ حتى كان الواحد منهم يفر من مجالسة صبيغ ويقولون هذه عزمة أمير المؤمنين.. وكذلك ينبغي أن يهجر المجتمع أصحاب البدع.

هكذا أبطل الفاروق فتنة الشبهات وإثارة الجدل في أمور لا يحتاجها المسلمون إنما هي من منهج أهل الأهواء والبدع، وكذلك كان المسلمون بمجملهم يحذرون من الأهواء، ويلزمون الناس بالسنة والأثر.

قال عمر بن عبد العزيز: السنة إنما سنها من علم ما جاء في خلافها من

---

(١) «سنن الدارمي» (١/ ٥٥، ٥٦)، «الإبانة» (١/ ٤١٤، ٤١٥).

(٢) «دراسات في الأهواء والفرق» (١/ ٢٢١).

الزلل، ولهم كانوا على المنازعة والجدل أقدر منكم»[١].

وهو القائل من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل..

أي التنقل من رأي إلى رأي ومن بدعة إلى أخرى[٢].

وقال الشعبي: (إنما الرأي بمنزلة الميتة إذ احتجت إليها أكلتها)[٣].

وعن إبراهيم النخعي قال: كانوا -يعني السلف- يكرهون التلون في الدين[٤].

هكذا كان العلماء يحرصون على جمع الناس على السنة، ويحذرونهم من البدع، والأهواء، والخصومات والمناقشات الكلامية.

وكذلك كانوا يثنون على الراسخين في العلم الثابتين على الحق.

أيها المسلمون فرق بين الراسخين والزائغين، فالراسخون لا يتعلقون بالشبهات، بل يردون المشتبهات إلى المحكمات، ويؤمنون بما جاء عن الله وصح عن رسوله ﷺ، والراسخون هم قوم برَّت أيمانهم وصدقت ألسنتم، واستقامت قلوبهم، وأعفوا بطونهم وفروجهم - كما جاء في بعض الآثار[٥].

أما الزائغون فهم يتعلقون بالشبه ويثيرون اليقين وهم المتقلبون المتلونون قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٦].

روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه

---

(١) «الشرح والإبانة» (١٢٣)، عن «دراسات في الأهواء للعقل» (٧٧).

(٢) السابق (٧٩). (٣) «الإبانة» (١/ ٢١٦).

(٤) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٣). (٥) ابن كثير (٢/ ٩).

الآية ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٦] قالت: قال رسول الله ﷺ: «**فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذرهم**»[١].

قال الحافظ ابن كثير -في تفسيره الآية-: أول بدعة وقعت في الإسلام فتنة الخوارج.. ثم نبعت القدرية، ثم المعتزلة، ثم الجهمية، وغير ذلك من البدع التي أخبر عنها الصادق المصدوق في قوله: «**وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: **من كان على ما أنا عليه وأصحابي**» والحديث رواه أهل السنن وصححه جمع من الأئمة المعتبرين.

وقال ابن المبارك: أصول الفرق أربعة: المرجئة والقدرية والشيعة والخوارج.

عباد الله ويظن بعض الناس أن هذه الفرق أصبحت تاريخًا يذكر ولا وجود لها في عالم اليوم، وهذا خلل في الرأي وخطأ في الرؤية بل يبصر المتأمل في واقعنا المعاصر انبعاثًا لهذه الفرق المنحرفة ووجودًا لهذه الضلالات المنكرة فالفكر الخارجي يطل برأسه ويسمع بين الفينة والأخرى من يكفر من لا يستحق الكفر، أو يقتل المسلم أو يستهين بالدماء المعصومة كما كان يصنع الخوارج، بل ربما أفزعك خبر تسمعه -في ساحات الجهاد- من تقصد بعض فصائل الجهاد لقتل من يخالفهم في الرأي ولو كان مسلمًا.. بل ولو كان مجاهدًا.. تلك فتنة وبلية لا تحسب على الإسلام وليست من أخلاق المسلمين في شيء.

-نسأل الله العافية والسلامة- ولا بد أن تنكر حتى لا تقع الفتنة بين المسلمين ويظل العدو يتفرج على مآسي وخلافات المسلمين.

---

(١) هذا لفظ البخاري.

حين نسمع عن شيء من هذه الأخبار لا بد أن نتثبت حتى لا نصيب قومًا بجهالة، -ولا بد أن نعدل- ولا يجرمنا شنآن قوم عن العدل.. فإذا ثبت شيء من ذلك فلا بد أن ننكره وننصح لأصحابه ولا تأخذنا في الله لومة لائم، فنحن متعبدون لدين الله لا للرجال.. وبالحق يعرف الرجال، وليس بالرجال يعرف الحق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].



الخطبة الثانية:

إخوة الإسلام ولم ينته الفكر الاعتزالي بموت أساطينه الأول، ولم تنته العقلية الاعتزالية المعظمة للعقل حتى جعلته ندًا أو معارضًا للنقل الصحيح.. وكما ظل أهل الاعتزال الأول وجاروا لأنهم تاهوا في تخبطات عقولهم، بل عبر بعض من رجع منهم أن أرواحهم في وحشة من أجسادهم وقال نادمًا متحسرًا تائبًا:

نهاية أقدام العقول عقال   وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا   وغاية أمرنا أذى ووبال

إلى أن قال:

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا   سوى أن جمعنا قيل وقالوا

كما يظل هؤلاء اليوم أصحاب مدرسة الاعتزال الجديدة.. حين يحملون العقل ما لا يحتمل وحين يقحمون العقل في مجالات لا مكان له فيها، ولذا تظل الحيرة والتشكك تلاحق هؤلاء، ويظل الإنكار للمعلوم من الدين بالضرورة سمة لهؤلاء، كما أن من سماتهم التنقل والتلون، فمرة تراهم في أقصى اليمين، وحينًا تراهم في أقصى الشمال، يصاحبون الأخيار فترة، ويكونون أخلاء للأشرار فترة أخرى وهكذا وآخرون منهم مغموسون في حياتهم كلها.. شغلهم الشاغل طرح الشبهات وديدنهم الطعن على أحكام الشريعة وتجريح علماء الأمة- إنهم قوم مفتونون سلم الأعداء من سهامهم، وأذوا المسلمين بطروحاتهم وتشكيكاتهم.

إن الحقيقة تقول: ليس هناك تعارض بين العقل الصحيح، والنفل الصريح، وما من دين احتفى بالعقل كما احتفى به الإسلام ولقد ألف شيخ الإسلام

ابن تيمية رحمه الله سفرًا عظيمًا رد فيه على أصحاب المدرسة العقلية المتشنجة وأسماه (درء تعارض العقل والنقل) وانتهى في كتابه إلى تعظيم النص الشرعي وعدم تعارضه مع العقل الصحيح.

ومما قاله الشيخ في كتابه بهذا الصدد «إن النصوص الثابتة عن الرسول ﷺ لم يعارضها قط صريح معقول فضلًا عن أن يكون مقدمًا عليها، وإنما الذي يعارضها شبه وخيالات مبناها على معان متشابهة وألفاظ مجملة، فمتى وقع الاستفسار والبيان ظهر أن ما عارضها شبه سفسطائية لا براهين عقلية» (١/ ١٥٥، ١٥٦).

ويقول: «إن كل ما عارض الشرع من العقليات فالعقل يعلم فساده»[(١)].

ويقول: والمقصود هنا التنبيه على أن ما جاء به الرسول ﷺ هو الحق الموافق لصريح المعقول[(٢)].

وكما انحرف الخوارج والمعتزلة وأصحاب المدارس العقلية، انحرف أهل الإرجاء الذين يقولون إن مجرد الإيمان كاف، ولا تضر مع الإيمان معصية، وتنازل المرجئة المعاصرون عن كثير من أمور الدين، وسهلوا على العوام اقتحام الموبقات فهلكوا وأهلكوا.

أيها المسلمون.. لا بد للعلماء وأهل الفكر السليم من تسليط أشعة النقد على كل فكر ملوث وكشف تناقضاته الفجة، لإنفاق مفعول شحنته السلبية.. حتى لا تعاق المسيرة، ولا تتاح فرص للمعوقين والمرجفين في الأمة، في زمن باتت الأخطار تحدق بالأمة من كل جانب وأصبحت قصعة المسلمين محط أنظار الخصوم وأعداء الأمة من كل جانب، وما بالأمة حاجة أن تلتفت للوراء أو تشغل عن خصومها ببعض أبنائها.

---

(١) «درء تعارض العقل» (١/ ١٩٤).
(٢) السابق (٣/ ٨٧).

إن ثمة حقيقة تقول إن الإسلام بمده بات يخيف الأعداء، والمسلمون لصحوتهم أصبحوا شغلًا شاغلًا لهم وما عاد خافيًا على دوائرهم الرسمية تغلغل الإسلام في كل مكان وانتشار المسلمين في كل موقع.. حتى زوايا الغرب ومواقعه تلك حقيقة ملقلقة حتى أطلق قادتهم السياسيون والعسكريون سؤالًا: هل قتل (المسلمين) واعتقالهم، أسرع من تكاثرهم وتأثيرهم؟ وأجاب قادة مفكريهم وصحفيهم (جون ليهمان) عن السؤال بـ لا.

واقرؤوا إن شئتم مقالًا رائعًا في مجلة البيان بعنوان: (منطقة الخليج بين خطرين) تدركوا شيئًا من المخاطر والمخططات التي تحاك لنا ولبلادنا حمانا الله والمسلمين الشرور والفتن، وجعل كيد الأعداء في نحورهم، اللهم انصر الحق وأهله، وأبطل الباطل وامكر بأهله يا سميع الدعاء ولا بد مع هذا كله أن يقال إن في الأمة خيرًا كثيرًا، وهناك إقبال من العامة على الإسلام، وهناك خاصة من علماء وطلبة علماء منحهم الله علمًا ورسوخًا وثباتًا على الحق، زادهم الله من فضله، وردَّ من انحرف إلى الصراط المستقيم.



بين الاستضعاف والتمكين[1]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره . . .

في لحظة من لحظات الضعف قد يخيل للإنسان أنه ليس بالإمكان أحسن مما كان، وفي مرحلة من مراحل الإحباط قد يتصور المحبطون أن هذا الوضع البئيس لا يمكن أن يتحسن.

وحين نغفل عن السنن الكونية نرى من المستحيل تغير الأشياء عن مواضعها، فالقوي يستمر على قوته، والضعيف يلازمه الضعف وهكذا. . ولكن صفحة الواقع المشهود في الماضي والحاضر تؤكد أنه لا ثبات على حال، فالأيام دول، والضعيف يقوى والقوي يضعف، والعزة تتحول إلى ذل، والكثرة إلى قلة وهكذا. .

أجل لقد قيل للمؤمنين ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠، ١٤١].

واليوم نحن أحوج ما نكون إلى فقه هذه الآيات ودلالاتها قال المفسرون في تأويل هذه الآيات: من الحكم أن هذه الدار يعطي الله منها المؤمن والكافر والبرَّ والفاجر، فيداول الله الأيام بين الناس، يومٌ لهذه الطائفة ويومٌ للطائفة الأخرى. . إن هذه الدنيا مصيرها الفناء لا البقاء. . أما الآخرة فإنها خالصة للذين آمنوا . .

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في ٢١/١١/١٤٢٦هـ.

ومن حكم الابتلاء تمييز المؤمن من المنافق، لأنه لو استمر النصر للمؤمنين في جميع الوقائع لدخل في الإسلام من لا يريده فإذا حصل في بعض الوقائع والمراحل بعض أنواع الابتلاء تبين المؤمن الحقيقي الذي يرغب في الإسلام في السراء والضراء واليسر والعسر والنصر والهزيمة، ممن ليس كذلك.

ومن الحكم في الأدلة على المؤمنين وهزيمتهم أن يتخذ الله من المؤمنين شهداء، إذ الشهادة عند الله من أرفع المنازل ولا سبيل لنيلها إلا بما يحصل من وجود أسبابها، فالله تعالى بعلمه وحكمته يهيء للمسلمين ما تكرهه نفوسهم ظاهرًا لكنه خير لهم عند ربهم..

ومن حكم إدالة الكافرين على المؤمنين أن يمحص الله ذنوب المؤمنين بما ينالهم من هم وأذى قد يصل إلى القتل لتتحقق لهم الشهادة ويمحق الله الكافرين. فهذا النصر لهم ظاهرًا يخفى وراءه محقًا وهلاكًا لهم، فإنهم إذا انتصروا بغوا وتجبروا وزادوا طغيانًا وإفسادًا في الأرض، وهذا يعجل عقوبتهم، وانتهاء أمرهم.

أن على المؤمنين ألا يهنوا ولا يحزنوا ولا يحبطوا ما داموا على الحق ثابتين حتى وإن قهرهم وغلبهم عدوهم، وألا ينظروا إلى الهزيمة على أنها حظهم ما داموا أحياء، بل عليهم أن يصبروا ويصابروا ويرابطوا ويفعلوا من الأسباب ما يعذرون به أنفسهم أما النصر فمن عند الله هو أعلم به وهو الذي يوقعه بحكمته متى شاء. ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾.

وعليهم أن يتيقنوا بأن الحق منصور، وأن العاقبة للتقوى..

لقد أوذي وفتن المؤمنون وفيهم الأنبياء -عليه الصلاة والسلام-، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا ولا استكانوا حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصر الله.

ودونكم هذا المشهد لما بلغه خاتم المرسلين من الأذى حتى تذمر منه من ليس على دينه، وكره أن يشهد فصوله من لم يكن حينها من أصحابه.. ومع ذلك كان الأذى يحمل في طياته الفرج، والشدة تتمحص عن نصر مبين يقول جبير بن مطعم- قبل أن يسلم-: كنت أكره أذى قريش لرسول الله ﷺ فلما ظننا أنهم سيقتلونه لحقت بدير من الديارات، فذهب أهل الدير إلى رأسهم فأخبروه، فاجتمعت به، فقصصت عليه أمري، فقال: تخاف أن يقتلوه؟ قلت: نعم، قال: وتعرف شبهه لو رأيته مصورًا؟ قلت: نعم، قال: فأراه صورة مغطاة كأنها هو، وقال: والله لا يقتلوه وليقتلن من يريد قتله، وإنه لنبي، فمكثت عندهم حينًا، وعدت إلى مكة وقد ذهب رسول الله ﷺ إلى المدينة، فتنكر لي أهل مكة، وقالوا: هلم أموال الصبية التي عندك استودعها أبوك، فقلت ما كنت لأفعل حتى تفرقوا بين رأسي وجسدي، ولكن دعوني أذهب فأدفعها إليهم، فقالوا: إن عليك عهد الله وميثاقه أن لا تأكل من طعامه، فقدمت المدينة، وقد بلغ رسول الله الخبر، فدخلت عليه فقال لي فيما يقول: إني لأراك جائعًا هلموا طعامًا، فقلت لا آكل خبزك، فإن رأيت أن آكل أكلت، وحدثته، قال: فأوف بعهدك[1].

فإن قيل إن هذه الرواية فيها ضعف لضعف راويها ابن لهيعة فإن الروايات الصحيحة في إيذاء المشركين للنبي والمؤمنين أكثر من أن تحصر. وأصح من ذلك وأبلغ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وفي النهاية انتصر الحق ومُكن للمستضعفين، وتهاوت عروش الظلم وانتصر المسلمون ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

---

(١) «معجم الطبراني» (١٦٠٩)، عن «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٩٦، ٩٧).

واليوم ورغم الظلم والظلمات وعلى أنقاض المآسي ومن أشلاء المظلومين.. تتبدى في الأفق صورة أخرى تكاد تحوّل الموازين، وتلمح إلى دوْلِ الأيام.. ففي الكيان الصهيوني المحتل اختلال وفرقة تحل بالرئيس المتغطرس شارون جلطة يدخل على إثرها للمستشفى ويحدث خبر الجلطة لغطًا في الكنيست الإسرئيلي.

ومن جانب آخر تناقلت الصحف اليهودية في فلسطين نبأ إسلام أحد اليهود وأحدث جدلًا كبيرًا.. ووصف هذا المسلم كالعادة بالتطرف والإرهاب.. ووراء الخبر تحليلات حول سبب إسلامه وأثره على اليهود.

وإذا كانت هذه المفاجآت النوازل والمتغيرات على مستوى اليهود، فتشهد بلاد النصارى كوارث طبيعية واختناقات واختلافات يظهر لنا بعضها وربما خفي عنا أضعافها ورغم التضييق على الإسلام والمسلمين إلا أن الإسلام ورغم حملات التنصير والحماس لهدم قواعد الإسلام إلا أن السحر يتقلب على الساحر.. ويعود المنصِّر مسلمًا داعيًا للإسلام ولئن كانت أخبار الداخلين في الإسلام من الكثرة بحيث لا يمكن حصرهم، ومن أراد البيان فليتصل بمكاتب توعية الجاليات، ليعلم كم يسلم يوميًا.. إلا أنني هنا أقف مذكرًا بقصة القس النصراني الذي أسلم، وتحدث الناس عن قصته وتناولت وسائل الإعلام خبره، وكيف كان وكيف انتهى به المسار فقالت وقال: تخرجت من الفاتيكان (معقل التنصير في العالم) وبدأت أنتقل من بلد إلى بلد لتنصير المسلمين، وكانت أكثر زياراتنا لمصر فإنها مصدر من مصادر قوة المسلمين، ثم جلست يومًا مع مجموعة من القساوسة والمنصرين، فقلت لهم: لقد طفنا أكثر بلاد الأرض، ولم يبق إلا جزيرة محمد ﷺ لم تصل إليها دعوة المسيح -بزعمهم- ولا بد من اقتحامها، فهي معقل الإسلام العنيد، فخططت ودبرت للوصول فنجحت في

ذلك، فلما وصلت بدأت أبحث عمن يعطيني نسخة مترجمة للقرآن لأكتشف أسرار الإسلام وأتعرف على أخطاء القرآن فتكون هي طريقي لتنصير المسلمين ومحادثتهم.. حتى حصلت على النسخة المطلوبة بصعوبة، فأخذتها، وأغلقت الأبواب وجلست ولا أحد يراني إلا الله، بدأت أقرأ وفي نيتي تتبع واستخراج الأخطاء، فإذا بسورة الفاتحة تحيرني وتأخذني إلى عالم آخر ثم أول مقطع من سورة البقرة يتحداني ويخبرني أن هذا الكتاب خال من الأخطاء، مما زاد في حرصي على القراءة والتدبر، وبدأت أقفال الكفر تنحل وتتفتح وبدأ ظلام الشرك ينجلي.. وبدأ القرآن يجاوبني عن كل الأسئلة والاستفسارات، وبدأت أقول لنفسي من هذا الذي يتحداني؟ ومن هذا الذي عنده كل هذه القدرة وكل هذه الصلاحيات حتى يتكلم في ملكوت الأرض والسموات، فجاءني الجواب من أعماق قلبي: أنه الله جل جلاله الذي قال في القرآن: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[1] [الفرقان: ١، ٢].



(١) مجلة البيان ذو القعدة ١٤٢٦هـ، «من أجل كلمة الله» عبد الله القفاري.

الخطبة الثانية:

الحمد لله أهل الحمد والثناء والمجد..

إخوة الإسلام دين الله منتصر طال الزمان أم قصر وكلمته ظاهرة ولو كره المشركون، والبقاء للحق، والعاقبة للتقوى، وجند الله هم الغالبون، ذلكم وعد غير مكذوب..

ولكن للنصر أسباب، وللتمكين شروط.. فمتى أقام المسلمون الصلاة وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ومكن لهم، ومتى ما غيروا ما بأنفسهم غير الله ما بهم.

إن مراحل الضعف مرت بالأمة من قبل ومن بعد ولكن الضعف إذا كان محفزًا للنهوض كان هذا الضعف وباءً عارضًا تسترد الأمة منه عافيتها بعد حين.

ومرت الأمة بظروف من الفرقة والتناحر.. ولكن الفرقة إذا كانت درسًا بليغًا وهاديًا إلى الاجتماع والتآلف كانت هذه الفرقة نزغة من نزغات الشيطان لا تلبث أن تكون صفاء ومودة، واجتماعًا وتوحدًا على الحق..

وهكذا تستفيد الأمة من دروس الضعف ومن أيام البلاء كما تستفيد من دروس القوة وتتعامل مع السراء.

إذًا الأمة الراشدة تبتلى لتتعافى، وتحاصر لتتفجر طاقاتها عن مبادرات نافعة، وتمتحن وتصهر ليتميز الخبيث فيها من الطيب ألا وإن من علائم ذل الأمة وهوانها أن تتزين ظاهرًا وباطنها خراب وتلبس جلود الضأن وهي تتحرك بقلوب الذئاب.. أولئك قوم مقتهم الله، وأولئك قوم يفتنون..

جاء في كتاب الزهد للسجستاني وبالإسناد عن ابن المبارك عن بكار عن ابن منبه قال: قال الله تبارك وتعالى فيما عير به الأحبار -أحبار بني إسرائيل-

تفقهون لغير العبادة، وتعلمون لغير العمل، وتلتمسون الدنيا بعمل الآخرة وتنقون القذاة من شرابكم وتبتلعون أمثال الجبال من الحرام، وتثقلون الدين على الناس أمثال الجبال ولا تعينونهم برفع الخناصر، وتلبسون جلود الضأن وتخفون أنفس الذئاب، وتبيضون ثيابكم فتنقصون بذلك مال اليتيم والأرملة، قال تعالى: «فبعزتي حلفت لأخبرنكم بفتنة يضل فيها عقل ذي العقل وحكمة الحكيم».

هنا... وفي ظل هذه الظروف والفساد المستشري والضعف والفساد الظاهر والباطن يتذكر أهل القرآن قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦].

إن الأمة الراشدة هي التي تستفيد من دروس الهزيمة كما تستفيد من دروس النصر، وستظل الأمة تعاني ويلات الذل والهزيمة، حتى تفكر في المخارج الصحيحة للطوارئ.. وكلما اعتمدت الأمة على البشر الضعيف وكلها الله إلى ما توكلت عليه، وكلما توكلت على الله والتجأت إليه أجارها وعافاها وغير ما بها.. لا ينظر الله إلى الصور والأجساد ولكن ينظر إلى القلوب والضمائر ولا ينفع بياض الثوب إن كان القلب أسودًا.. كان أبو عبيدة ﷺ يسير في الجيش ويقول: «ألا رب مبيض لثيابه قد مدنِّس لدينه ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين، ألا بادروا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات، فلو أن أحدكم أساء ما بين السماء والأرض ثم عمل حسنة لعلت سيئاته حتى تقهرهن»(١).

لقد اختلت الموازين الحقة في دنيا الناس، وأصبحت النظرة في غالبها نظرة

---

(١) «الزهد» لأبي داود السجستاني (٣١) بإسناد جيد كما قال المحقق.

(٢) «الزهد» لأبي داود السجستاني (١٣٩) بإسناد رجاله ثقات.

مادية، وبات تقييم الناس على حسب ما عندهم من الدرهم والدينار لا على حسب ما لديهم من الإيمان والتقى..

وتلك موازين تطيش لكنها لا تلبث أن تنتهي.. يروى أن ملكًا من بني إسرائيل ركب يومًا في موكب له فتشرف الناس فنظروا إليه حتى مر برجل يعمل شيئًا مكبًا عليه، فلم يرفع رأسه إليه، فوقف عليه فقال: كل الناس تشرف علي وتنظر إليّ، من أنت؟ قال الرجل إني رأيت ملكًا قبلك كان على هذه القرية، مات هو ومسكين، فدفن الرجل إلى جنبه فلم أزل أتعاهدهما كل يوم أنظر إليهما حتى تفرقت أوصالهما، وكشفت الريح عن قبورهما ثم اختلط رأس هذا ورأس هذا، وعظام هذا وعظام هذا، فلم أعرف رأس من رأس الناس، فلذلك لم أنظر إليك[1].

وإذا كانت الآخرة خيرًا وأبقى فأهلها هم من قال الله عنهم ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

أما الطغاة والمفسدون في الأرض فأولئك قال الله عنهم: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١٩٦ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧].



(١) «الزهد» للسجستاني (٣٠) وسنده ثقات.

الهيئة ورجالاتها محن أم منح؟[1]

الخطبة الأولى:

الحمد لله أمر بالعدل والإحسان ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

إخوة الإسلام.. صمام الأمان ما هو؟ وعلامة خيرية الأمة ما هي؟ إنها (الحسبة) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ترى مكمن الخطر أن يكون؟ في القيام بهذه الشعيرة وتشجيع القائمين عليها.. أم بإهمالها والطعن في رجالاتها؟

داع القرآن يقول: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وسيد الخلق ونبي الرحمة ﷺ يقول: «**لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليضربن الله قلوب بعضك ببعض**».

وأخيار وصالحون يقولون المعروف ويأمرون به، وينتهون عن المنكر وينهون عنه.. هذا نداء الفطرة وتوجيه الكتاب والسنة وثمة نداءات مشبوهة وأصحاب ريب ونفاق يقولون المنكر ويأتونه ويدعون الناس له، ويمسكون عن المعروف وربما ضاقت نفوسهم به، وأعظم من ذلك وأسوأ أن ينفروا الناس منه ويشوهون صورة رجالاته أولئك نسخ تتكرر وأجيال تتلاحق قال الله عنهم: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

أولئك أصحاب شهوات غرضهم أن يميل الناس عن الحق وينحرفوا عن

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في ١٤٢٨/٥/٢٢ هـ.

السنة ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحيا الفضائل، وتمات البدع وتحصر الرذائل، وتحمى الأعراض، وتصان الحرمات، وبالنهي عن المنكر يحاصر المبطلون، ويكشف المجرمون، ويضيق الخناق على الجريمة، ويأمن الناس على أموالهم ودمائهم وأعراضهم حين يعز سوق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحيا من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة، ويصبح ممارسة الجريمة خفية وعلى استحياء، وفعل المعروف علانية وبكل عزة.

رجالات الحسبة يسهرون حين ينام الناس، ويقومون نيابة عنا في متابعة أهل الفساد والفجور.. إنهم يستشعرون المسئولية في تحقيق الأمن، ويرحمون الخلق حين يهدونهم للحق، ويحسنون للمخطئ حين يبصرونه بالخطأ، أو يقصرونه عن منكر أعظم إنهم ذراع الوالي لأطر الزائغين على الحق أطرًا، وهم عين العالم الذي يعرف الحق من الباطل، وهم ورجالات الأمن يكملون أدوار بعض في حماية المجتمع من أعاصير الفتن وموجات الفساد.

ورجالات الأمر بالمعروف بشر كغيرهم من البشر غير معصومين من الخطأ.. لكن من الحيف أن تعظم أخطاؤهم وتنسى جهودهم، ومن الظلم أن تلصق بهم كل تهمة وأن ينسب لهم كل خطأ..

وحين تقرع الطبول ويتنادى الموتورون لإسقاطهم فتلك البلية التي لا يجوز السكوت عليها أو إسقاط جهازهم (الهيئات).. وحين تطرح هذه الأيام قضايا الهيئات بعبارات فجة، وأساليب غير منصفة، فذاك التشهير الذي يريد منه أولئك ما بعده.. ولا يرضى به المجتمع فضلًا عن المسئولين، وبالأمس عنوان كبير في الجزيرة يقول (استياء الهيئة من الصحف) وفي اليوم نفسه وفي جريدة الرياض تصريح لوكيل الرئيس العام لهيئات أبدى فيه تحفظه على بعض ما ينشر

في الصحف ومجانبته للحقيقة، ولكن ثقتنا بدولتنا التي قامت على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وتصريحات مسئولي الدولة في عدد من المناسبات عن أهمية هذا القطاع وجهود رجاله كل ذلك يطمئننا أن هذا التهويش الذي يثار بين الفينة والأخرى لن يحقق أهداف أولئك الموتورين ولن يضعف من دور الحسبة ومراكز الهيئات عن ممارسة واجبها.

يا رجالات الهيئة وحين لا تعطون الفرصة للشانئين والمتربصين بأي تصرف غير محسوب.. فثقوا أن الله معكم يأجركم ويدافع عنكم وحين تلتزمون باللوائح والنظم لإداراتكم فثقوا أن الدولة من ورائكم، وأن المجتمع يقدر جهدكم ويشارككم مسئوليتكم عجبًا لأقوام يضيقون بالمعروف ويروجون للمنكر، ويضيق عطنهم عن الآمرين بالمعروف والناهين للمنكر، بل ويسعون في الوقيعة بهم.. أين العدل إن ضعف الدين، وأين المروءة والشهامة إن غابت العقول أو ضعفت الغيرة؟

ألسنا نتفق على أهمية نظافة المجتمع بفكره وأخلاقه وتعاملاته؟ فما جزاء من يحتسب على الخمور ويكافح المخدرات.. ومن يحمي الأعراض ويمنع من اختلاط الأنساب، من يسهم في إصلاح البيوت، ويسدي النصح والتوعية والإرشاد للمراهقين والمراهقات؟

أيستحق أولئك الجنود الأخفياء أن نشهر بهم في المنابر الإعلامية، أو يكونوا مادة للسخرية في المسلسلات والقنوات؟ سبحانك هذا بهتان عظيم..

إن من يريد أن ينصح ويوجه يقول للمحسن أحسنت.. ولكن عليك كذا وكذا ورحم الله من أهدى لأخيه عيوبه وفرق بين هذا المسلك ومسلك محاولات الإسقاط، وتشويه المسار، وملء قلوب الناس بالكره والازدراء.. وأعظم من ذلك حين يطرح بكل صفاقة أو يقصد من وراء الإثارة المستمرة إسقاط جهاز

مهم من أجهزة الدولة.. أو إضعاف رجاله بتقليص صلاحياتهم.

وهل يريد هؤلاء أن يكون بدل رجالات الدولة وجنودها المعروفين رجال نكرات وجنود مجهولون يعملون في الخفاء وقد يضرون أكثر مما ينفعون؟.

ومجتمعنا.. بحمد الله مجتمع محافظ خير، أفيريد أولئك الذين يشغبون على رجالات الهيئة أن يستبدل رجال رسميون يعملون وفق لوائح وأنظمة للدولة.. بآخرين محسوبين ولا تضبطهم لوائح وأنظمة وقد تسيرهم العاطفة ويستجيبون للغيرة.. فلا يرضون بصاحب المنكر يمارس جريمته فيقع الاختلاف والفتنة؟

إن بلادنا بحمد الله وعلى تعاقب المسئولين ولاة الأمر فيها يؤكدون على قطاع الحسبة ويشكرون رجالات الهيئة، ولا يمنعهم ذلك من التوجيه والإرشاد للمخطئ كغيرهم من رجالات الدولة.

ولكن نفرًا من بني جلدتنا يرومون الصعب وربما غابت عنهم المآلات، وودوا لو غيبت الهيئات!! أو فرغت من محتواها؟ إن من حق الدولة -وفقها الله- أن تحاسب الهيئات كما تحاسب بقية القطاعات لكن ليس من حق كل شخص أن يتخوض فيما لا يعلم.. وإذا قدر لجهة من الجهات أن تقع في خطأ ما فثمة لجان مختصة تُعنى بالدراسة وفق معطيات ومعلومات ووقائع.. وليس من المصلحة أن تفتح الباب واسعًا في الصحافة أو غيرها لطرح الموضوع على عامة الناس فتكون البلبلة والإثارة، ويتراشق الناس بالتهم.

ولذا فإن العقلاء يتطلعون إلى وقفة حاسمة من الدولة وفقها الله توقف فيه هذه المهارشات والتهويشات، والتي تقصد بها الهيئات هذه الأيام.. وإن كان الناس بعامة لدينهم من الحصافة بحيث لا يتأثرون بمثل هذه الطروحات.. لكنها المصلحة العامة وتسكين الفتنة، وإنصاف الجهات العاملة.

إن من رسالة الصحافة المصداقية والأمانة في العرض والطرح وذكر

المحاسن وتقويم الأخطاء ومعالجتها بحكمة وعدل، وانطلاقًا من هذه القيم للمسئولية الإعلامية، فأين وسائل الإعلام -وعلى رأسها الصحافة- عن رجالات الهيئة حين اعتدى عليهم أصحاب الشهوات، وأرباب الجرائم.. حتى دخل بعضهم المستشفيات فأين دفاع الصحافة عنهم، وأين مطالبتها بتتبع متقصديهم بالسوء، وهل تناولوا قضيتهم تلك بمثل ما يتناولون اليوم قضايا موت لأشخاص.. صرح المسئولون عن الهيئة عن ملابساتها وظروفها..

أين الصحافة وكُتَّاب الأعمدة عن عرض منجزات الهيئة، وتفاني رجالاتها في خدمة المجتمع والمساهمة في تحقيق الأمن.. هل تنكر إنجازاتهم في قبض المروجين وفي حماية الأعراض.. أو غيرها من القضايا.. أليس الله يقول: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢] فأين العدل في عرض ما للهيئات وما عليها؟ ألا يستشعر أولئك أن القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سر من أسرار البقاء وأمان من العذاب، والله يقول وهو أصدق القائلين ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٦، ١١٧].

ألسنا ندرك جميعًا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للتمكين في الأرض ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

ومن يتحمل اللعن.. وهو الطرد والإبعاد عن رحمة الله، وذلك جزاء من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨].

الخطبة الثانية:

إننا نتألم بشكل عام حين يقع أحد من المسلمين في عرض أخيه المسلم بغير حق فالله يقول: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

ونتألم أكثر حين تكون الوقيعة في أهل العلم والدعوة، وأرباب التربية وأهل الحسبة، وهنا يكون الأمر أعظم، والوعيد أشد، وهنا أقبس كلامًا نفيسًا لشيخنا محمد بن عثيمين رحمه الله حين سأل عن الاتهامات الموجهة للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فقال:- فيما قال- الوقيعة في أهل الخير أشد من الوقيعة في عامة الناس.. والوقيعة في الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر توهن جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويخشى أن يكون الدافع فيهم بكراهة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي كراهة ذلك خطر على دين العبد لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[1] [محمد: ٩].

إنها بلية حين ينقسم المجتمع إلى آمرين ومثبطين، وإلى رجالات هيئة مكلفين وإعلاميين يتهمون ولا ينصفون.. ولذا توجه الدعوة لهؤلاء أن يتقوا الله فيما يكتبون وإلى رجالات الهيئة أن يحتاطوا لما يفعلون.. ولنا جميعًا ألا نروج بيننا الشائعات ولا أن نقبل التهم دون دليل، ولا التجريح دون تفسير، ولا التعجل في إصدار الأحكام قبل نتائج التحقيقات.. نحن أمة العدل وديننا دين الفضيلة وبلادنا مهبط الوحي وفيها قبلة المسلمين، ولا خيار لنا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو قدرنا وأكرم به من قدر، وهو حظنا ونعم الحظ، ولئن

(١) موقع الرئاسة ٢٢/ ٥/ ٢٨ هـ.

ضاقت به نفوس قليلة فعامة مجتمعنا بحمد لله تؤيد الأمر بالمعروف وتساند رجالاته وتنهى عن المنكر وتساهم في محاصرة أصحابه.. وفوق ذلك فولاتنا -بحمد الله- يؤكدون على ذلك في كل مناسبة ويؤكدون على أهمية هذا القطاع ودعم رجالاته ولولا فضل الله ورحمته ثم دعم الدولة لهذا القطاع لما أصبح له هذا الشأن الذي شرق به من شرق.

وبعد أيها المسلمون فخلاصة القول أن قطاع الهيئات أحد قطاعات الدولة، وحقه الثقة والمساندة من المواطنين والمقيمين، ورجالات الهيئة إخواننا والساهرون مع غيرهم من رجالات الأمن من أجل قيمنا وحرماتنا ومن حقهم علينا المدافعة عن أعراضهم والمساندة والتعاون معهم في مهمتهم، وهي مهمتنا جميعًا «**فمن رأى منكم منكر فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه**» الحديث.. وتستطيعون معاشر المسلمين إبطال هذه الهجمة ضدهم حين تأمرون أهليكم وأولادكم بالمعروف وتنهونهم عن المنكر، فتلك مساهمة جليلة منكم في الأمر والنهي وبها تخففون على رجالات الهيئة المسئولين وحين تتعاون أيها المسلم مع جيرانك وزملائك على البر والتقوى وتنهون عن الإثم والعدوان فتلك مساهمة أخرى مع رجالات الهيئة، وحين تقدمون نصحًا أو مساعدة أو مقترحًا نافعًا لرجالات الهيئة أو يكتب القادرون مقالًا، ويؤلفون كتابًا أو محاضرة فتلك مساهمة جليلة وهكذا وبهذا وغيره تتحول المحن إلى منح، والتجريح والتهم إلى تزكيات ومساندات.

وأخيرًا بقيت همسة تقال لرجالات الهيئة -بل همسات- وفي مقدمتها الإخلاص لله في أعمالكم، والصبر والاحتساب على ما تلقون من إخوانكم.. فأنتم تتعاملون مع فئة معينة في المجتمع، تحتاج إلى صبركم وتحتاج إلى رفقكم ونصحكم، وأظنكم تفرحون بتوبة المخطئ أكثر مما تفرحون بالقبض على

المجرم وهو متلبس بجريمته، عليكم بالرفق فما كان الرفق في شيء إلا زانه، وعليكم باستحضار فقه تغيير المنكر حتى لا يترتب عليه منكر أعظم منه، كونوا رفيقين في مهمتكم منضبطين باللوائح والأنظمة الموجهة لكم من مسئوليكم حتى لا تعطوا الشائنين فرصة لتوجيه النقد لكم، طوروا أنفسكم بالدورات، وتثبتوا في المعلومات، ونشطوا إدارات التوعية فالوقاية خير من العلاج، واستفيدوا من أخطاء غيركم حتى لا تتكرر معكم، وحين تتقون وتصبرون لا يضركم كيدهم شيئًا، وقد قيل لمن هو خير منكم ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] وقيل لنبيكم ﴿وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

أيها المسلمون وغدًا أيام الامتحانات للطلاب والطالبات.. وقد سبق لنا في مناسبات مماثلة التذكير بقيمة العناية بفلذات الأكباد دائمًا وفي مناسبات الامتحان على وجه الخصوص، فنجاحهم وتفوقهم نجاح وتفوق لكم، واستفادتهم من المناهج والمقررات رافد مهم من روافد التربية لكم..

حذار -معاشر الأولياء- من الغفلة عن تربيتهم ورعايتهم في كل حين، وحذار على الخصوص من ضعف المتابعة لهم أيام الامتحانات.. إنها أيام لقاءات واختلاطات وأيام يصطاد فيها العابثون والمجرمون.. يغررون ويمنون.. في أيام الامتحانات فرصة كبرى للمجرمين لترويج المخدرات.. وربما بدأت بأقراص تمنع النوم وتساعد على الدراسة والسهر، ثم انتهت ببلية المخدرات والمسكرات فاحذروا أولئك المتصيدين والمروجين وحذروا أبناءكم وبناتكم منهم وأيام الامتحانات أيام يصطاد فيها الشاذون جنسيًا وربما رغبوا أو رهبوا الشبات أيام الامتحانات حتى أغروهم بالفاحشة فكانت سبة عار عليهم وعليكم، وربما صورت الجريمة عبر كاميرات الجوال فكانت ورقة يتلاعب بها ويضغط أولئك المجرمون على أبنائكم على الدوام..

وثمة متصيدون ومعاكسون على أبواب مدارس البنات، فهذا يرمي كلمة، وآخر يلقي برقم، وثالث يغري بموعد.. وهكذا تكون البدايات التعسة والنكسات وثلم الأعراض، والانتقاص من الشرف.. فكونوا على حذر.. وارعوا واهتموا بأبنائكم وبناتكم من حين خروجهم للامتحان إلى عودتهم، وقبل ذلك في أوقات دراستهم، وتشكر إدارات التربية والتعليم للبنين والنبات حين تجعل الامتحان فترة واحدة لا فاصل بينها، أو تجعل الطلاب في الداخل المدرسة- إن كان ثمة حاجة للفترة الثانية- حتى لا يعطى الفرصة للباحثين عن فرص فراغ الشباب كما تشكر القطاعات الأمنية حين تكثف من جهود رجالاتها أيام الامتحانات، لتأخذ على أيدي المستهترين، وتحمي المجتمع من ألاعيب العابثين، وتحية للمعلمين والمعلمات حتى يستمر عطاؤهم وتوجيههم إلى آخر لحظة.

حمى الله بلادنا ومجتمعنا من كل سوء ومكروه.



حصار الفلوجة، وحرمة الدماء المعصومة[1]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره . . .

أيها المسلمون في هذه الأيام الأرض تموج بالهرج والمرج، والفتن تتلاطم، أمواجها وتطل برأسها هنا وهناك.

وكلما شغل الناس بحدث ما جاءهم حدث آخر وهكذا.

ظلم وعدوان، وقتل واحتراب، وانتهاك للحرمات، واستهانة بشأن الدماء، مع أن أول ما يقضي فيه بين الناس يوم القيامة الدماء.

كيف حل الرعب والخوف مكان الأمن والطمأنينة؟ من وراء التصعيد؟ ومن المسؤول عن هدر الأرواح والممتلكات وكيف المخرج من هذه الأزمات؟

تلك أسئلة تدور وتثور.. كلما اصطبغت الأرض بالدماء وتناثرت الجثث على الأرض.. وأعجب كل ذي رأي برأيه وأصبحت البندقية لغة الحوار، أساسًا للتفاهم.

إننا نشهد على المسرح الخارجي ترديًا في الأوضاع الأمنية في العراق تحاصر المدن بالدبابات.. وتقذف بالأسلحة الفتاكة والمحرمة وبالطائرات والفلوجة كما هي رمز لمقاومة المستعمر المحتل.. هي كذلك نموذج للمأساة الإنسانية حيث شمل القصف المستوحش النساء والأطفال.. وبعض التقارير تشير في الأيام الماضية إلى سقوط ثلاثين طفلًا دون الخمس سنوات، ومن بين الضحايا تسعون طفلًا آخرون فوق الخامسة ومائة وتسعون امرأة.. (جريدة

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في ٢٦/ ٢/ ١٤٢٥هـ.

الحياة، الأربعاء ٢٤/ ٢/ ١٤٢٥هـ) ولا تسأل عن الضحايا الآخرين.. فمن المسئول عن هؤلاء وأولئك؟

وأكذوبة الدفاع عن النفس هي العذر الجاهز لتسويغ قتل العشرات بل المئات من المحتجين على الاحتلال..

وقبل بضعة أشخاص- ومهما كان ادعاء الخطَّاء في قتلهم- لا يسوغ بحال استحلال حرمة بلد بكامله.. واستعراض العضلات لمجاهدته وتطويقه..

إنها حماقة الغرب- وفي مقدمتهم أمريكا- تصنع المقاومة ضدهم وتزرع البغض لهم لدى كل نفس أبيه، وتوسع دائرة العدوان عليهم، بل وتعجل بنهايتهم.. فثمة تقارير من دوائرهم.. وفي صحفهم تقول: بداية النهاية لأمريكا في العراق، وكلما زادت محاولاتنا كلما ازداد الوضع سوء هكذا كتب (روبرت) في صحيفة (لوس أنجلوس تايمز).. ويمضي الكاتب يقول: مهما كان حجم التفاؤل لدى إدارة الرئيس (بوش) إلا أن ذلك لن يكون كافيًا لإخفاء الحقيقة.

وينهي الكاتب الغربي مقاله بالقول: كان عظيمًا لو انتهى الأمر بالعراق في طابور المجتمعات الديمقراطية، إلا أن الأحداث المأسوية التي شهدتها الأيام القليلة الماضية ذكرتنا مرة أخرى بأن هذه النتيجة أصبحت حلمًا بعيد المنال بحلول كل يوم جديد افترضنا فيه بأننا نعرف ما هو مناسب لبقية العالم، ونعمد إلى فرض هذه الآراء بقوتنا العسكرية المرعبة»[1].

إخوة الإسلام وثمة معالم ووقفات تبرزها الأحداث الأخيرة في العراق ومنها.

١- تساقطت تباعًا وسراعًا دعاوى تأمين الحرية والديمقراطية الغربية

---

(١) جريدة الرياض، الأحد ٢١/ ٢/ ١٤٢٥هـ شئون دولية.

للعراقيين، وكشف المستعمر عن وجهه الكالح لانتهاب الخيرات وكتم الحريات حتى ولو كان ثمن ذلك جثثًا متناثرة من الرجال والنساء والأطفال الأبرياء!

٢- وبات من المؤكد أن أمريكا استطاعت كسب الحرب ضد نظام البعث المستبد الظالم في العراق.. ولكنها لم ولن تكسب الحرب ضد الإسلام والمسلمين تحت أي ستار أو شعار موهوم.

٣- وبات من المؤكد كذلك أننا -معاشر العرب والمسلمين- ساهمنا في صنع هالة موهومة لقوات الغرب.. فنحن قد فُتنا وضعفت هممنا واستسلمنا لهم في كل شيء حتى لم يرضهم شيء إلا أن يسلخونا من ديننا ويجردونا عن هويتنا، ويفرضوا على بلادنا وشعوبنا دساتيرهم.. ويعلنوها صريحة برفض الإسلام مصدرًا أساسًا للتشريع في بلد يدين أهلها بالإسلام..

وأحداث الفلوجة تثبت أن المقاومة ممكنة.. وأن إلحاق الأضرار بالعدو ممكن.. مهما كان فارق القوة.. ومهما كانت نتائج المعركة فصمود الفلوجة هذه الأيام -بحد ذاته- تعبير عن قوة الضعيف وضعف القوي -وماذا لو هبت العراق كلها- وماذا لو تحرك العالم العربي والإسلامي؟

٤- وفي كل يوم وعبر الأحداث الدموية المتلاحقة يكتشف الناس مسلمهم وكافرهم صلف أمريكا في تعاملها مع الشعوب العربية والإسلامية، فلم يعد الاستعمار كافيًا، بل ومع الاستعمار خرق للقوانين وانتهاك للمواثيق الدولية، وذلك عبر استخدام أسلحة محظورة، فقد كشف مصدر طبي في مستشفى الصليب الأحمر الإيطالية في بغداد عن استخدام القوات الأمريكية قنابل حابسة للأوكسجين في قصفها للمدينة المحاصرة (الفلوجة)، كما لم يستبعد أطباء آخرون استخدام أمريكا للقنابل العنقودية والنابالم الحارقة.. وهي أسلحة محظورة دوليًا (الحياة ٢٤/ ٢/ ١٤٢٥هـ).

وهذه الخوارق الإنتهاكية الأمريكية توسع دائرة العداء لأمريكا، وتقلل من قيمة حضارتها، وتسقط دعاوى حملتها ضد الإرهاب فهذا هو الإرهاب.. وهي صانعته ومصدرته.

٥- ومما يضاعف المأساة ويدمي المشاعر هذا الصمت أو شبهه من المسلمين تجاه إخوانهم المحاصرين، وحتى لو وجد استنكار لا يتجاوز إلى مواقف إيجابية فهو في عداد الصمت المذل.. إن من حق إخواننا المسلمين في العراق أو غيره النصرة، فالمؤمنون إخوة، ومن وصايا الرسول ﷺ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**» ويستغرب المتابع للأحداث أن يجد استنكارًا بل ومناصرة لمقاتلي العراق من رئيس فنزويلا، فقد ألقى باللائمة على الرئيس الأمريكي في العنف المحتدم في العراق، وبعث برسالة تأييد ومناصرة للعراقيين[١]. في حين لا يتوفر مثل ذلك من زعماء مسلمين؟.

٦- والمأساة أكبر حين يضجُّ العالم الآخر وينتقد هذا الحصار اللامتكافئ.. وفي المقابل يصدر كاتب معروف في الشرق الأوسط مقالًا له بعنوان (ثوار الفلوجة) ثم لا يفهم من مناصرة المظلومين هناك إلا تصدير الإرهابيين ويقول في بداية مقاله (إلى الفلوجة انصروا إخوانكم الذين يواجهون العدوان) هذه واحدة من صيحات الاستنهاض التي تنتشر في المواقع الأصولية.. وهي في الحقيقة صيحات لتأسيس معسكرات تجنيد وتدريب ثم تصدير إرهابيين إلى بيوتنا وشوارعنا[٢].

---

(١) جريدة الجزيرة ٢٥/ ٢/ ١٤٢٥هـ.

(٢) الشرق الأوسط، الخميس ٢٥/ ٢/ ١٤٢٥هـ.

وكنت أتوقع أن الكاتب سيطرح البديل حاجة العراقيين المحاصرين إلى إغاثة ودعم مادي لمقاومة المحتل فإذا به (وكعادته) يكرس الاحتلال ويمتدح خطوات الأمريكان، وأنها في النهاية تصب في مصلحة المنطقة والدول المجاورة.

لست أدري إلى متى ستبقى هذه النوعية من الكتاب مروجة للغرب والاحتلال ومتكئة على هاجس الإرهاب في جانب، ومتناسية الجانب الأكبر في الإرهاب؟ ومشكلة ألا يبقى في ذهن هذا الكاتب من مناصرة المظلومين إلا تصدير الإرهابيين وأن يسقط آراءه في هذه الأحداث المؤلمة على من أسماهم بالأصوليين، وإذا ظن أنه بهذه الطريقة الفجة في المعالجة يحارب الإرهاب، فهو- من حيث يشعر أو لا يشعر- ممن يزرعون الإرهاب، وإن كنا نحذر من الاستجابة لأي نوع من الاستفزاز، ونشجب الإرهاب بكل ألوانه وأشكاله.

إن مشهد النساء وهن يغادرن المدن العراقية المحاصرة، حاملات على رؤوسهن أو على الدواب ما استطعن من متاع، أو أطفال هائمات على وجوههن وسط أجواء رملية عاصفة.. وهروبًا من آثار القصف والدمار.. لهو مشهد يثير من كان عنده أدنى قدر من إنسانية فضلًا عن الإسلام.. ولكن ما لجرح يميت إيلام؟

وإذا غصَّت بغداد بالنازحين، وكانت المساجد مأوى لمن ضاقت عنهم بيوت إخوانهم، فهل بعد هذا من إرهاب؟

٧- وأخيرًا فنحن بحاجة إلى أن نفهم أكثر حقيقة اللعبة وهدف أمريكا من وجودها في العراق، وماذا وراء تسليم السلطة للعراقيين وقد كشفت إحدى صحافتنا المحلية النقاب عن ذلك في افتتاحيتها حيث قالت: فالحكومة العراقية القادمة حتى لو جاءت منتخبة من الشعب العراقي فهي مقيدة بأوامر

ونواهي المحتل، أي: حكومة ظل.. إلخ[١].

فلا بد أن يكون لدينا ثقة أن المحتل سيخرج راغبًا أم صاغرًا يومًا من الأيام.. ولكن ما البديل.. وكيف سيكون مستقبل العراق، هذا سؤال يهم العراقيين بالدرجة الأولى، ولا يعفي غيرهم من المسئولية، وينجح العدو المستعمر أن خرج وقد أشعل فتنة واقتتالًا داخليًا. قد لا ينتهي، تارة عند حدود العراق، ويبقى دور العلماء والمفكرين والساسة مهمًا في توجيه واقع العراق ومستقبله، بل وتوجيه مستقبل المنطقة كلها بعيدًا عن هيمنة المستعمر وفتنة الطائفية.. وتنازع واحتراب الأشقاء وأبناء العم.. والله غالب على أمره..



(١) جريدة الرياض/كلمة الرياض ٢٥/ ٢/ ١٤٢٥هـ.

الخطبة الثانية:

إخوة الإسلام ونشهد على المسرح الداخلي بوادر فتن وفي بلادنا تطالعنا الأخبار بين الفينة والأخرى عن قتل للأنفس المعصومة وتدمير للمنشآت والممتلكات العامة، وإخافة وترويع للآمنين وتطويق ومحاصرة وتبادل لإطلاق النار.. ولا بد أن يذكر كل مسلم يخاف الله ويرجو اليوم الآخر.. أن أمر الدماء عظيم وأنها أول ما يُقضى فيه بين الناس يوم القيامة، ولا يزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا..

وفي أواخر وصايا النبي ﷺ لأمته في حجة الوداع: «**ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا..**» وطلب النبي ﷺ أن يبلغ الشاهد الغائب..

وكم نحن بحاجة إلى هدي المصطفى ﷺ في كل شيء وفي كل حين ولاسيما في هذا الزمن وفي عصمة دماء المسلمين ورعاية حقوقهم وهو الذي نهى عن مجرد الإشارة بالسلاح فقال «**ألا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار**»[(١)].

فكيف إذا تعدى الإشارة إلى الفعل.. ألا إن الأمر عظيم، فعظِّموا حرمات الله يا مسلمون ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠].

واسمعوا إلى هذا التوجيه النبوي الآخر حين يحذر عليه الصلاة والسلام من مجرد احتمال وقوع الأذى على المسلم والتحوط عن ذلك. ويقول: «**من مر في شيء من مساجدنا أو أسواقنا ومعه نبل (السهم) فليمسك أو ليقبض على نصالها**

---

(١) متفق عليه: «رياض الصالحين» (٥٦٣) تحقيق الألباني.

بكفه أن يصيب أحدًا من المسلمين منها بشيء»[١].

وفي القرآن زواجر تقرع القلوب وتخيف المعتدين ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ﴾ [المائدة: ٣٢].

﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

لا بد من معالجة الأمور بالحسنى، والرفق ما كان في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه، ولا بد من التفكير جيدًا في عواقب الأمور ومآلاتها، ودفع الفتن والشرور قدر المستطاع، فالأمن مسئوليتنا جميعًا ومكتسبات البلد لنا جميعًا.

لا بد من فقه في إنكار المنكر.. فقد يؤل الإنكار إلى ما هو أعظم من حيث نشعر أو لا يشعر.. وهنا كلام جميل وتحذير صريح من شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهو يرصد الفتن الواقعة بين المسلمين ويشخص أسبابها في ثلاثة أشياء أو ثلاثة فاعلين وجود الذنب والمنكر، وفي السكوت عن الإنكار، أو في الإنكار المنهي عنه، ويقول: وإذا كان الكفر والفسوق والعصيان سبب الشر والعدوان، فقد يذنب الرجل أو الطائفة، ويسكت آخرون عن الأمر والنهي، فيكون ذلك من ذنوبهم، وينكر عليهم آخرون إنكارًا منهيًا عنه فيكون ذلك من ذنوبهم، فيحصل التفرق والاختلاف والشر، وهذا من أعظم الفتن والشرور قديمًا وحديثًا، إذ الإنسان ظلوم جهول، والظلم والجهل أنواع، فيكون ظلم الأول وجهله من نوع

(١) متفق عليه: «رياض الصالحين» (١٣١).

(يعني ارتكاب الذنب) وظلم كل من الثاني والثالث (يعني السكوت أو الإنكار المنهي عنه) وجهلها من نوع آخر وآخر.

ثم يقول: ومن تدبر الفتن الواقعة رأى سببها ذلك، ورأى أن ما وقع بين أمراء الأمة وعلمائها ومن ذلك في ذلك من ملوكها ومشايخها ومن تبعهم من العامة من الفتن هذا أصلها[1].

وبالتالي فعلينا معشر المسلمين أن نجتنب المنكر في ذواتنا وألا نسكت عن نهي الآخرين الواقعين فيه بالحسنى وألا ننكر بطريقة منكرة تضر أكثر مما تنفع وتفسد أكثر مما تصلح، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨] هكذا قيل للمرسلين، وغيرهم من باب أولى. ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

عباد الله.. أخوَّة الإسلام لها حقوق وواجبات.. بل وكرامة الآدمي لها اعتبار في الشرع وحقوق وواجبات.. والإسلام الذي نعتز به وننتمي إليه بيَّن وأكد هذه الحقوق والواجبات ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليأت للناس الذي يحب أن يؤتوه إليه..

فإطعام الطعام وإفشاء السلام، وعيادة المريض، وتشييع الجنائز، والنصح والمعونة، والسماحة والبشر، وإعطاء الحقوق كاملة.. كل ذلك وغيره جاءت به شريعة السماء.

وكف الشر والأذى، حق لكل مسلم -بل ولغير المسلمين المسالمين- لا يجوز لعن المسلم وسبابه فسوق، وقتاله كفر (متفق عليه)..

أتدرون ما أكبر الكبائر؟

---

(١) «الفتاوى» (٢٨/ ١٤٢، ١٤٣).

جاء في الصحيحين عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**أكبر الكبائر الإشراك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وقول الزور، أو قال وشهادة الزور**»[١].

ما بال أقوام فينا باتوا يستهينون بهذه الحرمات.. بل وهذه الورطات كما قال ابن عمر ﷺ: «إن من ورطات الأمور (الهلاك) التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله»[٢].

وفي صحيح البخاري كذلك عن ابن مسعود ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**أول ما يقضى بين الناس في الدماء**»[٣].

قال ابن حجر معلقًا: وفيه عظم أمر القتل لأن الابتداء إنما يقع بالأهم[٤].

وأخرج الترمذي وحسنه من حديث ابن عمر: «**زوال الدنيا كلها أهون على الله من قتل رجل مسلم**» قال ابن العربي: «ثبت النهي عن قتل البهيمة بغير حق، والوعيد في ذلك، فكيف يقتل الآدمي، فكيف بالمسلم، فكيف بالتقي الصالح»[٥].

أخي المسلم لك فسحة في دينك بقبول الأعمال الصالحة ومغفرة الذنوب.. ما لم تصب دمًا حرامًا.. هكذا فسر بعض العلماء قوله ﷺ: «**لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا**»[٦].

قال ابن العربي: الفسحة في الدين سعة الأعمال الصالحة حتى إذا جاء القتل ضاقت لأنها لا تفي بوزره، والفسحة في الذنب قبوله الغفران بالتوبة حتى إذا جاء القتل ارتفع القبول[٧].

---

(١) «نضرة النعيم» (١١/ ٥٢٩٢) [خ٦٨٧١، م٨٨].
(٢) رواه البخاري (ح٦٨٦٣)، «الفتح» (١٢/ ١٨٧).
(٣) (٦٨٦٤)، «الفتح» (١٢/ ١٨٧).
(٤) «الفتح» (١٢/ ١٨٩).
(٥) «الفتح» (١٢/ ١٨٩).
(٦) رواه البخاري ح ٦٨٦٢.
(٧) «الفتح» (١٢/ ١٨٨).

احذروا معاشر المسلمين أن تلتقوا بالسلاح فقد صح عن النبي ﷺ قوله: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**، قال الصحابي: (راوي الحديث) يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: **إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**»[١]. قال الخطابي: هذا الوعيد لمن قاتل على عداوة دنيوية أو طلب ملك مثلًا، فأما من قاتل أهل البغي أو دفع الصائل فقتل فلا يدخل في هذا الوعيد لأنه مأذون له بالقتال شرعًا[٢].

اللهم عافنا من البلاء والفتن، واحفظ بلادنا وبلاد المسلمين من كل مكروه.



(١) (خ٦٨٧٥).

(٢) «الفتح» (١٢/ ١٩٧).

بلادنا بين تهم الأباعد وتجريح الأقارب[1]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره . . .

هناك فرق بين إرادة التطوير والرغبة في التجديد المثمر وبين جلد الذات والنقد لذات النقد، والتصيد في الماء العكر.

وهناك فرق بين أن ينتقدنا الآخرون بعدل، ويبدوا ملاحظاتهم على مسيرتنا التنموية، ومؤسساتنا المختلفة بإنصاف وبين تصدير التهم جزافًا ومحاولات الإسقاط لقيمنا ومحاصرة مؤسساتنا.

إن بلادنا، ومؤسساتنا بشكل عام، -وعلى الخصوص مؤسساتنا التربوية والاجتماعية- واقعة تحت (مطرقة) التهم الجائرة من (الخارج) و(سندان) التجريح والانتقائية الممقوتة من (الداخل)، إنها تهم الأباعد، وتجريح الأقارب.

أجل لقد راجت فترة من الزمن (دعاوى الإرهاب) لهذه البلاد المباركة، ولم يسلم أحد من التهمة، وأصدرت (قوائم) وصنفت (مؤسسات) في قائمة الإرهاب المزعوم؟

ولحقت الدعوى (الكاذبة) بأخص الخصوصيات، وأطلقت صيحات مطالبة بالتغيير، ألم يتهم ولا يزال يتهم (أشخاص) بالإرهاب، وهم أبعد ما يكونون عن التهمة؟

ألم تصنف مؤسسات وهيئات خيرية بالإرهاب، وهي التي كانت ولا تزال تدفع الإرهاب.. بل تخلف الإرهاب المسيء لتعفي أثره، تكفكف دموع اليتامى، وتداوي جراح الأيامى، وتغيث المنكوبين؟

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في ٢٧/ ٣/ ١٤٢٦ هـ.

لقد كانت حربًا ظالمة، وثمة ضحايا بريئة للإرهاب، ضجَّ المجتمع الغربي المصدر لها من ويلاتها.. وتنادي العقلاء (منهم) بإيقاف نزيفها، حتى قال عضو الكونجرس الأمريكي الأسبق، السيناتور (بول فندلي): «إن أنظمة مكافحة الإرهاب أصبحت تمثل تهديدًا لمصالح مجتمعنا أكثر من الإرهاب نفسه.. وإن جميع الأمريكيين وبالذات المسلمون منهم أصبحوا ضحية لهذه القضية»[١].

لقد كان العالم وما يزال يواجه أزمات خانقة، وكان بإمكان الغرب وفي مقدمته (أمريكا) أن يساهم في حلها، بدل أن يتجه إلى تأزيمها، ويضيف (قضية الإرهاب) المفتعلة، إلى جانب هذه القضايا الحقيقية، فتتعقد الأمور، ويزيد النزيف.

لقد اعترف وزير الخارجية الأسبق لأمريكا (كولن باول) في أوائل عام ٢٠٠٥م أن «نصف سكان هذا الكوكب حوالي ٣ مليارات يعيشون في فقر مدقع، وملياران يفتقرون للطاقة الكهربائية والصرف الصحي، وأكثر من مليار شخص يفتقرون إلى مياه الشرب النظيفة»[٢].

ويزيد من هذه المأساة ويضاعف هذه الكوارث ذلك الإقصاء المتعمد الذي تمارسه الولايات المتحدة ضد عدد من المؤسسات الإغاثية الإسلامية.

ويضيف رئيس البنك الدولي (جيمس وولفينسون) إلى حجم هذه المأساة أرقامًا جديدة إذ يقول:

إن العالم ليس عالمين اثنين موسر ومعدم، وآمن وغير آمن لقد انهار ذلك

---

(١) مجلة البيان اللندنية، في سبتمبر ٢٠٠٣م، وانظر: «ضحايا بريئة في الحرب على الإرهاب» د. محمد السلومي/ المقدمة.

(٢) «ضحايا بريئة في الحرب على الإرهاب» د. محمد السلومي.

الحائط وأصبح العالم مرتبطًا بطرق عديدة بالاقتصاد والتجارة والهجرة والبيئة والمرض والعقاقير، والنزاعات وأكد على الأخطار المستقبلية- بلغة الأرقام- قائلًا: في عالمنا الذي يضم ستة مليارات شخص، يستحوذ (مليار) منهم على ٨٠% من إجمالي الناتج المحلي العالمي، بينما الخمسة مليارات الآخرون يملكون ٢٠%، ويعيش نصف سكان هذا العالم تقريبًا على أقل من دولارين يوميًا، ولا تتوفر (لمليار) شخص إمكانية الحصول على الماء النظيف، ولا يحصل ١٠٠ مليون على فرصة الذهاب إلى المدرسة، وأكثر من ٤٠ مليون إنسان في الدول النامية مصابون بالإيدز مع أمل قليل في تلقي العلاج»[١].

والسؤال المهم.. وأمام هذا الوضع الكارثي للعالم، ماذا قدم دهاقنة الحرية، والزاعمون لرعاية حقوق الإنسان، والمدعون تصدير العدل والرفاهية والتنمية للعالم؟

وهل غزو (العراق) ومن قبل (أفغانستان) وقوائم الانتظار الأخرى وتكريس الاحتلال الصهيوني في فلسطين هي في نظر الغرب الحل الأنسب لتصدير الحرية والرفاهية وتقليل الكوارث..؟ أهذه مخرجات حضارتهم؟

أم أن هذه وتلك أضافت أرقامًا موحشة وجديدة للفقر واختلال الأمن، وانتشار الأمراض.. فضلًا عن قوافل الموتى والمشردين والناقمين.. والذين باتوا يشكلون قنابل موقوتة يمكن أن تنفجر في أي لحظة، ساخطة على الظلم والظالمين وهكذا بات المصدرون للإرهاب يجنون ثمارًا مرة لما زرعوا.

إن واقع العصر يشهد على أن دعاة محاربة الإرهاب هم الذين يصنعون الإرهاب.. وأدعياء الحرية والعدل هم الذين يؤسسون للظلم ويزرعون الحقد،

---

(١) صحيفة الاقتصادية السعودية ٢٢/ ١٠/ ٢٠٠٤م، د. محمد السلومي.. السابق (٧).

ويشعلون الحرائق، ويمنعون الإطفاء.

على أن الحق مهما طال الزمن يحق.. والباطل مهما زيف يزهق وما هي إلا برهة يسيرة في عمر الزمن حتى بدأت الدعاوى تكشف والتهم تعرى من الدليل، والحق يبين ويعلن، ويشهد شاهد من أهلها لا على سقوط الدعوى بالإرهاب فقط، بل يثبت أنه لا يوجد دليل أصلًا على التهمة.. والتي لم تكن مجرد تهمة، بل استتبعها (سيل) من الإجراءات المتعسفة أجل نطق الشهود وهم (أجانب) وحكمت المحكمة (وهي خارج الأسوار) فماذا قالوا؟ وبم حكموا؟

قال أحدهم المحامي الدكتور ويندل (معترفًا بالجور) أن السياسات الحالية لمكتب مراقبة الممتلكات الأجنبية OFAC تشتمل على القليل جدًا من العدالة، ولا رحمة فيها ولا تواضع».

كما قال آخر (ديفد أتاوي) حتى الآن لم تنجح وزارة الخزانة الأمريكية في إدانة أي من المؤسسات الخيرية الثلاث التي تم تجميد ممتلكاتها أثناء التحقيقات بأي عمل إرهابي، وهي مؤسسة: الإغاثة العالمية وهيئة الأعمال الخيرية العالمية، ومؤسسة الحرمين الإسلامية».

بل يتساءل هؤلاء ويقولون: هل الأمر يستحق تدمير هذه المؤسسات؟ هل أدى ذلك إلى تحسين أمن الولايات المتحدة أم أنه كان مجرد تصرف عقيم انتهك حقوقًا مدنية دون أن يحقق إنجازًا ملموسًا للأمن..»[١].

هذا جانب مشرق في عدالة قضايانا ونموذج لظلم الآخرين لنا.. ولكن الجانب الأكثر إيلامًا.. حين تنبعث التهم من داخلنا، وحين تكون المجاراة للآخرين من أبناء جلدتنا، وأيًا ما كانت بواعثه (أبواق مقلدة، توجهات تتصيد،

---

(١) «ضحايا بريئة في الحرب على الإرهاب» د. محمد السلومي (٩٣).

فرص للانتقام، انتقائية متعمدة) وحينها يكون تحطيم الحصون من داخلها، ويستنيب الخصم عنه من يقوم بالمهمة، فلا يبقى هذا الخصم ولا يذر ومن مقولاتهم: المؤسسات الخيرية مصدرة للإرهاب، ومحاضن التربية بؤر للإرهاب، المناهج سبب المشكلة، والمرأة المحتشمة والقوانين المنظمة لعملها وتعليمها والمراعية لأنوثتها سبب في تخلفنا..

والمراكز الصيفية ينبغي أن تغلق، حتى وإن ساب الشباب في الشوارع وخلفوا مشكلات أمنية وأخلاقية.. ومراكز الدعوة والاحتساب وحلق القرآن والتسجيلات الإسلامية ودروس المساجد في قفص الاتهام وإن كانت ضمن سياسة الدولة وتجربة التعليم في بلادنا -وإن كانت رائدة- أصبحت محل شك وهجوم وتهم؟ أهذه الشبهات الظالمة تحل المشكلة.. أم تلك الطروحات المتطرفة تعالج أزمة الإرهاب؟ وهل تجلب هذه المطارحات الصفيقة الأمن وتوفر المحبة؟

أين دعاوى الإنصاف للآخر؟ وأين التأسيس للمنهجية في النقد أين أمانة الكلمة ومسئولية الكتابة.. وأخلاقيات العمل الإعلامي؟

إننا نسمع ونقرأ بين الفينة والأخرى ما يفرق الكلمة ويوغر الصدور.. في حين يُدعى للحوار وأدب الاختلاف، ومنطقية الأحكام أين نحن من هذه المعاني الكبرى، وهي قبل أن تكون صيحات العالم هي هدي إسلامنا وقيم قرآننا ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢] ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

هناك مشكلة.. وثمة علاج.. وإيجابيات تحتاج إلى مبادرات:

١- لا بد أن نصدق في نقدنا، ونعدل في أقوالنا ونتوازن في رؤانا، وألا نؤصل التهم للآخرين فيطمع فينا الطامعون ويشنأنا الشائنون، لاسيما في وقت بدأت لغة التراجع عن التهم تطل، وسحائب التهم تتقشع، والمطلوب منا أن

نساهم في إطفاء الحرائق لا أن نبحث عن سبب لإشعالها.

٢- هناك فرق بين النقد والإسقاط، وفرق بين طلب إعادة النظر في التجربة وتقويم الأخطاء المصاحبة، وبين الهجوم الكاسح ومحاولات اجتثاث البناء من جذوره، والتطرف في الطرح أو الممارسة مرفوض، ومجارات الآخرين في النقد تبعية وضعف في الانتماء.

٣- لا بد أن نتواصل مع العالم نوضح له الصورة وندفع التهمة، ونعين الراغبين في الوصول إلى الحقيقة للوقوف عليها، ولا نستحي بإسلامنا ولا نشعر بشيء من الدونية في مؤسساتنا وبرامجنا، فالإعلام مؤثر ومن لم يغزو غزي.

٤- وكم هو خليق بنا أن نطرح نتائج تجربتنا أمام العالم حتى لا نتيح الفرصة للآخرين ليتقولوا علينا، أو يستمسكوا بالشائعات ضدنا إننا نعيش في عالم يموج بالتجارب وتتقاطع فيه الطروحات، فليكن صوتنا ظاهرًا. وعلى سبيل المثال لأهمية الإعلام أقول إن مسيرة التعليم في بلادنا -بشكل عام- وسيرته تعليم المرأة على وجه الخصوص تجربة تستحق الإشادة والإعلام، وذلك بعقد مؤتمر عالمي، يتنادى له الناس، ويجتمع المثقفون والإعلاميون، وتعقد له الندوات المحلية، والمطارحات الفكرية.. يعتمد لغة الأرقام ويركز على المخرجات، ويعني بالأهداف والسياسات، ويخلص إلى الاستفادة من تجارب الآخرين النافعة، ويثمن المسيرة ونتائجها ويطبع ذلك في كتب تترجم بعدد من اللغات لتكون كتابًا مفتوحًا ودليلًا صادقًا على هذه التجربة الناجحة.

٥- والمحاضن التربوية خليقة بالدعم، حرية بالتطوير، جديرة بالتجديد والإبداع النافع، لاسيما تلك التي تنظم مجموعة من الفتيان والفتيات في عطلة الصيف -حيث الفراغ والشباب والدعة- كالمراكز الصيفية، والدور النسائية، والدورات التربوية، والبرامج الترفيهية.

إن الشغب عليها ليس حلًّا ناصحًا.. والطرق على إغلاقها عجز عن استيعابها وربما كان سبيلًا لتفلت المستفيدين منها ووقوعهم في إدواء تكلف مستقبلًا ثمنًا باهظًا لعلاجها.. وإن التحجر على برامج عفى عليها الزمن لا يسهم في فاعليتها.. إذًا يمكن أن تطور وأن تضبط مسيرتها، وأن تكلف لجان مخلصة للإشراف على أعمالها كل ذلك ممكن وهو أسلوب لإعادة تفعيلها وضبط مخرجاتها بما يخدم المصلحة العامة.

٦- يمكن أن تساهم مراكز البحوث والرسائل الجامعية في دراسة عدد من الظواهر وتقويم التجارب في بلادنا، فمؤسساتنا الخيرية ومناهجنا التعليمية، وتجربتنا في التربية، وتحولاتنا في الاقتصاد كل ذلك ونحوه يمكن أن يسجل في رسائل علمية عالية، ويستكتب لها عدد من أساتذة الجامعات المختصين.. لتكون نتائج هذه الدراسات ملفات علمية ودليلًا موثقًا يقرأه المنصفون ويستفيد منه الآخرون.

٧- وإذا وقعت بلادنا وغيرها، ومؤسساتنا ومثيلاتها ضحايا بريئة لحملات الحرب على الإرهاب.. فنحن الآن نمر بمرحلة تعاف بوارق الأزمة فيه تخف، والتراجع يعلن ولا يُسرُّبه، ومن الحصافة والكياسة أن نستثمر هذه الظروف، وأن نحقق مزيدًا من المكاسب لديننا وحضارتنا وبلادنا.

٨- نحن حين ندعو إلى حوار الحضارات لا إلى زمالة الأديان وتقاربها وندعو إلى كلمة سواء بيننا وبين غيرنا ألا يعبد إلا الله ولا يشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله.. ونعيب على الذين ينادون بصدام الحضارات مستعلين بقوة المادة مستكبرين بسلطان العلم والتقنية فهذا الصراع الأحمق ربما تفوق فيه الأقوى وإن كان الأسوأ أما أجواء الحوار الصادقة فتكون القوة لسلطان الحجة، والفيصل لشواهد الحق والعدل، والبقاء لمن يملكون

إسعاد البشرية في الدنيا ويهدونها إلى طرق الخلاص والفوز في الآخرة.

٩- لا بد أن ندعم القضايا العادلة ونؤكد حقوق الشعوب في تحررها وسلطانها على بلادها، ونستنكر العدوان والظلم والاحتلال والاستعمار فتلك مورثات الكراهية، باعثات الأحقاد، مهددات للأمن والسلام وإذا كانت قضية فلسطين أُمَّ القضايا فلا بد أن نوليها من العناية ما تستحق دون أن يكون ذلك على حساب غيرها من قضايا الأمة المسلمة في كل مكان.

١٠- وعلينا أمة الإسلام واجب البيان والبلاغ لشعوب العالم وحكوماته ولا بد أن ننهض بمهمتنا ونمثل إسلامنا، ونحمل النور الذي نزل به الأنبياء من السماء وختم بمحمد ﷺ.. إلى أمم الأرض نأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، نقرر الوسطية ونشهد على الناس. تلك مسؤليتنا وذلك قدرنا، وهو مؤشر لخيريتنا ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].



انتصاراتنا في رمضان[1]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره . . .

وهل تعلم أن شهر رمضان شهر الانتصارات وفرصة لتجديد العزائم وعلو الهمم؟

معشار المسلمين: وقفة وتنبيه، واستدراك وتخويف، ها هنا ورقة التقويم تعن انسلاخ النصف الأول من رمضان، وما أسرع ما ينفرط النصف الباقي، فهل من مدكر. . إنها الأيام تمضي سراعًا والشهور تتصرم، والعمر معها ينقص ويذهب، وآيات الله يخوف بها فالقمر يذهب ضوءه ويخسف، والشمس يذهب نورها وتكسف. . والفتن هنا وهناك تموج وتضطرب. . والناس أشبه بمن ركب ثبج البحر في وقت هيجان الريح وشدة الموج وهم لا يدرون أين ترسي السفينة ومن يسلم من الغرق؟

انتصف الشهر وفاز المشمرون ولا نامت أعين الكسالى والمفرطين وبقي في الشهر بقية لعزائم أهل العزائم، واستدراك للمقصرين.

أخي الصائم وبينك وبين الله حاول أن تقلب صفحات النصف الأول، ماذا صنعت؟ ماذا قدمت؟ كم فرصة ضيعت، وكم أضفت للرصيد الباقي؟

فإن قلت ذاك ذاك أمر مضى، وتلك أيام خلت لا أستطيع لها ردًا ولا أضيف لها عملًا. . فدونك النصف الباقي. . وقلب صفحاته من الآن واكتب على كل يوم عملًا، وإياك أن تفجأ بانصرامه كما فجئت بانصرام ما قبله.

إن رمضان وإن مضى نصفه -والنصف كثير- فقد بقي نصفه الآخر، وليس ما

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في ١٩/ ٩/ ١٤٢١هـ.

مضى بأهم مما بقي، فهل تعقد العزم وتضمر الجد.. أم هي مجرد حسرات على الماضي وتسويف في المستقبل.. والنتيجة هم وغم، وحرمان وتفريط؟ لا أخًا لك أخي الصائم ترضى بهذا.. بل من أعظم مكاسبك في هذا الشهر انتصار الإرادة وعلو الهمة..

أيها الصائم ماذا تعرف من انتصاراتنا في رمضان؟ وما نوع هذه الانتصارات وماذا بقي لنا من عبرة، وما هي الانتصارات المتجددة في رمضان؟

إخوة الإسلام وإذا كان رمضان شهر التقوى والصيام، وشهر الصبر وتلاوة القرآن، وشهر النفقة والإحسان، إلى غير ذلك من مزايا وفضائل شهر الصيام، فرمضان كذلك شهر الانتصار، وانتصاراتنا في رمضان في أكثر من مجال، لا تُحدُّ بزمان ولا يخص بها أجيال دون أجيال.. وليست قصرًا على الانتصارات العسكرية بل ثمة انتصارات نفسية وتربوية ففي شهر رمضان ينتصر الصائم على دواعي الشهوة- وإن كنت مباحة- إذ تصوم البطون عن الأكل والشراب، وإن كانت حلالًا وتصوم الفروج عن الشهوة وإن كانت غير ملومة مع الأزواج أو ما ملكت الأيمان، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

* وينتصر الصائم على الشهوة المحرمة كشرب الدخان أو ما يدخل في بابه -بل وأعظم- كالمخدرات والمسكرات ونحوها.. فثمة نفر من المسلمين بلوا بهذه الأدواء المهلكة.. لكنهم في شهر الصيام -يهجرونها ولو على الأقل في نهار رمضان- وهم خليقون بهجرها على الدوام، وعسى الله أن يجعل من شهر رمضان فرصة لهم للتوبة النصوح والانتصار على دواعي الشهوة التي تورث الذلة والمهانة.

* أيها الصائمون والصائم الموفق والحافظ لصيامه ينتصر على شهوة النظر المحرمة، وشهوة السمع الآثمة، هذا في السمع والبصر، وفي اللسان ينتصر

الصائم الحافظ لصيامه على آفات اللسان من الغيبة والنميمة، واللغو، وقول الزور، والفحش والآثام ورديء الكلام.

* عباد الله وينتصر الصائمون الموفقون على دواعي الشهوة الخفية من حب الرياء والسمعة، والصيام يُدرب على الإخلاص وبالصيام يقوى جانب المراقبة لله، إذ لا رقيب على الصائم إلا الله في صيامه وحفظ أمانته، ومن هنا قال ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**».

* إخوة الإيمان وينتصر جماهير من المسلمين -في رمضان- على مكر الشيطان وتوهينه وإغوائه في التكاسل عن الصلاة جماعة مع المسلمين وفي شهود صلاة الفجر التي طالما أضاعوها أو أخروها عن وقتها.. وفي رمضان تكتظ المساجد بالمصلين وعسى الله أن يجعل من رمضان فرصة ليراجع المفرطون أنفسهم ويتوبوا إلى بارئهم ويشكروه على نعمة الصحة والأمن والفراغ، ويخرجوا من دائرة الخلوف الذين قال الله فيهم: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـًٔا﴾ [مريم: ٥٩، ٦٠].

وها هو باب التوبة يفتح على مصراعيه يا أخا الإسلام فلا يضيق بك الباب وإن كان واسعًا؟

* كما ينتصر الصائمون على الشح والإثرة والبخل والأنانية، ففي رمضان تكثر الصدقات والإحسان للفقراء والمحتاجين، ويحس المسلمون -في رمضان- أكثر من غيره بحوائج إخوانهم المسلمين هنا وهناك فيصلونهم ويحسنون إليهم، والمؤمل والمرتجى أن يمتد هذا الإحسان والإنفاق -بعد رمضان.

أيها المسلمون وحين نعد انتصاراتنا -المعنوية- في رمضان، فإن كل طاعة

يتقرب بها إلى الله في رمضان هي انتصار للحق وانتصار لأصحاب الحق، وإن كل تائب يعود إلى رشده في رمضان ويلتزم صراط الله المستقيم هو انتصار للحق، وهو معدود في انتصاراتنا في رمضان، وإن كل كسب يتحقق للإسلام ودعوة مثمرة لغير المسلمين للدخول في الإسلام تنشط في رمضان هي انتصار للحق وهي في دائرة انتصاراتنا في رمضان.. وفوق هذا وذاك فنحن قادرون على تحقيق مزيد من الانتصارات في رمضان حين نتحرك ونجتهد ونخلص ولا نكل ولا نمل.

أيها المسلمون- وإذا كانت هذه وأمثالها- من انتصاراتنا السلمية في شهر رمضان، فلنا انتصارات عسكرية في رمضان هلل الكون لها واستبشر بها جند الله وكبر، وأرغمت أنوف الكافرين، وخضدت شوكة الباطل والمبطلين.. وسأكتفي اليوم بوقفة يسيرة عند نموذج واحد من هذه الانتصارات.

كانت وقعة بدر ملحمة عظمى انتصر فيها الحق على الباطل رغم فارق العدد والعدة، وشاء الله أن تقع المعركة على غير ميعاد، بل والمسلمون لها كارهون، ويودون أن غير ذات الشوكة تكون لهم - ولكن الله كان يريد المعركة، (ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين، ليحقق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون).

وتعلم المسلمون -من معركة بدر- أن القوة المادية ليست وحدها ميزان النصر، كيف لا والمؤمنون يقرؤون في كتاب ربهم أنهم إذا صدقوا وأخلصوا، وأعدوا ما استطاعوا من قوة نصرهم الله على عدوهم وعذب الله الكافرين بأيديهم وتأملوا دقة التعبير في قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤].

لقد كانت معركة (بدر) الرمضانية فرقانًا -كما سماها الله- بين الحق والباطل

وبين التوحيد والشرك، وبين عهد الضعف والأمر بالصبر والانتظار وكف الأيدي، وبين عهد القوة والجهاد في سبيل الله، والذي استمر في الفتوح على أيدي المسلمين حتى وإن انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

وكانت (بدر) فرقانًا في موازين عوامل النصر والهزيمة، فقد خرجت قريش تجر أثواب الكبر والخيلاء بطرًا ورآء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط.. وما هي إلا لحظات حتى تطامنت الكبرياء وأرغمت أنوف الملأ من قريش ما بين قتيل وأسير، وحين نتجاوز ما حصل لأبي جهل ومن لقي مثل مصيره من صناديد قريش من أصحاب القليب.. ونلتفت إلى الأسرى- وفيهم كبراء وملأ من قريش- نقف كذلك على نوع من دروس بدر في نصرة الحق- ولو بعد حين- وفي قصة سهيل بن عمرو بن عبد شمس- ما يؤكد ذلك، فقد وقع سهيل- ممثل قريش في صلح الحديبية- في الأسر في معركة بدر، وقد كان أحد أشراف مكة، وخطيب قريش المشهور، وكان لخطبه أثر كبير في محاربة المسلمين، وحين تقرر إطلاق سراحه من الأسر بعد دفع الفداء عنه، تقدم الفاروق عمر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ قائلًا: إنزع ثنتي سهيل حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبًا في موضع أبدًا، فأبى رسول الله ﷺ ذلك وقال لعمر: «**دعه فعسى أن يقوم مقامًا تحمده**»[(١)].

ومضت الأيام سراعًا، وأسلم فيما بعد سهيل، وصدقت رؤية رسول الله ﷺ، فحين ارتد من ارتد من العرب بعد موت النبي ﷺ كان لسهيل موقف يحمد عليه، فقد بلغه أن بعض أهل مكة هم بالردة، وكان سهيل سيدًا مطاعًا فيهم- فوقف خطيبًا وقال: «يا أهل مكة لا تكونوا آخر الناس إسلامًا، وأولهم ارتدادًا

(١) «البداية والنهاية» (٣/ ٣١١).

والله من رأينا من أمره شيء ضربنا عنقه كائنًا من كان».

قال ابن حجر: وخطبهم بنحو ما خطب الصديق أهل المدينة[(١)].

أيها المسلمون ليس الحديث عن معركة بدر بالتفصيل -وإلا لطال الكلام- وفي المعركة دروس وعبر تستحق الوقفة والنظر، ولكنني في هذا المقام اكتفي بعرض موقف آخر في صف المسلمين، بعد أن عرضت لموقف في صف المشركين وهو مؤشر على صدق المسلمين في الجهاد، وتنافسهم على الشهادة في سبيل الله وهذا سعد بن خيثمة بن الحارث، وأبوه خيثمة رضي الله عنهما اختلفا أيهما يخرج مع الرسول ﷺ للمعركة، وأيهما يبقى مع النساء! إذ لا بد لأحدهما أن يقيم، فقال الأب -وهو شيخ كبير- لابنه مستخدمًا حق الأبوة «آثرني بالخروج وأقم أنت مع النساء، فأبى الولد سعد -لا عصيانًا ولا عقوقًا- ولكن رغبة فيما عند الله وقال: «لو كان ذلك غير الجنة آثرتك به، وإني لأرجو الشهادة في وجهي هذا» واشتد الخلاف بينهما كل يريد الخروج (لبدر)، فلم يجدا حلًا إلا أن يستهما، فخرج السهم لسعد -الابن- فخرج فاستشهد يوم بدر[(٢)].

تأملوا في هذه الصورة وقارنوا بينها وبين واحد من زعامات قريش وهو أبو لهب الذي خاف من الخروج لبدر رغم عداوته للرسول ﷺ والمسلمين، ولم يحضر المعركة، وأناب عنه رجلًا بثلاثة آلاف دينار.. ولكن الله قتله بآثار المعركة، فحين سمع نتيجة المعركة وهزيمة المشركين كان الخبر قاسيًا عليه، فأصابته الحمى ويقال إنه مات كمدًا وغيظًا.

---

(١) «الإصابة» (٤/ ١٤٦)، «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٩٤)، خطب د. عبد الرحمن المحمود (٣٧٧).

(٢) «الإصابة» لابن حجر (٤/ ١٤٠)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١/ ٢٦٦) المحمود/ خطب (١٤٣).

وعمومًا ففي معركة بدر عدة معالم ومن أهمها:

١- إن الظلم له نهاية والمكر السيء يحيق بأهله وبين مقولة زعماء قريش لا بد أن نرد بدرًا ونشرب الخمور وتعزف علينا القيان ويعلم العرب أنا نحن الناس بين هذه الكبرياء.. وصرعاهم في القليب عبرة لمن اعتبر.

٢- إن النصر مع الصبر وحين يصدق المسلمون يمدهم الله بجنود من عنده ومن تأمل عوامل النصر الإلهية في بدر أدرك ذلك وهي:

١- النعاس، ٢- الملائكة، ٣- نزول المطر، ٤- تقليل المشركين في أعين المسلمين والعكس.

٣- أن الفارق الزمني بين العظمة والاستكبار والسقوط والاندثار قصير.. وبين معركة بدر وفتح مكة ست سنوات.. وهي قليل بالنسبة لاختلاف الوضع وتغير الحال لكل من الفريقين.



من يظلم المرأة(١)

الخطبة الأولى:

إخوة الإسلام، حرم الله الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرمًا، والله لا يحب الظالمين، ولا تحسبن الله غافلًا عما يعمل الظالمون، وكم في هذا الكون من ظلم وظلمات، ودعونا نقف اليوم على جانب من الظلم يقع على فئة كبيرة في المجتمع.. وهذا الظلم قديم يتجدد، لكن بصور وأنماط مختلف في شكلها وربما اتفقت في مضمونها.. إنه ظلم المرأة.. فقد ظلمتها الجاهليات القديمة، وتظلمها الجاهليات المعاصرة.. تظلم المرأة من قبل الآباء، والأزواج وتظلم من قبل الصويحبات والحاسدات، بل وتظلم المرأة من قبل نفسها أحيانًا.. تظلمها الثقافات الوافدة، والعادات والتقاليد البالية، تظلم المرأة حين تمنع حقوقها المشروعة لها، وتظلم حين تعطى من الحقوق ما ليس لها.. إنها أنواع وأشكال من الظلم لا بد أن نكشف شيئًا منها، وتخلص إلى عظمة الإسلام في التعامل معها وضمان حقوقها والاعتدال في النظرة إليها..

أجل إن ظلم المرأة قديم في الأديان القديمة والشعوب والأمم المختلفة، فهي عند الإغريق سلعة تباع وتشترى في الأسواق، وهي عند الرومان ليست ذات روح، فهم يعذبونها بسكب الزيت الحار على بدنها، وربطها بالأعمدة، بل كانوا يربطون البريئات بذيول الخيل ويسرعون بها حتى تموت، والمرأة عند القدماء من الصينيين من السوء بحيث يحق لزوجها أن يدفنها وهي١ حية ولم تكن المرأة -عند الهنود- ببعيد عن ذلك، إذ يرون أن الزوجة يجب أن تموت

(١) ألقيت هذه الخطبة في ٢/ ٣/ ١٤٢٧هـ.

يوم موت زوجها، وأن تحرق معه وهي حية، على موقد واحد، وكذا الفرس فللرجل حق التصرف فيها بأن يحكم عليها بالموت أو ينعم عليها بالحياة.. ولم تكن حال المرأة بأسعد من ذلك عند اليهودية المحرفة وكذا النصرانية، فهي عند اليهود لعنة لأنها أغوت آدم، وإذا أصابها الحيض فلا تجالس ولا تؤاكل، ولا تلمس وعاء حتى لا يتنجس!، كما أعلن النصارى أن المرأة باب الشيطان وأن العلاقة معها رجس في ذاتها(١).

ومن جاهليات العجم إلى جاهلية العرب، حيث كانوا يتشائمون بمولدها، حتى يتوارى أحدهم من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب، بل شهد القرآن على وأدهن وهن أحياء ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩] كانت تظلم وتعضل في ميراثها وحقوقها، وكانت ضمن المتاع الرخيص للأب أو الزوج حق التصرف فيها..

ومن الجاهليات القديمة إلى الجاهليات المعاصرة حيث ظلمت المرأة باسم تحريرها، سلبت العبودية لخالقها واستعبدها البشر، واعتدوا على كرامتها، وفتنوها وأخرجوها من حضنها الدافئ، وحرموها لذة الأمومة، وعاطفة الأبوة، فهامت على وجهها تتوسل للذئاب المفترسة، وربما كدحت وأنفقت حتى تظل مع عشيقها.. وربما سارع للخلاص منها لينظم إلى معشوقة وخادنة أخرى.

أيها المسلمون.. جاء الإسلام لينصف المرأة ويصلها بخالقها، ويرشدها إلى هدف الوجود وقيمة الحياة، وليصف لها حياة السعادة في الدنيا والآخرة ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [غافر: ٤٠] ونزل القرآن ليعلمن ضمان حقوق المرأة

---

(١) «ظلم المرأة» محمد الميدان (٢١-٢٤).

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾[1] [آل عمران: ١٩٥].

وقام المسلمون بأرقى تعامل عرفته البشرية مع المرأة.. بل أشرقت حضارتهم على الأمم، وتعلمت منهم الشعوب الأخرى كرامة المرأة، ويعترف أحد الغربيين (كوستاف لوبون) بذلك حين يقول: «إن الأوروبيين أخذوا عن العرب مبادئ الفروسية وما اقتضته من احترام المرأة، فالإسلام إذن، لا النصرانية هو الذي رفع المرأة من الدرك الأسفل الذي كانت فيه، وذلك خلافًا للاعتقاد الشائع، وإذا نظرت إلى نصارى الدور الأول من القرون الوسطى رأيتهم لم يحملوا شيئًا من الحرمة للنساء.. وعلمت أن رجال عصر الإقطاع كانوا غلاظًا نحو النساء قبل أن يتعلم النصارى من العرب أمر معاملتهن بالحسنى»[2].

أيها الناس، وإذا تشدق المبهورون اليوم بحضارة الغرب وقيمه، وحطوا من قيم حضارتهم جاءت شهادة المنصفين من الغرب تكذب هذا الادعاء وتثبت أن إصلاح المرأة في الغرب إنما تم بعد احتكاك المسلمين في أسبانيا (الأندلس) بالغرب.. وفي هذا يقول (مارسيل بوازار) «إن الشعراء المسلمين هم الذين علموا مسيحي أوربا -عبر أسبانيا- احترام المرأة»[3].

عباد الله إننا في فترات المراهقة الثقافية ننسى أصولنا، وننبهر بما عند غيرنا، ولكن اعترافات القوم تعيد إلى بعضنا التوازن، نعم لقد ظلم ديننا، من بعض

---

(١) وأكد المصطفى ﷺ بل حرج على حقوق المرأة فقال: «**اللهم إني أخرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة**» رواه ابن ماجه ٣٦٧٨، والبيهقي في مصنفه ٥/ ٣٦٣ وصحح إسناده النووي.

(٢) «قالوا عن الإسلام» د. عماد الدين خليل (٤٣١).

(٣) «قالوا عن الإسلام» (٤٠٩).

أبناء جلدتنا، وزهد البعض في ثقافتنا وقيمنا، وشوه وضع المرأة عندنا من قبل أعدائنا.. وشاء الله أن يقام الشهود المنصفون من القوم على أنفسهم ومن سار في ركبهم، فهذه امرأة غربية تكشف الحقيقة بممارسة سلوكية واقعية حين تقول زوجة السفير الإنجليزي في تركيا: «يزعمون أن المرأة المسلمة في استعباد وحجر معيب، وهو ما أود تكذيبه، فإن مؤلفي الروايات في أوربا لا يحاولون الحقيقة ولا يسعون للبحث عنها، ولولا أنني في تركيا واجتمعت إلى النساء المسلمات ما كان لي إلى ذلك سبيل.. فما رأيته يكذب كل التكذيب أخبارهم عنها.. إلى أن تقول ولعل المرأة المسلمة هي الوحيدة التي لا تعني بغير حياتها البيتية، ثم إنهن يعشن في مقصورات جميلات»[1].

إخوة الإسلام هكذا وتظل المرأة المسلمة معززة مكرمة موفرة لها الحقوق ما بقي الإسلام عزيزًا ويظل المسلمون أوفياء للمرأة ما داموا مستمسكين بالإسلام.. وكلما تغرب الإسلام، أو انحرف المسلمون.. عاد الظلم للمرأة بصورة أو بأخرى.. لا فرق بين هضم حقوقها.. أو تلمس حقوقًا ليست لها لتشغلها عن حقوقها ووظائفها النسوية الأساسية.

وهذه صور من ظلم المرأة للوعي بها واجتنابها، فهي تظلم حين تستخدم سلعة رخيصة للدعاية والإعلان، وتظلم المرأة حين تزج في عمل لا يتلائم وأنوثتها.. أو يزج بها في مجتمع الرجال تظلم المرأة حين تضرب بغير حق، أو تعضل لأدنى سبب، أو يتحرش بها جنسيًا، أو تغتصب، أو تستغل في التجارة الجسدية، أو بحرمانها من الحياة الزوجية السعيدة، تظلم المرأة حين يسلب حياؤها ويعتدى على قيمها، ويستهان بروحها وأشرافها.. وتخدع بزينة عابرة،

---

(١) السابق (٤٢٥، ٤٢٦).

وأشكال وأصباغ زائلة وتظلم المرأة حين يقصر الولي أو المجتمع في تربيتها تظلم المرأة حين تعرض للأمراض المختلفة كالزهري والسيلان، والإيدز.. ونحوها. تظلم المرأة حين يتأخر في زواجها فتعنس، أو تمنع من الحمل والولد فتفلس أو تزوج بغير إذنها وبمن لا ترغب، تظلم المرأة حين تسخط منها وحين تولد، أو تلعن وتسب حين تكبر، تظلم المرأة حين يغالى في مهرها فيتجاوزها الخطاب إلى غيرها أو تلزم بزوج لا ترغبه، وقد تجبر على زوج فاسد، تظلم المطلقة في ولدها، وقد تظلم المرأة من أقرب الناس لها، تظلم المرأة بضرتها، وتظلم المرأة بإفشاء سرها لاسيما في أمر الفراش «**وإن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها**»[1].

تظلم المرأة حين يعتدى على مالها بغير حق أو يعتدى على حجابها وحيائها باسم التحضر.

وثمة صور أخرى لظلم المرأة نفسها حين تقصر في طاعة الله، وترتكب المحرمات.. وتضيع الأوقات وتسفل في همتها.. وتكون الأزياء والموضة غاية مرادها.. تظلم المرأة حين تختزل حقوقها في قيادة.. أو يزج بها في خلطة بائسة، أو تجد نفسها في كومة من الفضائيات الساقطة.. أو تجر لمواقع عنكبوتية مشبوهة.. تظلم المرأة حين تهمش رسالتها الخالدة وتصرف عبوديتها عن الخالق الحق إلى عبادة الأهواء والشهوات، وكم هو وأد للمرأة حين يوحي لها أن نماذج القدوة ساقطات الفكر، عاشقات الشهوة والشهرة إن من أعظم ظلم المرأة أن يلبس عليها الحق بالباطل، وتستبدل الحسن بالقبيح، ويصور لها الحياء والعفة بالرجعية والتطرف على حين يصور لها السفور والاختلاط بالمدنية

---

(١) رواه مسلم (١٤٣٧).

والانفتاح والتحضر؟

وكم تظلم المرأة حين يقال لها أن من العيب أن يكفلها أبوها، أو ينفق عليها زوجها، ويلقى في روعها أن القوامة القرآنية ضعف وتبعية، وأن عليها أن تكد وتكدح لتتخلص من نفقة الآخرين وقوامتهم.. نعم لقد أصبح العامل الاقتصادي كل شيء في ذهن أدعياء تحرير المرأة ولذا تراهم يطالبون لها بأي عمل ويقحمونها في كل ميدان فتظل المسكينة تلهث متناسية أعباءها الأخرى وواجباتها الأسرية المقدسة فلا هي أم حانية ولا مربية ناجحة.. حتى إذا ذبلت الزهرة والتقت الكادحة في العمل بلا حدود إلى المحصلة النهائية وجدت نفسها في العراء فلا هي أفلحت في التربية وبناء الأسرة ولا هي خلفت جاهًا يذكر أو حشمة تشكر، وعادت تندب حظها كما ندبت نساء الغرب والشرق قبلها، وإذا أمكن قبول ظروف الغارقات في الوحل فلا يمكن بحال قبول ظروف امرأة مسلمة قال لها خالقها ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] اللهم أذهب عن النساء المسلمات الرجس، وطهرهن تطهيرًا..



الخطبة الثانية:

عباد الله: ومن الظلم الواقع على المرأة إلى الظلم الملبس على المرأة، فثمة دعوى وشبهات يخيل لبعض النساء أنهن مظلومات فيها وليس الأمر كذلك.. لكنه تشويه وتزوير وتضليل وخداع ومن ذلك:

١- الدعوى بأن بقاء المرأة في بيتها ظلم لها، وهذه مغالطة تكشفها نصوص الوحيين فمن القرآن: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣] ومن السنة قال عليه الصلاة والسلام: «**قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن**»[1] فدل قوله: «**قد أذن الله لكن**» على أن الأصل البقاء في البيت، والخروج إنما يكون لحاجة، ويشهد بجدواها الغربيون ويقول أحدهم (جاك ريسلر): مكان المرأة الصحيح هو البيت، ومهمتها الأساسية هي أن تنجب أطفالًا[2].

٢- الإدعاء بقصر مسمى عمل المرأة خارج منزلها، وعدم اعتبار عملها في منزلها عملًا يستحق الإشادة والتقدير، وليس الأمر كذلك بل اعتبر الشارع الحكيم عملها في بيتها شرفًا وكرامة، وكم نغفل عن مدونات السنة ومصطلحاتها، وفي صحيح البخاري، في كتاب النفقات باب عمل المرأة في بيت زوجها ثم ساق البخاري نموذجًا عاليًا لهذا وساق الحديث عن علي رضي الله عنه قال: أن فاطمة رضي الله عنها أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى.. الحديث (٥٣٦١)[3].

وفي الرواية الأخرى (عند أبي داود) عن علي رضي الله عنه قال: كانت عندي فاطمة

---

(١) رواه البخاري (٥٢٣٧).

(٢) (قالوا عن الإسلام/ ٤١٥).

(٣) «الفتح» (٩/ ٥٠٦).

بنت النبي ﷺ فجرت بالرحى حتى أثرت بيدها، واستقت بالقربة حتى أثرت في عنقها، وقمت في البيت حتى اغبرت ثيابها، وخبزت حتى تغير وجهها[(١)].

فهل تستطيع امرأة أن تقول أنها خير من فاطمة؟. أو يقول رجل إنه خير من علي؟ وتاج ذلك إقرار النبي ﷺ لهذا العمل البيتي حتى إذ سألاه الخادم أرشدهما إلى ما هو خير من ذلك ملازمة الذكر، لاسيما إذا أوى إلى فراشهما قائلًا: «**فهو خير لكما من خادم**».

٣- ومن دعاوى الظلم على المرأة القول بأن التعدد ظلم لها، وكم شوهت وسائل الإعلام بمسلسلاتها الهابطة، وأعمدتها الجانحة، صورة التعدد المشروع، والتعدد فوق أنها شرع رباني ليس لمؤمن ولا مؤمنة أن يكون لهم الخيرة من أمرهم فيه، فهو مضبوط بالعدل ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾ [النساء: ٣].. والتعدد عوض عن الطلاق في حال عقم المرأة أو مرضها، أو عدم قناعة الزوج بها.. فلا خيار في هذه الحالات أو نحوها.. إلا الطلاق أو التعدد؟

على أن أمر التعدد الإسلامي عاد مطلبًا لجمعيات الغرب، وفي أمريكا أكثر من جمعية يجوب أعضاؤها نساء ورجال مختلف الولايات الأمريكية داعين في محاضراتهم للعودة لنظام التعدد[(٢)].

وعاد نساء الغرب يدعين للتعدد، وتقول أستاذة في الجامعة الألمانية: أن حل مشكلة المرأة في ألمانيا هو في إباحة تعدد الزوجات[(٣)].

---

(١) انظر: «المرأة بين البيت والعمل» د. سليمان العودة (٥/ ٤٣).

(٢) عن «ظلم المرأة» محمد الهيدان (٧٨).

(٣) «ظلم المرأة» الهيدان (٧٨).

ويعترف أحد الغربيين الذين هداهم الله للإسلام بأن التعدد في البلاد الإسلامية أقل إثمًا وأخف ضررًا من الخبائث التي ترتكبها الأمم المسيحية تحت ستارة المدنية، فلنخرج الخشبة التي في أعيننا أولًا، ثم نتقدم لإخراج القذى من أعين غيرنا[١]. وفي الوقت الذي يؤيد فيه غربي آخر تعدد الزوجات عند المسلمين معتبرًا إياه قانونًا طبيعيًا وسيبقى ما بقي العالم، هو في المقابل ينتقد النظام الغربي ويبين الآثار المترتبة على الإلزام بزوجة واحدة ويقول (إيتين دينيه) إن نظرية التوحيد في الزوجة التي تأخذ بها المسيحية ظاهرًا، تنطوي تحتها سيئات متعددة ظهرت على الأخص في ثلاث نتائج واقعية شديدة الخطر جسيمة البلاء، تلك هي: الدعارة، والعوانس من النساء، والأبناء غير الشرعيين. .)[٢].

فهل من مدكر، وإذا اعترف بهذا عاقل غربي، فماذا يقول مسلم، يقرأ في القرآن ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٦٧] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

٤- أيها المسلمون ويدعي الموتوردون والجاهلون ظلمًا وعدوانًا إن شهادة المرأة، تعدل نصف شهادة الرجل ظلم على المرأة، والذي خلق الزوجين قال في تعليل ذلك (أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) لاسيما في القضايا المالية الواردة في الآية على أن أهل العلم قرروا قبول شهادة المرأة، أحيانًا لوحدها، وذلك في أمور هي أدرى بها من الرجل، قال ابن قدامة رحمه الله[٣]: لا نعلم بين أهل العلم خلافًا في قبول شهادات النساء المفردات في الجملة، قال القاضي: والذي تقبل من شهادتهن منفردات خمسة أشياء: الولادة،

(١) «قالوا عن الإسلام» (٤٢٧).

(٢) «قالوا عن الإسلام» عماد الدين خليل/ ٤١٣).

(٣) «المغنى» (١٠/ ١٦١).

والاستهلال، والرضاع، والعيوب تحت الثياب كالريق والقرن والبكارة والثيابة والبرص، وانقضاء العدة).

٥- ويزعمون كذلك أن دية المرأة نصف دية الرجل حيف عليها، وينسون أو يتناسون حكمة العليم الخبير، بحاجة الرجل فوق حاجة المرأة للمال للنفقة الواجبة عليه دون المرأة، ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النساء: ٣٤].

ومع ذلك فهذه الدية للمرأة في حال قتل الخطأ.. أما إذا كان العمد فإن الرجل والمرأة سواء ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣] الآية، وقد قيل حكمة في ذلك كذلك: لما كانت الدية مواساة لأهل المقتول وتعويضًا لهم، فالخسارة المادية في الأنثى أقل منها عند الرجل، إذ الرجل يعمل ويوفر دخلًا لأسرته أكثر، فخسارته أعظم من المرأة فكانت الدية في حقه أعظم[1].

أيها المسلمون هذه نماذج لدعاوى ظلم المرأة في الإسلام لا يقول بها إلا جاهل أو مغرض وفي قلبه مرض، وإلا فشهادة الأبعدين والأقربين أن ليس ثمة نظام أنصف المرأة كما أنصفها الإسلام، وليس ثمة شعوب أحسنت معاملة المرأة وضمنت حقوقها كما أحبها المسلمون، وأختم بهذه الشهادة. يعلن فيها (مارسيل) القول: أثبتت التعاليم القرآنية وتعاليم محمد ﷺ أنها حامية حقوق المرأة التي لا تكل[2].

---

(١) «المرأة بين الجاهلية والإسلام» (١٦١) عن «ظلم المرأة» للهيدان (٨١).

(٢) «قالوا عن الإسلام» (٤١٠).

الحج والعشر بين ذكر الله ومراغمة الشيطان(١)

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره . . .

إخوة الإسلام: وتتجدد المناسبات الإسلامية. . ويفيض الله من رحماته على المسلمين ما يستوجب الشكر والثناء على واهب النعم وقد عاد حجاج بيت الله بعد أن أدوا مناسكهم بأمن وأمان وصحة وعافية ينبغي أن تذكر فلا تنس، ويشكر الله عليها وهو أهل الحمد والثناء والشكر موصول ولن يضيع الله أجر من قدم خدمة لحجاج بيت الله وهي شغل والمرافق ووفر ما يحتاجه الحجاج خالصة لوجه الله.

أيها المسلمون: كثيرة هي المعاني التي ينبغي أن يعود الحجاج مستشعرين لها، ومتلبسين بها في حال حلهم وإحرامهم وسفرهم وإقامتهم. .

ولكنني أكتفي هنا بالوقوف عند أمرين عظيمين، يبعث الذكرى بهما مناسك الحج. . وإلا فالذكرى بهما واقعة بكل حال ولا تكاد تخطئ نظر اللبيب في كل لحظة. . ألا وهما ذكر الله وتعظيمه، وعداوة الشيطان ومراغمته. . ومن ذا الذي لا يتذكر عظمة الله وهو يبصر آياته في السماء والأرض، ويشهد وحدانيته في الأنفس والآفاق، وتأسره عظمة الصانع المبدع في كل مجالات الحياة والأحياء، بل وتشهد الجمادات الصم بعظمة الخالق ويتفيء ظلالها ذات اليمين والشمائل سجدًا لله وهم داخرون.

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في ١٦/ ١٢/ ١٤١٦هـ.

إن قولة «لا إله إلا الله» سهلة باللسان لكنها عظيمة في الميزان. . وهي وإن قلت حروفها فهي تحمل أسمى المعاني وترسخ التوحيد -بهذه الكلمة بعث المرسلون وبها يحكم بالإسلام أو الكفر- وعليها التقت جيوش الكفر والإيمان وبها انقسمت الخليقة بين حزب الرحمن وحزب الشيطان. .

ذكر الله شعار المسلم بكل حال، وبه يُعظَّم الله أنَّياختلف الزمان أو تباعد المكان ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وإذا تلبس الحاج بالذكر من حين يحرم ذاكرًا لله مسبحًا بحمده وملبيًا لله وحده لا شريك له. . بل وقيل ذلك من حين خروجه من بيته فابتدأ بدعاء السفر المشتمل على ذكر الله. . ثم يظل الحاج مستصحبًا لذكر الله في الطواف حول الكعبة وبين الصفا والمروة، وفي منى التي ترتج بذكر الله وتكبيره وفي عرفات حيث أفضل الدعاء. . وأفضل ما قال محمد ﷺ والنبيون من قبله: لا إله إلا الله وحده لا شريك له وحين الإفاضة من عرفات يطيب الذكر عند المشعر الحرام ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨] وهكذا يستمر الذكر عند الجمرات وعند نحر الهدي، بل ويأمر الحاج بذكر الله بعد قضاء المناسك وفراغها والحق تبارك وتعالى يقول: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٠-٢٠٢].

ولئن اختلف أهل التفسير في معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠] فقالت طائفة: المعنى إلهجوا بذكر الله كثيرًا كما يلهج الصبي قائلًا «أبه أمه» فكذلك أنتم فالهجوا بذكر الله بعد قضاء النسك لهج المستغيث المستنصر.

وقالت طائفة أخرى: كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم فيقول الرجل منهم: كان أبي يطعم ويحمل الحمالات (من دية أو غرامة) ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم فأنزل الله على محمد ﷺ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾.

وثمة معنى ثالث لطيف ما أحوج المسلمين في هذه الأزمان إلى تأمله فقد قالت طائفة إن معنى الآية اذكروا الله وعظموه وذبوا عن حرمه وادفعوا من أراد الشرك في دينه ومشاعره، كما تذكرون آباءكم بالخير إذا غض أحد منهم وتحمون جوانبهم أو تذبون عنهم، وفي هذا المعنى قال أبو الجوزاء لابن عباس: إن الرجل لا يذكر أباه اليوم، فيما معنى الآية؟ قال: ليس كذلك، ولكن أن تغضب لله تعالى إذا عصي أشد من غضبك لوالديك إذا شتما»[1].

وسواء كان هذا أو ذاك فالمقصود من الآية -كما قال المفسرون- الحث على كثرة ذكر الله ﷻ، و«أو» هنا لتحقيق المماثلة في الخير، وليست للشك قطعًا، وإنما هي لتحقيق الخير عنه بأنه كذلك أو أزيد منه[2].

إخوة الإيمان وحيث يرتبط الدعاء بالذكر فتأملوا هذا المعنى الدقيق الذي أشارت إليه الآية بقوله: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

---

(١) «تفسير القرطبي» (٢/ ٤٣١).
(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٥٥).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أرشد تعالى إلى دعائه بعد كثرة ذكره، فإنه مظنة الإجابة، وذم من لا يسأله إلا في أمر دنياه وهو معرض عن أخراه فقال: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

والمقصود التنفير عن التشبه بمن هو كذلك، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف فيقولون: «اللهم اجعله عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن» لا يذكرون من أمر الآخرة شيئًا فأنزل اللهم فيهم هذه الآية وكان يجيء بعدهم آخرون فيقولون: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]. فأنزل الله: «أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ» عباد الله تأملوا كيف ترتبط الدنيا بالآخرة في نظر الإسلام وكيف يصحح الإسلام المفاهيم الخاطئة في هذا الدعاء الشامل الذي كثيرًا ما نردده بألسنتنا وقد لا تستحضره قلوبنا «**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**».

فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رحبة وزوجة حسنة ورزق واسع، وعلم نافع وعمل صالح ومركب هنيء وثناء جميل إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين، وأما الحسنة في الآخرة فأعلاها دخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرضات وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة، وأما النجاة من النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم والآثام وترك الشبهات والحرام(١).

أيها المسلمون وهكذا ينبغي أن يستذكر الحجاج وغيرهم عظمة الله فيذكروه ويشكروه يذكروه ذكرًا كثيرًا ويسبحوه بكرة وأصيلًا.. يذكروه ذكرًا تطمئن به

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٥٥، ٣٥٦).

القلوب وتنشرح له الصدور.. يذكروه في حال اجتماعهم بغيرهم ليذكروهم عظمة الله ويذكروه في حال خلوتهم فتفيض أعينهم خوفًا منه ووجلًا ويذكرهم الله في ملأ خير من ملأهم ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه وذكر الله يستوجب تعظيم حرمات الله، والوقوف عن حدود الله وتعظيم شعائره ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] وينبغي أن يشمل ذكر الله الذب عن دينه والدعوة إلى هداه، فليس الذب عن الأعراض والأنساب بأولى من الذب عن دين الله وحرماته.. ولا ينبغي أن يطغى ذكر الآباء والأجداد والمفاخرة بمآثرهم، على ذكر الله والانتصار لدينه، والذب عن حماه - تلك الحقيقة التي تمثلها العارفون فقال قائلهم:

أبي الإسلام لا أب لي سواه ... إذا فتحزوا بقيس أو تميم

إن ذكر الله يرفع أقوامًا قعدت بهم أحسابهم ولم ترق إليها أنسابهم وذكر الله يكثر القليل، ويقوي الضعيف.. هو سيما المؤمنين، وهو حرز من الشياطين.. ذكر الله عدة المجاهدين، وملاذ الخائفين، وقرة عيون الموحدين.

ألا وإنه لا يكفي أن تترد كلمات الذكر على الألسن، والقلوب غافلة غارقة في الشهوات.. إن حقيقة الذكر تعظيم من ذكر، ومن علائم الذاكرين الصادقين أن توجل قلوبهم إذا ذكر الله، ويزداد إيمانهم إذا تليت عليهم آياته ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الحج: ٣٥] وإذا أردت يا أخا الإسلام أن تعلم قدر ذكرك لله فانظر في صدق محبتك لله وذودك عن شريعته.. والتزامك بهدي محمد ﷺ وسنته، ويبقى بعد ذلك ذكرك لله تعظيمًا وتعبدًا واعترافًا بأنه أكبر من كل شيء، ومع ذلك كله فذكر الله لعباده بالثواب والثناء عليهم أكبر من ذكرهم إياه في عبادتهم وصلواتهم،

كذلك قال ابن مسعود وابن عباس وأبو الدرداء وأبو قرة وسلمان والحسن في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥][١].

اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين وتقبل منا أعمالنا يا رب العالمين، أقول ما تسمعون وأستغفر الله . .



(١) (تفسير القرطبي ١٣/ ٣٤٩).

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا طاهرًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى.. اللهم لك الحمد كالذي تقول وخيرًا مما نقول.. لك الحمد في الأولى ولك الحمد في الآخرة.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله اللهم صل وسلم عليه وعلى سائر المسلمين.

عباد الله.. أما المعنى الثاني الذي تذكرنا به مناسك الحج ولا يكاد يغيب شأنه عن غير الحاج فهو عداوة الشيطان للإنسان.. ولقد سن الخليل عليه السلام لنا في الحج رمي الجمار إشعارًا بمراغمة الشيطان وعصيانه وقطعًا لوساوسه حين عرض له في المناسك، وإذا كان الرمي بالحجارة من أكبر مظاهر العداوة للشيطان كما ذكر المحققون[1] فإن الاكتفاء بهذا المظهر من مظاهر عداوته، والاقتصار على المراغمة في هذا الزمان والمكان -أعني زمان الحج.. ومكان الجمرة- تقليل من شأن عداوته، وتجاهل لإغوائه في كل زمان ومكان وهو الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم، وهو الذي قعد لابن آدم في أطرقه كلها.

أجل إن مناسك الحج ينبغي أن تكون مذكرة بهذا العدو المتربص بنا قبل خلقنا، أو ليس هو الذي أخرج أبانا آدم عليه السلام من الجنة؟ أوليس قد ابتدأ عداوته لنا بنخسنا يوم أن يخرجنا الله من بطون أمهاتنا؟ وذلك بداية صراخ الطفل عاريًا وفي الحديث الصحيح: «**ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخًا من نخسة الشيطان، إلا ابن مريم وأمه**». الحديث رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة.

---

(١) الشنقيطي «الأضواء» (٥/ ٣١٦).

(٢) «صحيح الجامع» (٥/ ١٨٤).

ليس ذلك فحسب بل شاء الله وقدر أن يبقى قرين الجن مع قرين الملائكة مصاحبين لنا ما بقيت حياتنا «**ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة. .**» الحديث.

وفي حديث آخر: «**ما منكم من أحد إلا ومعه شيطان، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم**» (الحديثين رواهما مسلم، وأحمد للأول[١]).

لقد توعد الشيطان الرجيم بإغوائنا، وتهيأ وجنوده ليقعدوا لنا بأطرق الخير كلها ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

وأخبرنا المولى -جل جلاله- وخبره صدق بعداوة الشيطان لنا فقال: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

وأرشدنا سبحانه إلى المخرج من عداوته باتخاذه عدوًا ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

ليس يكفي أن نعلم عداوته وكفى، وليس يجدي أن نلعنه بألسنتنا وهو يتلاعب بعقولنا، ولقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول: يا كذاب يا فقير، اتق الله و لا تسب الشيطان في العلانية وأنت صديقه في السر[٢].

يا أخا الإسلام واحذر غاية الحذر أن تكون من نصيب الشيطان الذين اختصهم فقال: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ

---

(١) «صحيح الجامع الصغير» (٥/ ١٨٨).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٤/ ٣٢٣، ٣٢٤).

ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ [النساء: ١١٨-١٢٠].

وكن يا عبد الله من أولياء الله الذين قال فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

قال ابن السماك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يا عجبًا لمن عصى المحسن بعد معرفته بإحسانه وأطاع اللعين، بعد معرفته بعداوته»[١].

أيها المسلمون واقتضت حكمة الله أن تبقى المعركة قائمة ومتجددة بينكم وبين الشيطان.. وليس أحد إلا وعليه للشيطان مدخل بل مداخل.. ولكن سلاح المجاهدة والاستعداد للمعركة بكل طاقة يضعف من عداوته بل وربما بلغت المجاهدة بأقوام إلى حد يفرق منهم الشيطان فإذا سلكوا فجًا سلك الشيطان فجًا آخر.

وربما أتعب المجاهدون الصادقون شياطينهم كما يتعب المسافر دابته بطول السفر وكثرة الأعباء.. عباد الله وإذا كنتم راغمتم الشيطان هذه الأيام فمن حج منكم وشهد المشاهد ووقف المناسك وفيها ذل الشيطان وصغر، ومن لم يحج وتقرب إلى الله بصالح الأعمال في الأيام الفاضلة فصلى وصام وتصدق ووصل ونحر وهلل وكبر.. فهذه وتلك كانت عونًا لكم على مراغمة الشيطان ألا فاتخذوا منها عونًا -بعد الله- على مراغمته فيما تستقبلون من أيامكم وتلك وربي من منافع الحج وفقه العبادات فاعقلوها.

أيها المسلمون حبل الحياة قصير، ونعيم الجنة خلود أبدى، فلا تغرنكم

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٤/ ٣٢٤).

الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور.. واتخذوا من هذه الدار مزرعة للحياة الباقية، واستعينوا بذكر الله والصلاة على مراغمة الشيطان وعداوته، وغالبوا أنفسكم على طاعة الله، وصبروها عن المجرمات.

وإذا عظمتم الله حق تعظيمه ذكرًا، وخوفًا، وطاعة، ومجاهدة في سبيله ونصرة لدينه.. ثم راغمتم الشيطان وضيقتم مسالكه ولم تستهوكم إغراءاته ووساوسه.. عشتم في هذه الحياة سعداء آمنين.. وانتقلتم بعد الممات إلى درجات النعيم.. وبين هذا وذاك تتنزل عليكم الملائكة حين الممات لتستعجل لكم البشرى وتقول: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

ألا فلا تسودوا الصحائف بعد بياضها.. ولا تراكبوا الذنوب بعد غفرانها، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بعد أن أعتق الله رقابكم من النار ولا تستبدلوا الأدنى بالذي هو خير.. والسعيد حقًا من استفاد من الفرص والمناسبات واستقام على الخير والهدى في هذه الحياة.

وأختم الحديث بتنبيه تدعوا الحاجة إليه في مثل هذه الأيام حيث تكثر الرحلات البرية، وربما عادت الأسرة بالحزن والأسى بدل الفرحة والسرور.. ذلك حين تسر ف الأسرة في لعب أطفالها، ولاسيما اللعب في الدراجات النارية التي تشهد المستشفيات على ضحاياها فهذا كسير وهذا جريح وثالث في غيبوبة وربما وصل الخطر إلى الوفاة.. فتنزهوا ولا تسرموا وحافظوا على فلذات أكبادكم ولا تعرضوهم للمخاطر.

ومثل ذلك أو أخطر اللعب بالسيارات بحركات هستيرية خطرة فاحذروا ذلك كله..

تلكم وقفتان حريتان بالتأمل إثر هذه الأيام الفاضلة وفي أعقاب الحج والعمرة أردت أن أذكر نفسي وإخواني بهما لمزيد العناية بها، والاستمرار عليها، استرشادًا وتحقيقًا لقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ اللهم ارزقنا الهداية والاستقامة. وذكر الله وشكره في كل حال ومكان.



بين تدمير الحضارات والطعن في آل البيت(١)

الخطبة الأولى:

أيها الإخوة المؤمنون ديننا يهتم بالإنسان ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢] وشملت بعدلها الذميين والمعاهدين فضلًا عن المسلمين هذا الزمن هل هو زمان حوار الحضارات أم دك الحضارات.. هل هو إقامة الحضارات أم تدميرها؟ مصطلحات جوفاء، وتصرفات رعناء، ولغة واحدة هي التي يريد العالم الآخر أن يسمعنا إياها أنها لغة القوة، ولا شيء غيرها..

في العراق حوار للحضارات أم تدميرها، وفي الأفغان ومن قبل في فلسطين ومن بعد في الصومال..

إنها جيوش تدمر وجنود تسرق، وجزارون يذبحون البشر ولا يستثنون النساء والأطفال.. أي حضارة تلك؟ شاهت الوجوه وبئست البضاعة المصدرة إن لم تكن سوى القتل والتهجير والتدمير، والأشلاء والدماء، استعمار واضح ومعاصر في عالم الحريات، وتدشين الديمقراطيات، وتوسيع دائرة الحرية، وشعارات حرب الإرهاب الخادعة، وهم صنعه الغرب، يصنعون معه الإرهاب ثم يدعون محاربته، يا الله كم يسيء اليهود والنصارى إلى حضارتنا.. بل وإلى حضارتهم وكم يخربون بيوتهم بأيديهم حين يكشفون للعالم كله صادرات قيمهم، وحقيقة حريتهم، وخبث مكرهم، وحجم أطماعهم وكلما أوشكت نار الحرب أن تطفأ أوقدوها، وإذا أحسوا بحجم الخسائر الواقعة عليهم، أقاموا

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في ٢٣/ ١٢/ ١٤٢٧هـ.

غيرهم من عملائهم بالوكالة عنهم، ومن المؤسف أن يجدوا من يقوم بالإنابة عنهم، ومن العراق إلى فلسطين إلى الصومال باتت الحرب تجري بالوكالة واليهود والنصارى يتفرجون على دماء المسلمين تنزف وعلى ديارهم تنهب وتستعمر..

إن التاريخ المعاصر يذكرنا بالماضي من التاريخ، وهل التاريخ إلا حلقات متصلة، وإذا كان قتل الخليفة عثمان ﵁ في الفتنة التي أضرم نيرانها عبد الله بن سبأ اليهودي مشهورًا فربما يغيب عن الذهن أن استشهاد الخليفة عمر ﵁ كان على أيدي النصارى، فأبو لؤلؤة وإن كان مجوسي المنشأ فهو نصراني الديانة، حتى قال الطبري ﵀، وكان أبو لؤلؤة غلام المغيرة نصرانيًا[1].

وشارك أبا لؤلؤة (جفيتة) وهو نصراني آخر، واستمر اليهود والنصارى عبر التاريخ شوكة في حلوق المسلمين، وكلما أحسوا بضعف الجبهة الإسلامية ارتفع مؤشر العدوان، وكانت الحروب الصليبية، وحركة الاستعمار، وزرع الكيان الصهيوني في بلاد المسلمين وإلى يومنا هذا والدم يراق، والحمى تستباح، والتهم تكال جزافًا..

وإذا كانت الوصفة الطبية الغربية (محاربة الإرهاب) جاهزة عند كل تدخل فهذا هو جواز الدخول مؤخرًا في الصومال، حين حركت قوات أثيوبية وحماية جنود أمريكية لتعمل الفساد في أرض الصومال، ثم تكشف أمريكا عن القناع وتدخل بشكل سافر للصومال لتقتل وتحاصر وتنتقم بشكل عدواني في بلاد المسلمين؟ ولكم الله يا شعب الصومال المسلم.. وأنتم تقتلون وتهجرون وتستباح أرضكم، ويحرق الأخضر واليابس من مواردكم. وسط دهشة وتفرج

---

(١) «تاريخ الطبري» (٤/ ١٩٠).

العالم كله.. على أيدي من قالوا كما قال أسلافهم ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة؟ اللهم فأرنا فيهم وأمثالهم عجائب قدرتك.

أيها المسلمون: لا يستغرب العداء ممن وصفهم الله بالعداء للمسلمين، ولكن الاستغراب الأكبر حين يخوض في الدماء من ينتسبون للإسلام، ويعدون أنفسهم من المسلمين، فالقتل على الهوية بات ظاهرًا في العراق، وفي فلسطين والطائفية في العراق تجاوزت قتل وتشريد أهل العراق، إلى التعرض لقوافل الحجاج العائدة من بيت الله.. كم هو ذعر يصيب أهل السنة هناك وكم هي التصفيات التي تعرضوا إليها في محافظات العراق وأخرها في بغداد، وتعالت الصيحات ماذا يراد لأهل السنة في العراق؟

ومرة أخرى نعود إلى التاريخ فنجد العداء السافر من الشيعة لأهل السنة عبر التاريخ، ويوصف شيخ الإسلام ابن تيمية دور الرافضية عبر التاريخ ويقول: لما خرج التتر الكفار من جهة المشرق فقاتلوا المسلمين وسفكوا دماءهم ببلاد خراسان والعراق والشام والجزيرة وغيرها كانت الرافضة معاونة لهم على قتال المسلمين، ووزير بغداد المعروف بالعلقمي هو وأمثاله كانوا من أعظم الناس معاونة لهم على المسلمين، وكذلك كانوا بالشام بحلب وغيرها من الرافضة كانوا من أشد الناس معاونة لهم على قتل المسلمين، وكذلك النصارى الذين قاتلهم المسلمون بالشام كانت الرافضة من أعظم أعوانهم.. إلى أن يقول: وكذلك إذا صار لليهود دولة بالعراق وغيره تكون الرافضة من أعظم أعوانهم، فهم دائمًا يوالون الكفار من المشركين واليهود والنصارى، ويعاونوهم على قتال

---

(١) «منهاج السنة» (٣/ ٣٧٧، ٣٧٨).

المسلمين ومعاداتهم[١].

إخوة الإسلام وهذه العداوة والمؤازرة للكفار على المسلمين عند الرافضة تنطلق من منطلقات عقدية، ألا وهي بغضهم للمؤمنين وليس الحديث هنا عن عقائد الشيعة فذلك له حديث يطول، ولكن دعونا نقف هنا عند عقيدتهم في المسلمين ممن يخالفهم المذهب فهم يبغضونهم ويعادونهم، بل يصل الأمر إلى تكفيرهم، لا يستثنون من ذلك خيار المؤمنين حتى ولو كان أبا بكر وعمر وعثمان، وباقي العشرة، بل والمهاجرين والأنصار إلا ما استثناه النص الشيعي المبني على الهوى والتخرص.

وحتى لا نظلمهم ننقل نصوصًا من كتبهم، بل ومن كتب أئمتهم فهذا ثقتهم الكليني ينقل في كتابه الكافي عن حمدان بن أعين قال قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك ما أقلنا لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها؟ فقال: ألا أحدثك بأعجب من ذلك المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا.. وأشار بيده -ثلاثة[٢].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ [آل عمران: ٨] ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [الكهف: ١٠٣].

فهذا النص يشير إلى تكفير الصحابة، ولا يرى من الصحابة أحدا بقي على الإسلام إلا ثلاثة -وهذا ما أشار إليه عالم آخر من علماء الشيعة وصرح بردة الصحابة حيث يقول الكشي: عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارس، ثم عرف الناس بعد يسير[٣].

---

(١) «الكافي» (٢/ ٢٤٤).
(٢) «رجال الكشي» (ص٦).

بل يصل الأمر بمعتقد القوم أن يصرحوا بكفر الثلاثة الخلفاء.. ويعقد شيخهم المجلسي في كتابه البحار (الذي عده بعض شيوخهم المعاصرين المرجع الوحيد في تحقيق معارف المذهب).. بابًا بعنوان: باب كفر الثلاثة ونفاقهم وفضائح أعمالهم واستغرق قرابة خمسين صفحة)(١).

وإذا كان هذا معتقد القوم في خيار الأمة وأزكاهم، وأقربهم للنبي ﷺ.. فلا تسأل عن معتقدهم في غيرهم؟

والأغرب من هذا أن الشيعة تصل باللعن والسب والتكفير لآل البيت أنفسهم التي يزعم الشيعة أنهم يوالونهم ويقدسونهم ومن هنا قال من قال أن التشيع ستار لتنفيذ أغراض خبيثة ضد الإسلام وأهله(٢) إنك لتعجب حين تطالع في كتب القوم حكما بالردة على الحسن والحسين وآل عقيل وآل جعفر، وآل العباس، وزوجات النبي ﷺ وأمهات المؤمنين. (فمن بقي عندهم لم يُلعن أو يتهم؟) لقد قالوا عن العباس عم النبي ﷺ أنه نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: ٧٢] كما في رجال الكشي ص٥٣، وقالوا عن ابنه عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن: ما يتضمن تكفيره وأنه جاهل سخيف العقل، كما ذكر الكليني في أصول الكافي (١/ ٢٤٧) وبالجملة فالحكم بالكفر - عند الشيعة - على كل من لم يعتقد عقيدتهم حتى قال الكليني: أن كل من لم يؤمن بالاثنى عشر فهو كافر وإن كان علويًا فاطميًا(٣).

نعوذ بالله من الضلال والعدوان والجهل والخسران ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

---

(١) «بحار الأنوار» (٨/ ٢٠٨-٢٥٢).

(٢) «أصول مذهب الشيعة» د. ناصر القفاري (٢/ ٧٣٤).

(٣) «الكافي» (١/ ٣٧٢-٣٧٤).

الخطبة الثانية:

إخوة الإسلام.. يحدثنا التاريخ أن الشاة إسماعيل الصفوي بعد احتلاله لفارس احتل العراق من عام ٩١٤ إلى عام عشرين وتسعمائة.. وفي فترة حكمهم للعراق حاول الصفويون طمس معالة الهوية الإسلامية في العراق واستبدالهم بطقوس وعبادات وشعارات وسب وشتم ما أنزل الله بها من سلطان وقد بدأ الصفويون أعمالهم المشينة بقتل المسلمين من أهل السنة حيث تذكر كتب التاريخ أنه في يوم واحد قتل أكثر من مائة وسبعين ألف مسلم سني في العراق، ثم تبع ذلك بنبش قبور المسلمين ومنهم قبر الإمام أبي حنيفة رحمه الله، وأنه خلال مدة احتلالهم للعراق التي لم تتجاوز ست سنوات.. قتلوا أكثر من مليون مسلم سني[1] ترى هل يعيد التاريخ نفسه، وهل يعود الصفويون اليوم إلى العراق ليجددوا عهود أسلافهم؟

إن ما يتعرض له أهل السنة في العراق اليوم شيء عظيم، قتل وتهجير، وخطف وإبادة، وتعذيب وخيانة واستخفاف بكرامة الإنسان لا يجوز بحال السكوت عليه وإغضاء الطرف عنه، لاسيما وقد وصلت الحال إلى مستوى الحظيظ.. فمن ينتصر لأهل السنة في العراق؟ وإذا سكتت المنظمات والهيئات الكبرى العالمية فهل يسوغ للمسلمين بهيئاتهم ودولهم وأفرادهم السكوت عن مآسي أهل السنة في العراق؟

إن واحدًا من اليهود والنصارى أو الرافضة لو قتل لقامت الدنيا ولم تقعد.. فكيف الحال إذا قتل أهل السنة بالمئات بل بالألوف.

---

(١) مقال جاسر الجاسر: الصفويون يغزون الدول العربية، الجزيرة ٢٢/ ١٢/ ١٤٢٧.

إن من المخاطر الجديدة والأساليب الماكرة أن الغرب وفي مقدمته أمريكا بات يتخذ أسلوبًا جديدًا في إدارة الصراع في العالم الإسلامي، وذلك من خلال القيام باستنزاف التيارات المختلفة في المنطقة، سنة وشيعة، فتحاويون وحماسيون، صوماليون محاكم وصوماليون أصحاب مصالح نفعية.. وهكذا ليبقى الغرب مديرًا للصراع ومتفرجًا على المعركة، ومتفرغًا لشئونه الأخرى.

إن على عقلاء الأمة أن يدركوا الخطر، ويحيطوا مخططات الأعداء وإلا تستنزف الأمة في حروب ترتد في نهايتها على أبنائها.

والمخطط فيما يظهر أكبر مما يجري الآن، وما لم يوقف عند حد فسيسري سيران النار في الهشيم.

لا بد من تقوى الله أولًا، ولا بد من الوعي بمخططات الأعداء ثانيًا. ولا بد من معرفة العدو من الصديق، والصادق من المنافق، لا بد من اجتماع الكلمة على الحق، ولا بد من النصرة للمظلومين، ولا بد من وضع حد للظالمين..

إنها مخاطر محدقة، وحمم حارقة .. وانتقام وتشفي، وقتل على الهوية لا مخرج منها إلا بالهدى والتقى والتخطيط والوعي ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢] اللهم سلمنا من الفتن ما ظهر منها، وما بطن، اللهم نفِّس كرب المكروبين من المسلمين في كل مكان وزمان يا رب العالمين.



أزمة دارفور
وضرورة المقاومة الإسلامية[1]

الخطبة الأولى:

الحمد لله حكم بالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وكتب الصغار على من عاداه ورسوله والمؤمنين. . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له اقتضت حكمته أن الحق يكون الصراع بين الحق والباطل أزليًا ليميز الخبيث من الطيب وأن يمتحن أهل الإيمان بالفتن والمصائب ليعلم الصادقين من الكاذبين. . وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

إخوة الإسلام: قضية دارفور ليست قضية داخلية للسودان، وإنما هي اليوم قضية عالمية، فجأة تسارعت أخبارها ولأمر يراد صُعدت أحداثها، فلماذا؟ وما الموقف؟ إن مما يلفت نظر العامة -من الناس- فضلًا عن العالمين والساسة- أن الغرب بات يركز على قضايا المسلمين ويستهدف بلادهم، وتستهويه خيراتهم، ويتخوف لمستقبلهم. . وهو في كل مرة يتذرع بحيلة ويحتمي بغطاء موهوم، فهو حينًا يتدخل تحت مظلة محاربة الإرهاب، وأخرى بحجة نزع أسلحة الدمار الشامل وتأمين الحريات للشعوب، فإذا انكشفت سوءته في الأفغان أو تورط في مستنقع العراق، بات يبحث عن مخرج لتغطية هذه السوءات وتخفيف حدة النقد لهذه الورطات. .

فعاد يلوح بشعار النواحي الإنسانية، ويخادع بأزمة الكوارث وانتهاكات حقوق الإنسان، وكأنه المنقذ لها؟

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في ٢٧/٦/١٤٢٥ هـ.

والعالم كله يشهد أن الغرب وفي مقدمته أمريكا.. يقف وراء الكوارث العالمية، ويحمي أبشع جرائم العصر وانتهاكات حقوق الإنسان في فلسطين المحتلة.

أما سجون (غوانتاناموا) و(أبي غريب) و(باغرام) فهي نماذج لإفرازات حضارة الغرب، وهمجيته، وبؤر مظلمة في التاريخ المعاصر، وقد شهد شاهد من أهلها في صحيفة الواشنطن بوست تقول: معتقلوا (غونتناموا) يحرمون من النوم ويستجوبون عراة؟ ونقلت الصحيفة نفسها أنه تمت موافقة البنتاجون ووزارة العدل الأمريكية على لائحة سرية تتضمن عشرين طريقة لاستجواب المعتقلين[(١)].

وإذا كان العالم كله يشهد هذه الانتهاكات، وهو قلق بل كاره للغرب إزاء هذه السياسات الظالمة..

فما نسي المسلمون لمآسيهم على أيدي الصرب النصارى في البوسنة والهرسك، وكوسوفا بل حين أحسوا بأن كفة المعركة تتجه لصالح المسلمين سارعوا بالتدخل ودعموا إخوانهم النصارى وضيقوا على المسلمين وفوتوا عليهم النصر..

إنها مآسي لا تتعلق بجنس، ولا تقف عند حدود أهداف سياسية.. بل وراء ذلك أهداف أخرى خفية دينية، وانتصار للصليب، وتخوف من مستقبل الإسلام وفوق ما في بلاد البلقان من شواهد.. ففي تيمور، ونيجيريا ونحوها شواهد أخرى لتدخل الغرب لصالح إخوانهم النصارى بشكل ظاهر ومكشوف أو بدعم لوجستي وأجندة خفية؟

---

(١) المجايد/ ٥/ ٦/ ١٢٥هـ.

أيها المسلمون إن هذا التاريخ العدائي من الغرب للإسلام والمسلمين ليس وليد اليوم والأمس.. بل إنه تاريخ ممتد للصراع، وإذا تجاوزنا القرون الأولى لتاريخ المسلمين، والحروب الصليبية وويلاتها، وجدنا في تاريخ الاستعمار تجديدًا لما اندثر، ووجدنا في أهداف المستعمرين صراحة في الحديث تكشف عن تخوفهم من الإسلام والمسلمين ودونكم هذا النموذج الذي نشرته جريدة الأيام عام ١٩٦٣م، حيث ألقى أحد كبار المستشرقين محاضرة في مدريد -بعد استقلال الجزائر- وكان عنوانها: لماذا كنا نحاول البقاء في الجزائر؟

ثم أجاب على هذا السؤال بشرح مستفيض ملخصه:

إننا لم نكن نسخر النصف مليون جندي من أجل نبيذ الجزائر أو صحاريها، أو زيتونها.. إننا كنا نعتبر أنفسنا (سور) (أوربا) الذي يقف في وجه زحف إسلامي محتمل يقوم به الجزائريون وإخوانهم من المسلمين عبر المتوسط، ليستعيدوا الأندلس التي فقدوها وليدخلوا معنا في قلب فرنسا بمعركة (بواتيه) جديدة ينتصرون فيها ويكتسحون أوربا الواهنة، ويكملون ما كانوا قد عزموا عليه أثناء حلم الأمويين، بتحويل المتوسط إلى بحيرة إسلامية خالصة.. من أجل ذلك كنا نحارب في الجزائر (انظر: جلال العالم قادة الغرب يقولون: (دمروا الإسلام أبيدوا أهله/ ٤٢، ٤٣).

عباد الله: وإذا كان الغرب متخوفًا من المسلمين بشكل عام، فهو يبدي تخوفه من المسلمين في القارة الإفريقية (السوداء) ويقول أحد مفكريهم: «إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر في القارة الأفريقية» (السابق/ ٤٢).

معاشر المسلمين إننا حين نبصر هجمة الغرب اليوم على بلاد المسلمين، لا بد أن نقرأ التاريخ، ونعلم الأهداف، ونكشف الزيف الذي تنسج خيوطه في دهاليز الساسة وحين نعود إلى (دارفور) ومهما قيل عن أهداف استراتيجية

ومصالح اقتصادية للغرب في السودان، فلا بد أن نستحضر الأهداف الاستعمارية، والحرب العقدية، وصراع الحضارات الذي بات صوتًا معلنًا وقويًا في الغرب، وهو يركز بالدرجة الأولى على تدمير الحضارة الإسلامية، وإحياء ما ذيل من الحضارة الغربية.

إنها حرب لا تستهدف السودان وحده.. بل يريدونها مدخلًا للقارة الإفريقية -وليست نخوة غربية إنسانية- ولكنها ظل لتسهيل دخول المنظمات والهيئات الغربية لتقوم بدورها في التنصير، أو على الأقل خلخلة عقائد المسلمين؟ وأخيرًا فهي ورقة في الانتخابات الأمريكية؟ ومؤلم أن تصبح قضايا المسلمين هدفًا للمزايدة في الانتخابات الغربية؟ والسؤال المهم ما دور المسلمين في هذه الأزمة، وما نوع نصرة المسلمين لإخوانهم في السودان؟ وما هو واجب المسلمين في السودان للمساهمة في حل هذه الأزمة؟

إن مما يؤلم أن يسارع الغرب للتدخل في السودان، بل يهدد ويلوح بالتدخل العسكري، ويصدر من مجلس الأمن قرار فهمه السودانيون -ومن ورائهم المسلمون- أنه قرار حرب وأين ما يقابله من المسلمين في دوائرهم السياسية وهيئاتهم ومنظماتهم العالمية؟

ويؤلم كذلك أن تكون المنظمات والهيئات الغربية أول وأكثر الهيئات تواجدًا في (دارفور) ويعود السؤال مرة أخرى وأين الهيئات والمنظمات الإسلامية؟

وحين تتحرك رابطة العالم الإسلامي أو غيرها وتشكل وفدًا يزور السودان ويتواجد في دارفور.. فذلك جهد مشكور، وذلك وعي بالدور المطلوب.. لكنه ماذا عن بقية هيئات ومنظمات ولجان المسلمين؟

إن تدخل المسلمين وهيئاتهم مطلب لقطع الطريق على الآخرين وللإصلاح بين الإخوة المقتتلين، وهو استجابة ربانية حيث يقال للمسلمين ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ﴾ [الحجرات: ٩].

وإذا كان الوضع الإنساني المتدهور في (دارفور) لا ينكر، فماذا صنع المسلمون بأثريائهم وعلمائهم وساستهم لإخوانهم المتضررين في السودان؟ وما دور الإعلام الإسلامي في تجلية الحقيقة، والمنافحة عن الحقوق المشروعة؟ وكشف الغمّة؟ إن ثمة تحركات تذكر فتشكر.. لكنها دون المستوى المطلوب فهل تتحرك الأطراف الجامدة.. قبل فوات الأوان، وهل ندرك أن في حماية دارفور حماية للسودان، وحماية السودان فيها حماية للمسلمين في أفريقيا.. بل وللمسلمين في كل مكان، لا سيما وأن من أهداف الغرب إيجاد قواعد له في كل مكان، وهذه القواعد ليست في صالح المسلمين بكل حال.

أما أهل السودان فيقال لهم اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وإياكم أن تتيحوا الفرصة للأجنبي ليتدخل في شئونكم، فهو صاحب سياسة (فرق تسد)، وهو لا يبكي على مآسيكم، ولكنه يتخذ من تناحركم فرصة لضربكم جميعًا وإضعافكم والسيطرة على بلادكم.

أين دور علماء السودان وأين جهود ساسته.. وأين المثقفون الواعون لما يراد لبلادهم أين زعماء القبائل هذا أوان التحرك والإصلاح حتى لا يحل ببلادكم ما حل بغيرها.. ومرة أخرى فلا تنكر الجهود المبذولة.. ولكن الأمر يتطلب أكثر وأكثر وبشكل سريع أما حكومة السودان فرغم ما تبذله من جهود لحل الأزمة، فلا بد من المزيد، ولا بد من إعادة النظر في سياسة العدل وتوزيع الثروة، والتكافئ في الفرص وعدم التهميش.. ولا بد من التنبه للمناطق الأخرى حتى لا تتكرر المأساة في الشرق أو الشمال، كما اشتعلت في الغرب وقبلها الجنوب.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

الخطبة الثانية:

أيها المسلمون: وما عاد خافيًا على أحد أن الحرب المتعددة الأطراف، والمتنوعة في الجهات إنما توجه للمسلمين ويقصد بها الإسلام.. وهي حرب شرسة بكل المقاييس، تستخدم فيها الآلة العسكرية الضخمة.. وتروج لها عبر وسائل إعلام خبيثة ومطورة وتتشابك الأيدي اليهودية مع النصرانية ويستخدم المنافقون في حلف لا مثيل له، وعبر أهداف مخطط لها، واستراتيجيات تراد بها أن تتحقق.. حتى ولو تغيرت الخريطة الجغرافية، ولو انتهكت الحقوق، ومورست سياسة الإقصاء والتدمير..

وإذا كانت هذه الحقيقة واضحة للعيان فلا ينبغي أن تقود للاستسلام والضعف والهوان، ففي تاريخ المسلمين كانت الضربات الموجعة والهجمات الشرسة موقظة للمسلمين باعثة للجهاد، منبهة للخطر، حتى تحقق النصر والظفر واندحر الأعداء خاسئين.

وهنا يرد سؤال مهم.. وما هو الدور المطلوب من المسلمين في ظل هذه الهجمات العدائية المتتالية؟ وكيف المخرج؟ ولئن كان السؤال كبيرًا.. والإجابة عليه تحتاج إلى ملتقيات ومؤتمرات إسلامية تحلل وتناقش وتوصي وتعمل.. فحسبي أن أشير إلى عدد من الواجبات..

١- وفي مقدمتها مزيد الوعي بما يراد للأمة المسلمة وذلك بكشف حقيقة الحملات الصليبية المعاصرة، ومن يقفون وراءها ومن يعملون في ركابها، حتى تتضح الصورة لمن عنده غبش، إن دعاوى التحرير وإرساء الديمقراطية ما هي إلا نوع من الاحتلال تسام معه الشعوب سوء العذاب.. ولئن شهد القرآن قديمًا بعداوة اليهود والنصارى للمسلمين والله يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧].

فالواقع اليوم يشهد على شراسة العدوان، ويكشف حضارة الغرب في أسوأ فضائحها.

وفوق ما في العراق من جرائم الحرب، ووحشية التعذيب فاختطاف النساء واغتصابهن أحد مؤشرات الاحتلال في العراق حتى ذكرت التقارير أن أكثر من أربعمائة امرأة اختطفت وإن محصلة ما يختطف من ٥ إلى ١٠ حالات أسبوعيًا (البيان/ ملف المقاومة) بعنوان (الاغتصاب الديمقراطي) (مجلة البيان، ربيع الثاني/ ١٤٢٥هـ) (ملف المقاومة الإسلامية). وانتشرت هذه الفضائح في الغرب حتى عبر كاتب أمريكي عن ذلك أنها ممارسات وحشية قديمة تتكرر تنبع من جذور الثقافة الغربية، وهي ليست وليدة اليوم.. وأحد الهنود الحمر يصف لنا مثيلًا لها ويقول قبل أكثر من مائتي عام (١٧٨٧م) والأمريكان يفعلون ما يحلو لهم، ويستعبدون كل من ليس من لونهم، يريدون أن يجعلوا منا عبيدًا، وحين لا يتحقق لهم ذلك يقتلوننا، إياك أن تثق بكلماتهم أو وعودهم، إنها أحابيل، صدقني، فأنا أعرف سكاكينهم الطويلة جدًّا[١].

إذا تعرية الحضارة الغربية وكشف حقيقة الحملات.. مسئولية وهي مهمة المثقفين ووسائل الإعلام.

٢- ومع هذه الهجمة الشرسة والانتصارات الموهومة لا بد أن ندرك أن ثمة هزائم يمنى بها الغرب يوميًا، وهو يشعر بالورطة.. ويدفع ثمن التدخل في البلاد الإسلامية نتيجة المقاومة التي قوبل بها، والخسائر المادية والمعنوية التي مني بها ويكفي أن يشار إلى خسائر ثلاث للغرب.. فقد هزموا عسكريًا عندما أخفقت جحافلهم في اقتحام مدينة صغيرة هي الفلوجة، بعد حصار شهر أو

---

(١) صحيفة الأسبوع العربي/ ٢٠٠٤ عن البيان.

يزيد، وباستخدام أحدث الأسلحة، حتى انسحبوا وهم صاغرون.. إنها نكسة لهم، وبشارة للمسلمين.

ب- وهزموا حضاريًا عندما انكشف للعالم حقارة قيمهم ومستوى تعاملهم مع الإنسان، حتى نشرت هذه الفضائح في إعلامهم وأصبحت ورقة للمزايدة في انتخابات الأحزاب المنافسة هذا سقوط في القيم.. وهزيمة ساحقة للحضارة بل وللثقافة الغربية؟

جـ- وهزموا ثالثًا (إعلاميًا) وعلى المستوى الدولي حينما صرح ساستهم وصرح قادتهم بضرورة كتم أنفاس الإعلام الحر، ووضع حد للجرأة الإعلامية التي تميزت بها بعض القنوات الفضائية فكانت التصفيات للإعلاميين شاهدًا على هذه الخسارة الإعلامية الغربية.

إنها هزائم متلاحقة حري بالمسلمين أن يدركوها ويستفيدوا منها.

٣- أما الأمر الثالث والمهم فهو أن يدرك المسلمون سر قوتهم وقدرتهم على التحدي، وأن المستقبل لهم، فهم بقيمهم الخالدة وحضارتهم الزاهرة، وثرواتهم المتعددة، وتاريخهم المجيد، قادرون على تحقيق النصر.. إن صدقوا وصبروا، وها هو الغرب.. يعترف وهو في مستنقع العراق الصامد.. ويقول بلير معترفًا بقوة المقاومة: (إن العراق يصنع التاريخ أو يعيد صياغته)[١].

إن على المسلمين أن يدركوا قوتهم، وأن ينفضوا عنهم ذل الهزيمة، وأن يزيلوا من أذهانهم شبح العدوان على المسلمين ألا يظلوا متفرجين في كل حملة يشنها الغرب على بلاد المسلمين.. فهي سياسة نهش الأطراف للوصول إلى القلب.. فهل ننصر إخواننا وهل ندرك أن في ذلك حماية لأنفسنا؟ لا بد أن

---

(١) د. الوهيبي، مقال في البيان السابق.

يتحد الساسة على موقف العز والكرامة وأن يقودوا شعوبهم إلى مراقي النصر، ولا بد للعلماء الربانيين أن يحيوا في الأمة فقه المقاومة وأن يذكروا المسلمين بقيمة الجهاد في سبيل الله بمفهومه الحقيقي المشروع وبمبادئه المختلفة ولا بد لأثرياء الأمة من دعم المقاومة لصد العدوان.. لا بد أن يتحمل المفكرون والإعلاميون دورهم في البيان.. لا بد أن توظف الطاقات، وتجمع الكلمة ويرتقي بهمم الشباب، ويعزز الاقتصاد، ويعاد بناء الجيوش لهدف حماية البلاد وتحرير المقدسات، والوقوف في وجه الغزاة، وإذا اكتمل البناء تحقق نصر الله.

ووعد الله حق ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠] ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧].



الإمام العالم العابد عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما[(١)]

الخطبة الأولى:

الحمد لله خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملًا، وقضى ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رفع شأن العلم، وعظم منزلة العلماء فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩] وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إمام العلماء وقدوة العابدين وسيد المرسلين صلى الله عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين ورضي الله عن الصحابة أجمعين..

إخوة الإسلام، ما أجمل العلم، وما أزكى العبادة، فكيف إذا اجتمعتا في شخص؟ وما أروع البر والتقدير للآباء ولا سيما إذا كان امتثالًا لهدي النبي ﷺ وطاعة لأمره..

كم نحتاج إلى أن تصرف همم الشباب فيما ينفعهم في دينهم ودنياهم وكم نحتاج إلى الاعتدال ولزوم السنة في كل شيء، حتى ولو كان زهدًا في متاع الدنيا، وتفرغًا للعبادة..

هذه المعاني وغيرها نجدها ظاهرة -لمن تأمل- في حياة صحابي جليل، وعاء من أوعية العلم، ونموذج لهمة الشباب العالية، أنه الإمام الحبر العابد صاحب رسول الله ﷺ، وابن صاحبه، عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. يقال أنه أسلم قبل أبيه، ويقال أنه لا فرق في السن بينه وبين أبيه إلا بإحدى عشرة أو اثنتي عشرة سنة أو نحوهما (الذهبي/ سير أعلام النبلاء ٣/ ٨٠) كان عبد الله بن

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في ١٧/ ٧/ ١٤٢٥هـ.

عمرو نموذجًا لهمة الشباب في صرف طاقتهم للعبادة فقد حدث عن نفسه فقال: جمعت القرآن فقرأته كله في ليلة فقال رسول الله ﷺ: «**اقرأه في شهر، قلت: يا رسول الله دعني أستمتع من قوتي وشبابي، قال: اقرأه في عشرين، قلت: دعني أستمتع، قال: أقرأه في سبع ليال، قلت: دعني يا رسول الله أستمتع، قال: فأبى**»[(١)].

ولم تكن همة ابن عمرو في تلاوة القرآن، بل كانت له همة في الصيام والقيام، وما زال رسول الله ﷺ ينازله في تخفيف ذلك كله حتى تمنى في آخر حياته أنه قبل رخصة النبي ﷺ له. فقد روى مسلم في صحيحه من طريق أبي سلمة أن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: حدثنا عبد الله بن محمد الرومي. حدثنا النضر بن محمد. حدثنا عكرمة (وهو ابن عمار) حدثنا يحيى قال: انطلقت أنا وعبد الله بن يزيد حتى نأتي أبا سلمة. فأرسلنا إليه رسولًا. فخرج علينا. وإذا عند باب داره مسجد. قال: فكنا في المسجد حتى خرج إلينا. فقال: إن تشاؤا، أن تدخلوا، وإن تشاؤا، أن تقعدوا هاهنا. قال فقلنا: لا. بل نقعد هاهنا. فحدثنا. قال أبو سلمة: حدثني عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. قال: كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة. قال: فإما ذكرت للنبي ﷺ، وإما أرسل إلي فأتيته. فقال لي: «ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة؟» فقلت: بلى. يا نبي الله! ولم أرد بذلك إلا الخير. قال: «**فإن بحسبك أن تصوم**[(٢)] **من كل شهر ثلاثة أيام**» قلت: يا نبي الله! إني أطيق أفضل من ذلك. قال: «**فإن لزوجك عليك حقًا. ولزورك**[(٣)] **عليك حقًا. ولجسدك عليك حقًا**» قال: «كان

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٨٣).

(٢) (فإن بحسبك أن تصوم) الباء فيه زائدة. ومعناه أن صوم الثلاثة أيام من كل شهر كافيك.

(٣) (ولزورك) قال في النهاية: هو في الأصل مصدر وضع موضع الاسم. كصوم ونوم بمعنى =

يصوم يومًا ويفطر يومًا» قال: «وأقرأ القرآن في كل شهر» قال قلت: يا نبي الله!إني أطيق أفضل من ذلك. قال: «**فأقرأه في كل عشرين**» قال قلت: يا نبي الله! إني أطيق أفضل من ذلك. قال: «**فاقرأه في كل عشر**» قال قلت: يا نبي الله! إني أطيق أفضل من ذلك. قال: «**فاقرأه في كل سبع، ولا تزد على ذلك. فإن لزوجك عليك حقًا. ولزورك عليك حقًا. ولجسدك عليك حقًا**».

قال: فشددت. فشدد علي.

قال: وقال لي النبي ﷺ: «**إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر**».

قال: فصرت إلى الذي قال لي النبي ﷺ، فلما كبرت وددت أني كنت قبلت رخصة نبي الله ﷺ وفي هذا الحديث عدة فوائد ووقفات:

أولاها: همة هذا الشاب واستزادته من عمل الصالحات، وما زال يحاور النبي ﷺ ويذكر من طاقته حتى أذن له بما أذن فأين هذه الهمة من شبابنا.؟ ولكل واحد منهم أن يسأل نفسه ما هو ورده من القرآن في اليوم؟ وما هو نصيبه من الصوم؟ إننا نتألم حين نسمع عن شباب حفظة لكتاب الله.. ومع ذلك فقد يمر الشهر على أحدهم ولم يختم القرآن، ونتألم أكثر حين نسمع عن شباب أو كهول لا يختمون القرآن إلا من رمضان إلى رمضان ومن العدل أن نقول أن ثمة شبابًا وكهولًا يختمون القرآن في بضعة أيام.

ثانيًا: حرص هذا النبي ﷺ على أمته، فهو بهم رءوف رحيم وما زال بابن عمرو ينازله ويحاوره في تخفيف الصيام والقيام وتلاوة القرآن تخفيفًا يستطيع

= صائم ونائم. وقد يكون الزور جمعًا لزائر، كركب في جمع راكب. أي لضيفك ولأصحابك الزائرين حق عليك. وأنت تعجز، بسبب توالي الصيام والقيام، عن القيام بحسن معاشرتهم.

معه أن يداوم على العمل في كل حين فأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل. . ويستطيع معه أن يزاول أعمالًا وطاعات أخرى، فمن توفيق الله للعبد أن يكون له في كل ميدان من ميادين الخير نصيب، وله في كل قربة لله سهم، فالنفس تكل وتمل، وتضعف، والمراوحة بين أعمال الخير المختلفة ينشط النفس ويطرد عنها السآمة والملل والدين يسر، والله لا يمل حتى تملوا. .

ثالثًا: ومن سماحة الإسلام أن جعل للنفس حقًا، وللأهل حقًا، وللزور حقًا وعلى المسلم أن يوازن بين الحقوق، وعلى الشباب خاصة أن يوازنوا بين الأمور كلها، ويحافظوا على الحقوق والواجبات ما أمكنهم ذلك. رواه النسائي.

وكم هو جميل كلام الذهبي رحمه الله في تعليقه على قصة ابن عمرو، وتجزأة الواجبات، وتنويع الطاعات حيث قال: وصح أن رسول الله ﷺ نازله إلى ثلاث ليال، ونهاه أن يقرأه في أقل من ثلاث[1] وهذا كان في الذي نزل من القرآن، ثم بعد هذا القول نزل ما بقي من القرآن. فأقل مراتب النهي أن تكره تلاوة القرآن كله في أقل من ثلاث، فما فقه ولا تدبر من تلى في أقل من ذلك. ولو تلا ورتل في أسبوع، ولازم ذلك، لكان عملًا فاضلًا، فالدين يسر، فوالله إن ترتيل سُبع القرآن في تهجد قيام الليل مع المحافظة على النوافل الراتبة، والضحى، وتحية المسجد، مع الأذكار المأثورة الثابتة، والقول عند النوم واليقظة، ودبر المكتوبة والسحر، مع النظر في العلم النافع والاشتغال به مخلصًا لله، مع الأمر بالمعروف، وإرشاد الجاهل وتفهيمه، وزجر الفاسق، ونحو ذلك، مع أداء الفرائض في جماعة بخشوع وطمأنينة وانكسار وإيمان، مع أداء الواجب،

(١) أخرجه أبو داود (١٣٩٤) في الصلاة: باب تحزيب القرآن، والترمذي (٢٩٥٠).

واجتناب الكبائر، وكثرة الدعاء والاستغفار، والصدقة وصلة الرحم، والتواضع، والإخلاص في جميع ذلك، لشغل عظيم جسيم، ولمقام أصحاب اليمين وأولياء الله المتقين، فإن سائر ذلك مطلوب. فمتى تشاغل العابد بختمة في كل يوم، فقد خالف الحنيفية السمحة، ولم ينهض بأكثر ما ذكرناه ولا تدبر ما يتلوه.

هذا السيد العابد الصاحب كان يقول لما شاخ: ليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ. وكذلك قال له ﷺ في الصوم، ومازال يناقصه حتى قال: «**صم يومًا وأفطر يومًا، صوم أخي داود** عليه السلام»[(١)].

أيها المسلمون والزهد في الدنيا وإن كان مطلوبًا فله حدوده الشرعية ومهما زهد الزاهدون فلهم في رسول الله أسوة حسنة، وكان يصوم ويفطر، ويصلي وينام، ويتزوج النساء، وقد ندب الأمة إلى القصد في العبادة، وعلمهم كيف يكون الزهد، وهذا عبد الله بن عمرو يحدثنا عن موقف له في الزهد من متاع الدنيا، وكيف علمه النبي ﷺ والأمة كلها معنى الزهد في الإسلام، يروي لنا الموقف ابن عمرو بنفسه ويقول: زوجني أبي امرأة من قريش، فلما دخلت علي جعلت لا أنحاش لها مما بي من القوة على العبادة، فجاء أبي إلي كنته (وهي زوجة الولد) فقال: كيف وجدت بعلك؟ قالت: خير رجل من رجل لم يفتش لنا كنفًا ولم يقرب لنا فراشًا، قال: فأقبل علي (أبي) وعضني بلسانه ثم قال: أنكحتك امرأة ذات حسب فعضلتها وفعلت، ثم انطلق فشكاني إلى النبي ﷺ فطلبني فأتيته، فقال لي: أتصوم النهار وتقوم الليل؟ قلت: نعم، قال: لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأمس النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٨٤).

رواه أحمد بسند رجاله ثقات، وأخرجه البخاري بأخصر من هذا[١].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].



(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٩٠).

الخطبة الثانية:

يا أخا الإسلام وإذا عرفت شيئًا من قوة عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في العبادة فبقي أن تعرف شيئًا من قوته في العلم وحرصه على طلبه وجمعه فقد كان عبد الله من أوعية العلم، وكان من حفظة السنة والمدونين لها، قرأ الكتاب واستأذن النبي ﷺ في أن يكتب حديثه، فأذن له قال يا رسول الله: أكتب كل ما أسمع منك في الرضا والغضب؟ قال: «**نعم، فإني لا أقول إلا حقًّا**»[1] وكان عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما منافسًا لأبي هريرة رضي الله عنه في حفظ السنة النبوية، حتى قال أبو هريرة: ما كان أحد أحفظ لحديث رسول الله ﷺ مني، إلا عبد الله بن عمرو، فإنه كان يعي بقلبه وأعي بقلبي، وكان يكتب وأنا لا أكتب، استأذن رسول الله ﷺ في ذلك فأذن له[2].

حمل عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ علمًا جمًا، وبلغ ما أسنده من الأحاديث سبعمائة حديث، وروى عن جملة من الصحابة، وروى عنه خَلْقٌ كثير[3].

وورد أنه حفظ عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ ألف مثل[4].

أما نظر عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في الكتب الأخرى، وقراءته في التوراة إلى جانب القرآن- كما فسر النبي ﷺ رؤياه حين قال رأيت، وكان في أحد أصبعي سمنًا وفي الأخرى عسلًا وأنا ألعقهما، فقال له النبي ﷺ: تقرأ الكتابين التوراة والفرقان[5].

---

(١) رواه أحمد وغيره وإسناده صحيح: «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٨٨).

(٢) «الاستيعاب بهامش الإصابة» لابن عبد البر (٦/ ٣٣٩، ٣٤٠).

(٣) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٨٠، ٨١).

(٤) «الاستيعاب» (٦/ ٣٤٠).

(٥) رواه أحمد (٢/ ٢٢٢).

فهو حديث ضعيف، والخبر منكر كما قال الذهبي ولا يشرع لأحد بعد نزول القرآن أن يقرأ التوراة ولا أن يحفظها، لكونها مبدلة محرفة منسوخة العمل، قد اختلط فيها الحق بالباطل فلتجتنب، فأما النظر فيها للاعتبار وللرد على اليهود فلا بأس بذلك للرجل العالم قليلًا، والأعراض أولى.. هكذا قرر الإمام الذهبي رحمه الله[١].

أيها المسلمون وإذا علمتم قوة ابن عمرو في العبادة، وسعة باعه في العلم، ولا تكاد مدونة من مدونات أهل العلم إلا وفيها ذكر حسن له فمن حقكم جميعًا.. ومن حق الشباب على وجه الخصوص أن يعلموا أن ابن عمرو نموذج لبر الآباء، إلى حد ربما أكره نفسه على العمل يقدم عليه تحقيقًا للبر بأبيه.. أجل لقد كان عبد الله يكره الاقتتال وحمل السلاح بين المسلمين، وقد ورد عنه أنه كان يقول: مالي وصفين مالي ولقتال المسلمين، والله لوددت أني مت قبل هذا بعشر سنين ثم يقول: أما والله ما ضربت فيها بسيف ولا طعنت برمح، ولا رميت بسهم، ولوددت أني لم أحضر شيئًا منها، وأستغفر الله عز وجل من ذلك وأتوب إليه..

وذكر ابن عبد البر رحمه الله أن عبد الله إنما شهد صفين لعزمة أبيه عليه في ذلك، وأن رسول الله ﷺ قال له: أطع أباك[٢].

وفي مسند أحمد عن حنظلة بن خويلد العنبري قال: بينما أنا عند معاوية، إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار رضي الله عنه فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال عبد الله بن عمرو: ليطب به أحدكما نفسًا لصاحبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقتله الفئة الباغية**» فقال معاوية رضي الله عنه يا عمرو: ألا تغني

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٨٦).

(٢) «الاستيعاب» (٦/ ٣٤٢، ٣٤٣).

عنا مجنونك، فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: «**أطع أباك ما دام حيًا**» فأنا معكم ولست أقاتل[1].

عباد الله.. وجملة القول أن في سيرة هذا الإمام العابد العالم الزاهد دروسًا وعبرًا.. فيها دفع للهمم في العبادة، وفيها حض على تعلم العلم وتعليمه، ومنها إرشاد للزهد في الدنيا وتوجيه لحدود الزهد المقبولة كما أن في سيرة ابن عمرو دروسًا في البر والوفاء والصدق والنصح.. رضي الله عنك يا ابن عمرو ورضي عن أبيك وعن سائر الصحابة أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.. اللهم ألحقنا بهم واحشرنا معهم.



(١) «المسند» (٢/ ١٦٤)، ابن عساكر (٢٤٨)، وصحَّح المحقق إسناده في «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٩٢).

الرحلات البرية .. إيجابيات وسلبيات ، وقفات وتنبيهات(١)

الحمد لله جعل لنا في ديننا فسحة، وما جعل عليكم في الدين من حرج. .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله بعث ليضع عن الأمة إصرها والأغلال التي كانت عليها. . اللهم صل وسلم عليه. .

إخوة الإسلام. . ونعم ربي علينا تتوالى. . صحة وأمن، وأموال وأولاد. . وثمرات تجبى إلينا، وأخرى تخرج من أرضنا، اعتدال في الجو، وأمطار تنهمر فتملأ السهل والجبل وتكسب الأرض خضرة وبهاء. . وتطالع روس المرتفعات من الرمال وهي ندية بالأمطار - ولا تسأل عن الأودية والقيعان، وحق للناس أن يفرحوا بفضل الله، وحري بهم أن يشكروه وأن يتذكروا ويتفكروا في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٤٨-٥٠].

ومن حق الناس أن يتنزهوا ويبصروا أنعم الله -دون أشر أو بطر- ومن الذي يقول إن الاستقامة على دين الله مانعة من الأنس والمرح والتنزه والفرح؟ ولكن من حق الله عليهم أن يشكروه ولا يكفرونه وأن يطيعوه ولا يعصونه.

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في ١٤٢٦/٢/٩هـ.

ذكر في ترجمة ابن مجاهد شيخ قراء بغداد أنه خرج إلى البستان مع بعض كبار علماء بغداد، وصاروا يلعبون بإداوة ودولاب هناك، فنظر إليهم بعض الناس مستغربًا، فقال له ابن مجاهد: التعاقل في البستان كاللعب في المسجد.

ولكن الذي ينبغي أن يكون المرح والتنزه في حياة المسلم ترويحًا عن النفس بعد الجد والعمل، والإنتاج والبذل والعطاء.. حتى يكون للنزهة محلها من الإعراب.. وإلا احتاج الترفيه إلى ترفيه، والراحة إلى راحة أخرى.. وهكذا.. وعمر الإنسان أغلى من أن يفرط بساعاته هكذا ودون فائدة.

أيها المسلمون هناك مظاهر إيجابية في حياة الناس في البر حرية بأن تذكر وتشكر، ومظاهر سلبية حرية بأن ينبه لها وتحذر..

ومن المظاهر الإيجابية ارتفاع الأذان عاليًا في البراري والغفار حتى يشهد الحجر والشجر ومن سمع لمن رفع ذكر الله..

واصطفاف المتنزهين كالبنيان المرصوص لأداء الصلاة هو الآخر مشهد يفرح ويؤنس، ويؤكد حرص المسلمين على صلاة الجماعة أينما حكوا أو ارتحلوا.

وهناك عائلة بل عوائل تقترب من شط الماء وجلال الحشمة ومظاهر الحياء بادية على النساء قبل الرجال فلا سفور ولا اختلاط بل نساء كالغربان كاسيات حافظات لما حفظ الله.

ومن المظاهر الإيجابية لقاء الأسرة في جو من الأنس والاستمتاع بجمال الطبيعة بما حباها الله.. وكم هو جميل حين يستثمر الولي هذه الأجواء في توجيه هادف أو قصة تربوية ذات معنى، أو يلفت أنظار الصغار إلى عظمة الله من خلال مخلوقاته وفسيح كونه.

وثمة مظهرًا إيجابي حين يقع فرد أو أسرة في موقف محرج متسابق الأكف تساعد وتدفع، وربما غامر الشباب بحياتهم فأنقذوا أسرة كاد الفرق أن يلف

أفرادها.. والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن المعروف أن تعين الرجل في دابته فتحمله عليه أو تحمل معه متاعه.. أو تصلح له سيارته أو تسدد ما نقص من متاعه وأغراضه..

وتشكر رجالات الهيئة حين يتواجدون في أماكن تجمع المتنزهين يوجهون ويدعون بالحسنى ويذكرون والذكرى تنفع المؤمنين.

إخوة الإسلام ولا تقتصر الإيجابية على رجال الهيئة في الأمر والنهي والدعوة، فثمة محتسبون متجولون يذكرون من غفل وينهون من أخطاء ويمارسون الدعوة بلطف، وربما كانت سلوكياتهم الحسنة ومعاونتهم لمن به حاجة للمعونة أسلوبًا صامتًا في الدعوة، وليست الدعوة مجرد خطبة أو محاضرة تلقى، بل ربما كان الموقف الجميل، والمعروف المهدي وإشراقة الوجه بالبشرى[1].

عباد الله: وثمة مظاهر إيجابية أخرى جماعها مراقبة الله في كل حال، وذكره وشكره على كل نعمه، والتزام آداب الإسلام، في النظر والسماع واعتبار حقوق الرفقة أو من آواك المسير إليهم.

أيها المسلمون.. أما المظاهر السلبية في هذه الرحلات البرية فمنها: اختيار الطرق الصعبة أو المجازفة بالعائلة في مسالك برية خطرة.. فيها من المغامرة ما قد يوقع الأسرة في مهاوي الردى..

وكم يتهاون الناس في سكنى الأودية المنهي عنها.. أو اختراق الوادي حين تملأ جوانبه الأمطار، فيقع المحظور ويعود الإنس حزنًا والفرح مأثمًا.

وثمة إهمال للأطفال وهو معدود في سلبيات الرحلات، فيهيم الطفل على وجهه وربما جن الليل فاختفى عن الأنظار، فكان القلق بسبب الإهمال

(١) ربما كانت هذه وتلك مؤثرات ومبشرات وأساليب لفتح القلوب للخير وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء.

والتفريط، وربما كان الطفل ضحية للهوام أو نحوها إن لم يتداركه الله برحمه أما النساء فيخطئ في حقهن من يتركهن فترة من الزمن وحيدات في البراري.. بحجة ذهاب الولي لإكمال غرض ناقص للرحلة وربما استغرق غيابه عنهن وقتًا طويلًا.. فلازم النساء القلق وربما تعرض لإساءة من جاهل.. أو اعتداء من سفهاء والنساء أمانة في أعناق الرجال، ولا بوركت رحلة يخدش فيها الحياء، وتخاف فيها النساء.

على إنك تلحظ أحيانًا توسعًا عند بعض النساء في عدم إرخاء الحجاب أو توسعًا في استخدام النقاب.. أو في ممارسة نوع من الرياضة قبالة الرجال من قبل ركوب الدراجات النارية، أو في المسير بعيدًا عن رجالهن، وفي هذا تعريض بهن لمخاطر السفهاء ومخادعة اللئام؟

عباد الله وثمة من يتساهلون بأداء الصلاة حتى يخرج وقتها وربما جمعوا من غير حاجة أو قصروا دون مسافة القصير المشروعة والأدهى والأمر حين يلجأ إلى التيمم من هو على شفير الماء؟

والله يحب أن تؤتى رخصه.. لكن يكره أن تؤتى محارمه، أو يستهين مستهين بحدوده وأحكام دينه.

معاشر المسلمين وثمة ظاهرة سلبية تسمع أحيانًا في البراري كما تسمع عند إشارات المرور -أحيانًا- ألا وهي رفع الصوت بالأغاني وعدم تقدير مشاعر الآخرين وأولئك يخيل إليهم أنهم يمارسون حريتهم لكنهم نسوا أنها على حساب حريات الآخرين.. وظنوا أنهم يطربون أنفسهم ونسوا أنهم يضايقون الآخرين.. ألا وأن الحياء من شيم الكرام، وتقدير أذواق الآخرين من كرائم المروءات وذلك كله فالخوف من الله والحياء منه ضمان لوئد ما سفل من الأخلاق وما حرم من المنكرات. وكل أمة محمد ﷺ معافون إلا المجاهرين.

أيها المسلمون وظاهرة التصوير عمت وطمت، ولم يقتصر الأمر على أجهزة التصوير المعروفة، بل عادت كمرات الجوال تمثل خطرًا داهمًا لاسيما في فضح النساء وإخراج صورهن لإحراجهن أو إحراج أهلهن ومحارمهن وقد تلتقط الصورة للمرأة دون علمها، ويضاف إلى هذا البلاء بلاءً آخر عبر أجهزة (البلوتوث) حيث تسمح شرائحه بنقل الصور من جهاز لآخر بطريقة تلقائية فتعم الفتنة بنقل الصور، وتشيع الفاحشة في الذين آمنوا فاحفظوا أنفسكم وعوائلكم من هذا الداء الخطير، ألا وإنا غزينا بأجهزة الباندا.. ودمر شبابنا وفتياتنا بجهاز (المدمر) وأمثاله وإن كان قليلًا..

وثمة داء بيننا نسمع به في الرحلات، وذلك حين تخرج النساء بصحبة سائق ويستأجرن مكانًا يجتمعن فيه، ويتصلن بأحد المطاعم لتأمين الغذاء أو العشاء.. وكل ذلك بعيدًا عن أوليائهن فأين الغيرة على المحارم؟ وهل استنوقت الجمال، وترجلت النساء.. ألا وإن النار من مستصغر الشرر؟! والثقة المفرطة لها مخاطرها.. بل هناك فرق بين الثقة والإهمال وينبغي أن تسمى الأمور بمسمياتها ومن حق النساء أن نخدمهن وأن نحفظ عليهن كرامتهن، وألا ندعهن تحت رحمة الأجانب عنهن من خدم وسائقين وطاهين ومسوقين فالخطر كبير، والفتنة عظيمة، ورحم الله امرئ كف الغيبة عن نفسه وحفظ أهله عن مواقع الريب، ومصائد البطالين..

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الملك: ١٥-١٨].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة نبيه ﷺ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله قدر فهدى وأخرج المرعى فجعله غثاء أحوى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شرع فأحكم، وحكم فعدل وهو خير الحاكمين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، دل الأمة على الخير وأمرهم به ونهاه عن الشر ونهاهم عنه، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين.

أيها الإخوة المؤمنون: الدنيا متاع وفيء زائل، والآخرة هي دار القرار، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤]، ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢].

أيها المتنزهون تتاح لكم في البراري عبادة عظيمة قل في الناس عاملها، وجاء في القرآن الحث عليها.. إنها عبادة التفكر ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٤].

يا أيها المتنزه هل بلغت بنظرك عظمة الله فيما خلق وأنت ترى أنواع الأزهار وصنوف الأشجار تسقى بماء واحد ويختلف في الطعوم والأشكال.. وتبصر أنواعًا من الدواب والزواحف والهوام ﴿۞ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦].

تبصر الجبل والسهل والقيعان والرمال، فهل تكبر حين ترقى مرتفعًا وتسبح

حين تنحدر منخفضًا؟. وهل تتذكر- وأنت تجول في أرض الله الواسعة- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨].

كم في البراري من معان ودروس لو تأملناها، ثم لفتنا نظر أبنائنا وبناتنا لها.. إنها دروس عملية في الإيمان.. ودورات تطبيقية في التربية.. يتسع لها كون الله الفسيح، وتحدث في القلوب خشية وتعظيمًا لله فهل نمارس هذه العبادة وتلك التربية في رحلاتنا وتنزهاتنا؟ وهل نتذكر البعث والنشور ونحن نرى بعث الله للحياة في الأرض الموات ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

أيها المسلمون ما أجمل الرحلة يعود القلب بعدها مسرورًا منشرحًا فهو يتخفف من أعباء الحياة ويجدد حياته ونشاطه من جانب وهو من جانب آخر يجدد إيمانه ويتذكر عظمة ربه.. إنها دعوة لنفسه.. ويمكن أن تكون دعوة لأهله ورفقته.. ويمكن أن يشمل بالخير غيره فيذكر بلطف من مر به.. أو يلفت نظر من بطر وأشر واستخدم أنعم الله فيما حرم الله.. وجازى الإحسان بالنكران..

إننا أمة الخير ومن خيرية أمتنا أننا نتآمر بالمعروف ونتناهى عن المنكر.. وإذا لم يستحي أصحاب المنكرات بإظهار منكراتهم.. أتستحي يا صاحب الحق والخير بإظهاره؟

إن خارق السفينة لا يحرق في نصيبه فحسب، بل هو ساع إلى إغراق الجميع.. وإذا لم يأخذ العقلاء على أيدي السفهاء، أوشك العذاب أن يعم ما

أجمل المروءة في كل حين ولكنها تزداد زينًا حين الحاجة إليها، كمن بعد عن أهله أو تعطلت به راحلته.. أو تاه عن طريق الأوان وإن إناسًا يحتسبون أوقاتهم في البراري لخدمة هؤلاء وأولئك المأجورون..

يا أيها المتنزهون المطولون في النزهة أحرصوا ألا تطول غيبتكم عن أهلكم وزويكم فلهم حاجات وظروف وفي عوادي الدهر مفاجئات وطوارق، فكونوا على صلة بهم بالهواتف النقالة تعلمون أخبارهم وتتابعون أمورهم فهم أمانة في أعناقكم وستسألون عنهم.. وحذاري من أن تعودوا من الرحلة وقد تغيرت أحوال بعضهم برفقة سيئة.. أو بمشاهدات هابطة.. أو نحو ذلك من عوامل الانحراف واجعلوا لهم من هذه الرحلات نصيبًا يشعرهم بالقرب منكم، وتمارسون التربية معهم في كل حين ولشتى الوسائل.. أيها المتنزهون والمكان الذي تتنزهون فيه حق لكم ولغيركم فاحرصوا على نظافته ليبقى نظيفًا لكم ولغيركم، ودينكم دين الجمال والنظافة، وإياكم والإسراف في المطعم والمشرب.. وتصدقوا بما فضل.. واحمدوه على الأكلة والشربة يغفر لكم واذكروا ربكم في أي مكان حللتم.. فستشهد الأرض لكم حين تحدث أخبارها ولا تنسوا دعاء المنزل فهو حافظ لكم بإذن الله.. حفظكم الله في حلكم وترحالكم ورزقنا شكره وذكره، وعافانا من البلاء والمحن..



القرآن في غوانتناموا تدنيس أم تكريس؟(١)

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أوحى إليه ربه بشأن القرآن وأنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون.

أيها الإخوة المؤمنون نزل الوحي من السماء معظمًا، وكان الوحي عماد شريعة الأنبياء، كانت صحف إبراهيم وموسى، وكان التوراة والإنجيل، والزبور، ثم كان القرآن فرقانًا ومهيمنًا ومصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

واندرست الكتب السماوية وبقي القرآن الكريم محفوظًا عليًا ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤] ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

أجل إن حفظ القرآن معجزة لمحمد ﷺ، ودليل على أن الإسلام رسالة الله الأخيرة للبشر..

بالقرآن حفظت أخبار الأنبياء ودعوتهم وأخبارهم مع أقوامهم، وبالقرآن

(١) ألقيت هذه الخطبة في ١٢/ ٤/ ١٤٢٦هـ.

كانت الإشارة إلى شرائع السماء بالقرآن قص أحسن القصص، وبالقرآن أحكمت الشريعة فلا نسخ ولا تبديل إلا ما أتى الله بخير منها أو مثلها وفي حياة محمد ﷺ فقط وبعد موته انقطع الوحي من السماء، وتوارثت أمة الإسلام هذا القرآن تحفظه في الصدور، وتجده مكتوبًا في الألواح والمصاحف، ومهما أصاب الأمة من نكبات وخطوب، ومهما اجتاح العدو أرضها أو دمر ما دمر من حضارتها فقد بقي القرآن شاهدًا على التحدي، برهانًا على الحفظ والإعجاز. . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وكلما ضعف المسلمون عن القرآن هبت صيحات تنادي بالعودة إلى كتاب الله، فينبعث للقرآن جيل جديد، وتنبعث همم لحفظه وتدريسه والعناية به وبعلومه، وتنشأ مؤسسات ودروس ومعاهد وجامعات للقرآن.

وعلى مر العصور وللقرآن رجال ونساء يحييون الليل بالقرآن قراءة وتدبرًا وبكاء وخشوعًا.

وعلى اختلاف الدول كان للقرآن سلطان، به يساس الناس، وبأحكامه يؤخذون، وبهديه يهتدون.

وعلى اختلاف الأحوال حضرًا وسفرًا وحجة ومرضًا كان القرآن للمسلم رفيقًا ومؤنسًا يتلوه المسلم قائمًا وقاعدًا وعلى جنب وبقي القرآن خير جليس ومؤنس في حال الغربة والوحشة فالقرآن يتلى في غياهيب السجون. . ويترنم السجناء بآياته وهم في قبضة الأعداء يسامون سوء العذاب، ويعاملون بوحشية مفرطة ويعزلون عن أهليهم ومجتمعاتهم في جزر بعيدة الأعماق نائية عن الأمن والإيمان هناك في «غوانتناموا» يسمع دوي للقرآن، وينفس المكروبون عن أنفسهم بترتيل القرآن، ويناجون ربهم بالقرآن.

ولكن الظلم يتجاوز الحدود، وكرامة الإنسان تهان إلى الأذقان، بل وشرائع

السماء ووحي الله تنتهك إلى حد لا تكاد تصدقه العقول.

أجل لقد نشرت وسائل الإعلام العالمية -وفي مقدمتها وسائل إعلام الغرب- عن انتهاك الجنود الأمريكان للقرآن في سجن غوانتناموا.. مزق القرآن وأهين في المراحيض.. وذلك كأسلوب من أساليب الأذى والتعذيب للسجناء المسلمين هناك..

ولكن الحادث أبعد مدى وأوسع انتهاكًا، فهو تحد سافر للمسلمين، وهو استفزاز أرعن لمشاعر أكثر من مليار مسلم.. وعلى أثرها احتجت دول، وتظاهرت شعوب وصدرت بيانات واستنكارات من هيئات ومجمعات ولجان ومنظمات إسلامية.

ولقد عبرت الأمانة العامة لمجمع الفقه الإسلامي بجدة، والمنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي باسم شعوب الأمة الإسلامية وعلمائها وفقهائها عن سخطهم الشديد واستنكارهم الكبير لما نقلته وكالات الأنباء العالمية استنادًا إلى مجلة (نيوزيك) الأمريكية الصادرة في ٩ مايو ٢٠٠٥م من أخبار مزعجة حول قيام بعض جنود الجيش الأمريكي في قاعدة «غوانتناموا» الأمريكية بكوبا بتدنيس المصحف الشريف وإلقائه في المراحيض، قصد إيذاء السجناء المسلمين ومن وراءهم من عامة المسلمين وأهل الديانات الإلهية المعترفين بأن الكتاب المنزل على الرسول ﷺ هو كمثله من الكتب المقدسة -التوراة والإنجيل- واجب احترامها وتقديسها.

وأشار البيان إلى أن هذا الانتهاك من أشد الموبقات جرمًا، ولا يمكن للمسلمين التسامح فيه[١].

---

(١) جريدة الجزيرة ٩/ ٤/ ١٤٢٦هـ.

أيها المسلمون: ومع أهمية هذه البيانات المستنكرة فينبغي للمسلمين حكومات وشعوبًا ألا يقفوا عند حدود التنديد، بل يواصلوا استنكارهم حتى توقع العقوبة الرادعة على المجرمين ومن وراءهم، وحتى يعلم العالم أن الإسلام عزيز في نفوس أتباعه، وأن القرآن عظيم في قلوب أهله، وأن للمستضعفين من يناصرهم ويدافع عن حقوقهم وكرامتهم.

فالسجناء المسلمون هناك أوذوا وعذبوا وانتهكت حقوقهم وقد آن الأوان لنصرهم والدفاع عن حقوقهم.

وينبغي أن تعري أنظمة العرب المدعية لحرية الأديان، والزاعمة لتأمين الديمقراطية للشعوب، وها هي اليوم تمارس العنصرية والاستبداد والانتهاك بأبشع صورها، وترسم مشهدًا موحشًا للغرب وجنوده، يتجاوز الإساءة للبشر إلى الإساءة وقلة الأدب مع الله وكلامه ووحيه، ويطال ذلك شرائع السماء كلها.

اللهم إنا نبرأ إليك مما صنعه المجرمون ونسألك أن تسلط عليهم من ينتقم منهم إنك قوي شديد المحال.

وبالمناسبة نذكر المسلمين ولا سيما من أهل الكتاب أن القرآن خطعت لعظمته الأفئدة وخر للأذقان سجدًا أهل العلم من أهل الكتاب حين تلي عليهم وسجل الموقف الرهيب في القرآن وتحدى الله من أعرض عن القرآن ولم يؤمن به فقال تعالى مادحًا لأهل العلم من أهل الكتاب، وقادحًا على من كذب به وأعرض عنه من أهل الأوثان ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

قال السعدي رحمه الله: وهؤلاء كالذين من الله عليهم من مؤمني أهل الكتاب

كعبد الله بن سلام وغيره، ممن أسلم في وقت النبي ﷺ، بعد ذلك[١] والمشهد هنا يفوق الوصف ولا تكفي الألفاظ لتصوير الموقف فتنسكب الدموع معبرة عما يجيش في الصدور..

أمن هؤلاء المدنسون للقرآن والمحرفون لما أنزل على الرسول ممن سبقهم من نصارى قال الله عنهم ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

اللهم اجعلنا من أهل القرآن.



(١) «تفسير السعدي» (٤/ ٣٢٢).

الخطبة الثانية:

إخوة الإسلام القرآن في غوانتناموا تدنيس أم تكريس؟

هل ما نسب إلى الجنود الأمريكان هناك تدنيس للمصحف الشريف أم تكريس للعدوان على المسلمين بشكل عام؟

أهو تدنيس للمصحف كما صنعوا أم هو تكريس للاهتمام به من قبل المسلمين كما ينبغي، فالمسلمون يدركون أن القرآن هاد لا يضل وناصح لا يغش، ومحدث لا يكذب، فيه زيادة من هدى ونقص من عمى، وشفاء من عي شافع مشفع وقائل مصدق.

المسلمين لا ينبغي أن ينطلقوا في عنايتهم بالقرآن من ردود الأفعال ولكن مثل هذه الحوادث المؤسفة تذكرهم بواجبهم تجاه القرآن تعلمًا، وتعليمًا، وعناية ودعمًا، ودعوة ونشرًا للقرآن.

إن حادثة تدنيس القرآن هناك تذكر المسلمين بموقف أعدائهم من القرآن والإسلام، وتنبههم إلى تعظيم الله بتعظيم كتابه، وإغاظة الأعداء بالعودة للإسلام وحمل القرآن.

ولقد فهم السابقون أن القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونه بالليل ويتفقدونه بالنهار -وكذلك ينبغي أن يفهم اللاحقون من المسلمين- (كما أثر عن الحسن بن علي رضي الله عنهما)[1].

أيها المسلمون وقفة ومصارحة ماذا وراء احتجاجنا وغضبنا لما يصنعه الأعداء بالقرآن.

---

(١) «التبيان» للنووي (٢٨).

وشكرًا لك أيها المسلم وأنت مثاب حين تغضب لله وتدافع عن القرآن ولكن قل لي بصراحة ما وردك اليومي من القرآن حين تغضب للقرآن؟ كيف تعظيمك لأحكام القرآن حين تدافع عن القرآن؟ وما مدى عنايتك بتعليم وتحفيظ أبنائك للقرآن؟ «**وخيركم من تعلم القرآن وعلمه**».

يا أيها الموسرون والمقتدرون وهل يدعوكم هجوم الأعداء على القرآن على البذل من أجل القرآن شجيعًا للحفظة، ودعمًا لحلق القرآن وجمعيات تحفيظه وتوزيعًا للمصحف لمن به حاجة إليه، وحين تشكر وزارة الشئون الإسلامية ممثلة في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ورابطة العالم الإسلامي ممثلة بلجنة الإعجاز للقرآن، وسواهما من الهيئات والمنظمات الإسلامية العالمية المعنية فهل يزاد من طباعة المصحف وتوزيعه إذ لا تزال الحاجة قائمة بالقرآن ولا يزال في المسلمين من يتعاقبون على المصحف الواحد؟

وهل يا ترى تزداد العناية بترجمة معاني القرآن بعدد من اللغات ليصل القرآن لكل راغب في البحث عن الحقيقة والوقوف على الجوهرة الثمينة؟ وهل من مشاريع أخرى لخدمة كتاب الله؟

وإذ نسمع بين الفتنة والأخرى عن مسابقات محلية أو عالمية في القرآن، وتحيي هذه البوادر الطيبة، فكم نتمنى أن ترحل هذه المسابقات للمسلمين في بلادهم ليتيسر لأكبر عدد من أبناء المسلمين الاستفادة من هذه المسابقات وكم هو طموح لو زيد في مدارس ومعاهد وكليات القرآن في مشرق العالم ومغربه، ليبلغ القرآن ما بلغ الليل والنهار.

أيها المسلمون مشاريع كثيرة يمكن أن يفكر بها المسلمون ويدعموها في سبيل تعليم القرآن، وحينها ينتشر الهدى، ويكون الشفاء بالقرآن، ويعم النور وتنور البصائر، وتعم البشائر، وتعلو الفضيلة، وتنساح الحكمة، ويرتبط الناس

بحبل الله، ويفرح المؤمنون بفضل الله وبرحمته وذلك خير مما يجمعون.. وحينها ينقلب السحر على الساحر، وينقلب المكروه إلى محبوب، ويعلم الأعداء إن للقرآن وزنًا عند المسلمين.. وأن التحدي والاستفزاز يدعوا المسلمين إلى مزيد الاستمساك بالقرآن وتعظيمه ونشره.

أيها المؤمنون على أن حادثة تمزيق المصحف في غوانتناموا تلفت نظر المسلمين إلى ما يلقاه إخوانهم المسلمون المعتقلون هناك من إهانة وتعذيب آن الأوان لأن تنتهي وينصر المسلمون إخوانهم المستضعفين هناك، فثمة تأوهات تذهب أوراح الرياح.. وثمة أنين وحنين لا يسمع في لج البحار.. وثمة ظلم تعفيه الأمواج كالجبال، ولكن الله يسمعه من فوق سبع سماوات.. أما آن للظلم أن يرفع وللمظلومين أن ينصروا.

لقد أفرج عن عدد من المعتقلين لاحتجاج هيئات، أو مدافعة محامين.. وبقي أعداد من المسلمين ينتظرون فرج السماء وشفاعة الأقرباء.. اللهم فارج الكربات نفس عن من سجن ظلمًا وعدوانًا.. اللهم آنس وحشتهم، وثبت قلوبهم على الحق، وأنزل عليهم السكينة والرحمة وأخرجهم من الظلم والظلمات سالمين غانمين..

اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك، وانصر أهل القرآن على من دنسوه، اللهم من أرادنا أو أراد إسلامنا بسوء فاشغله بنفسه واجعل كيده في نحره واجعل تدبيره تدميرًا عليه.

اللهم أعز الإسلام وانصر المسلمين.. ودمر أعداءك أعداء الدين واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين.



المبادرة[١]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره . . .

إخوة الإسلام: (المبادرة) لفظ جميل، ومعنى عظيم توحي بالجدية، وتشعر بالعزيمة، وتنبئ عن علو الهمة والمتأمل في كتاب الله وفي السنة النبوية يجد (المبادرة) أو ما يماثلها ويقاربها من الألفاظ (كالمسارعة والمسابقة) كثيرة، ولكن (المسارعة) في القرآن أكثر، و(المبادرة) في الحديث أكثر، أما (المسابقة) فقد وردت فيها على السواء[٢].

وأهل اللغة يقولون: المسارعة إلى الشيء المبادرة إليه[٣].

وقد تجتمع لفظة (المسارعة) و(المسابقة) في آية واحدة ويوصف بذلك أصحاب الإيمان والخشية كما في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١] فما الفرق هنا بين المسارعة والمسابقة؟

كما قال المفسرون: يسارعون أي يسابقون من سابقهم إليها، ومعنى: (سابقون) السبق إلى أوقاتها، وكل من تقدم في شيء فهو سابق إليه[٤].

أيها المسلمون المبادرة والمسارعة إلى الخيرات أمر دعى إليه القرآن، وحث عليه الإسلام قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [البقرة: ١٤٨]، ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران] وفي ذلك حث واستعجال على جميع الطاعات[٥].

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في ٢١/١/١٤٢٥هـ. (٢) نضرة النعيم (٨/ ٣٣٨٨).
(٣) «لسان العرب» (٨/ ١٥١). (٤) «تفسير القرطبي» (١٢/ ١٣٣).
(٥) السابق (٤/ ٢٠٣).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**بادروا بالأعمال**» «**والتؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة**» صححه الحاكم ووافقه الذهبي)[١].

فكيف حالنا مع المبادرة؟ وكيف كان حال أسلافنا؟ لماذا يعترينا الضعف أحيانًا في المبادرة؟ وما هي الأمور المعينة على المبادرة؟

لقد شهد تاريخنا المجيد ألوانًا من المبادرات الخيرة ودلل أسلافنا على أنهم أهل مبادرات ومسارعة إلى الخيرات.

وهذا محمد ﷺ صاحب المبادرات وإمام المسارعين للخيرات.. ومن يقرأ سيرته يقف على الكثير من المبادرات لم يتوقف عنها في العهد المكي مع شدة وطأة الكفار وألوان المطاردة والحصار.. وها هو يدعو الخلق إلى الإسلام وهو محصور في الشعب.. ويفتح الفرص لأصحابه للدعوة حتى ولو كان خارج إطار مكة.. والهجرتان إلى الحبشة نماذج عالية للمبادرة والدعوة أما ودعوته العرب ﷺ في المواسم.. ثم ذهابه إلى الطائف لدعوة ثقيف فكل ذلك أدلة واضحة على قيمة المبادرة في السيرة.

ثم كانت الهجرة للمدينة وما استتبعها من جهاد ودعوة مرحلة متميزة في المبادرات النبوية.

أجل لقد بادر وحيد اليهود معاهدات شرقوا بها حتى نقضوها.. وبادر إلى بعث البعوث التعليمية والدعوية في المدينة وما جاورها، ومهما نزل بالمسلمين من مصائب وابتلاءات لهذه البعوث والمعارك فقد أدت هذه المبادرات دورها وسار صيت الإسلام في أرض العرب كلها.. بل تجاوزت مبادرات الرسول ﷺ أرض العرب لتصل إلى أرض الروم وفارس يوم أن بعث ﷺ الرسل وكتب

---

(١) «نضرة النعيم» (٨/ ٣٣٩٤).

الكتب لملوك الأرض يدعوهم إلى الله ويشرح لهم الإسلام ولم ينس قريشًا إذ بادرها بالحديبية، وفتح مكة، ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

وفي فترة وجيزة من الزمن تغيرت الحياة في الجزيرة.. وبدأ العد التنازلي للأمم المسيطرة حينها.. ولم يمت رسول الله ﷺ حتى أرسل سرية (مؤتة) إلى أرض الروم.. وبلغت دعوته كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس وهرقل.. ومن يدين بدينهم أو نتبع لسلطانهم مهم كان صحابته رضوان الله عليهم من بعده (مسارعين ومبادرين) وكانت حركة الفتح الإسلامي وأعداد الداخلين في الإسلام شاهدًا حيًا على هذه المبادرة.

وهكذا استمر المسلمون بعدهم يدعون ويعلمون ويسيرون الجيوش حتى بلغ الإسلام شأنًا بعيدًا، ودخل العرب والعجم في دين الله أفواجًا.

إن المتأمل في مبادرات المسلمين يرى أنها لم تكن قصرًا على القادة بل شملت القاعدة، ولم تكن خاصة بالكبار بل شارك فيها الشباب، ولم يتخل الضعفاء المعزورون بل شاركوا الأقوياء.. وكان للمرأة نصيبها من المبادرة ولم تكن قصرًا على الرجال، وإن مجتمعًا يشارك جميع أفراده بالمبادرات الخيرة لمجتمع خليق بالتقدير والبقاء.. ودونكم هذه النماذج للمبادرات.

أ- فأبو بكر (صديق الأمة) وصاحب المبادرات في كل ميدان في الصدقة والجهاد، والصوم والصلاة، وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام، وباب الريان**، فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يدعى من تلك

الأبواب من ضرورة، وقال: هل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال: **نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر**»[١].

إنها مبادرة وطموح، وهمة عالية تدعو أبا بكر للتفكير في الإسهام في مجالات الخير كلها، وإنما تجتمع أعمال البر وأنواع المبادرات في عظائم الرجال كأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

٢- وفي صحيح البخاري (كذلك) قال النبي ﷺ: **من يحفر بئر رومة فله الجنة** فحفرها عثمان، وقال: من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزه عثمان[٢] أجل لقد ورد أن عثمان اشترى بئر رومة بخمسة وثلاثين ألف درهم فجعلها للمسلمين، وأن عثمان جهز المسلمين بثلاثمائة بعير وفي رواية أنه جاء بألف دينار في ثوبه فصبها في حجر النبي ﷺ حين جهز جيش العسرة حتى قال النبي ﷺ: «**ما على عثمان من عمل بعد اليوم. أو** «**ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم**»[٣].

لله درك يا عثمان وكذلك فلتكن المبادرات في خدمة الإسلام والمسلمين.

٣- على أن المبادرات لا ترتبط بالغنى والجاه، وليست قصرًا على الأكابر والمشهورين، بل يصنعها الشباب وإن كانت شهرتهم أقل من غيرهم.. ودونكم هذه المبادرة الطموحة.. فقد ثبت في الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: إني لواقف يوم بدر في الصف، فنظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما فتمنيت أن أكون بين أضلع منهما (أقوى) فغمزني أحدهما فقال يا عم أتعرف أبا جهل؟ فقلت: نعم، وما حاجتك

---

(١) «الصحيح» (ح٣٦٦٦)، «الفتح» (٧/ ١٩).

(٢) «الفتح» (٧/ ٥٢)

(٣) «الفتح» (٧/ ٤٠٨).

إليه؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال لي أيضًا مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل وهو يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكم الذي تسألان عنه، فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه.. الحديث[١].

تأملوا في همة هذين الشابين وطموحهما ونجاحهما في مبادرتهما، وإذا كانت تلك همة شباب هذا الجيل وغلمانهم فلا تسأل عن من فوقهم؟!

٤- ويكفيك أن تعلم من همم أصحاب الأعذار وأولي الضرر ما يكشف عن مبادرات القوم.. وهذا عمرو بن الجموح يصر إلى أن يطأ بعرجته الجنة فيستأذن الرسول ﷺ في الجهاد في (أحد) فيأذن له فيقاتل ثم يكون في عداد الشهداء وابن أم مكتوم الأعمى يصر على أن يحمل راية المسلمين غازيًا معهم ويقول: ادفعوا لي اللواء فإني أعمى لا أستطيع أن أفر وأقيموني بين الصفين[٢].

٥- وبقي أن تعلم من همم النساء ومبادراتهن أن منهن من أسلمت في ظروف المحنة والشدة بمكة، وثبتت على إسلامها، بل هاجرت إلى المدينة ولم يستطع أهلها أن يردوها كما صنعت أم كلثوم بنت عقبة بن معيط رضي الله عنها وفيها وأمثالها نزل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾[٣] [الممتحنة: ١٠].

ومنهن من تطلعت إلى الجهاد على ثبج البحر فاستشهدت حيث طلبت كأم حرام حين غزت مع زوجها عبادة بن الصامت رضي الله عنهما فصرعتها دابتها فدقت عنقها وذلك في غزوة قبرس زمن عثمان رضي الله عنه[٤] وكانت من قبل قالت

---

(١) «الفتح» (٧/ ٥٢).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٦٤).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٧٦).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣١٦)

لرسول الله ﷺ. . وهو يحدثها عن قوم يركبون البحر غزاة في سبيل الله - ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «**أنت من الأولين**» فكانت منهم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ﴾ [البقرة: ١٤٨].



الخطبة الثانية:

إخوة الإيمان: لا حصر لمبادرات المسلمين على امتداد تاريخهم حتى أصبحت هذه المبادرات سمة لهم ولأجيالهم وما عادت المبادرات في زمن أسلافنا مبادرات فردية بل كانت صفة لازمة للمجتمع والأمة، ولذا برز العلماء في شتى الفنون واشتهر عدد من قادة الجهاد ولمعت أسماء لا تحصى في الفتوح والثغور، وكثر العباد والزهاد، وانتشر المحتسبون والوعاظ، وكان المنفقون والمحسنون، ورحل الدعاة إلى كل صقع يحتاج إلى الدعوة والبيان، وكان عز الإسلام همًّا للصغير والكبير، والذكر والأنثى والأثير والمأثور.

إلى زماننا هذا ولا يزال في الأمة خير كثير، ورغم الحصار والتضييق فلا تزال المبادرات تترى، وكلما خيل للأعداء أنهم ضيقوا الخناق على الإسلام والمسلمين وإذا بخالقهم يجعل لهم من الضيق مخرجًا ومن المحن منحًا إلا أن ثمة نفرًا من المسلمين خيل لهم أن فرص الخير قلت وأن مساحة المبادرات قلت وخوفهم الشيطان من مكر الأعداء، وأوهمهم أن الجولة لغيرهم، والله يقول: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وآخرون من المسلمين ظنوا أنهم يكفيهم أن يعيشوا على مبادرات سلفت لغيرهم، ونسي هؤلاء أن الزمان يتجدد، وأن الجديد يعتق، وأن الدعوة تحتاج على الدوام إلى متابعة وتجديد، وأن المبادرات إلى الخيرات لم تتوقف في التاريخ ولا ينبغي أن تتوقف.

إن قيم الإسلام الأساسية، وأصوله الثابتة، لا مجالًا للمزايدة والتطوير.. ولكن الوسائل التي تبلغ بها هذه الثوابت قابلة للتجديد- حسب ما تقتضيه ظروف الزمان والمكان- وما لم يمس أصل من أصول الإسلام فالتحدي قائم

في تطوير الأداء.. وتجديد ما أعتق من الوسائل، وإذا كنا نرفض منهج الذين يزعمون الإصلاح ويرون أن كل شيء قابل للتجديد- حتى وإن خالف نصوص الوحيين- فنحن كذلك نرفض منهج الجمود على القديم حتى وإن كان تحديثًا في الوسائل وتطويرًا في الأداء، ومسايرة للواقع بما لا يعارض ثابتًا في الدين أو نصًا من نصوص الشريعة.

إن الجمود وعدم فقه الواقع معوق عن المبادرات التي تحتاجها الأمة وأن معرفة الواقع وفقهه سبيل معين على المبادرات الخيرة وأن الجهل بتاريخ الأمم وتجاربهم معوق عن التجديد والمبادرة.

ومعرفة هذه التجارب وتقويمها والإفادة من الصالح منها سبيل ومعين على المبادرات النافعة..

إن من يستقرأ تاريخ المسلمين- في عصور العزة والتمكين- يرى أن هؤلاء تمكنوا من الإفادة من تجارب من سبقهم، لكنهم احتفظوا بأصالتهم وعزتهم، فاستفادوا من النظم، ولم يخضعوا أو يذلوا أو يضعفوا أمام أصحاب هذه النظم إلا حينما ضعفت الأمة ووقع الخلل في رجالها.

واليوم يعيش المسلمون مأزقًا صعبًا، حيث يريد لهم أعداؤهم أن يصلحوا أوضاعهم لكن على منهج لا يستقيم مع إسلامهم.. ويراد لهم أن يتحضروا ولكن الثمن فقد هويتهم، ويراد لهم أن يغيروا نمط حياتهم ولكن البديل نمط وسلوكيات أعدائهم.. أنه تحدٍ لا بد أن ندرك مخاطرة وهو يسير باتجاه العولمة الغازية.. ويهيء السبيل لاستعمار العقول والأفكار بعد استعمار البلاد ونهب الثروات..

ليس يهم أن يفرض الإصلاح من الخارج أو من الداخل، ولكن المهم هو مدى قرب هذا الإصلاح أو بعده من شريعة الإسلام وليس يعنينا أن يتم التغيير

في حياتنا على يد (جورج) أو بإسم (عبد الله ومحمد) ولكن الذي يعنينا ألا تستهدف القيم بالتغيير.. وألا يتعرض للثوابت بالنقض والإبرام وأن يصير المنكر معروفًا، والباطل حقًا.. فذلك فهم منكوس للإصلاح..

إن رياحًا عاتية تهب على منطقتنا.. بل وعلى عالمنا الإسلامي ولم يعد خافيًا أن ثمة مخططات تطبخ في دهاليز الغرب ويراد لها أن تطبق على دولنا ومجتمعاتنا.. بل عادت قضايانا مجالًا لمزايدة الناخبين في الغرب، ولم يخف الساسة هناك تعاطفهم مع الصهاينة اليهود لأن هذا التعاطف مؤثر على أصوات الناخبين، وسواء كان المرشح يهوديًا صرفًا أو متهودًا.

وبإزاء هذه الأوضاع المتردية والتحالفات المريبة، والمخططات الظاهرة والخفية على المسلمين أن يدركوا حجم الخطر وأن يستعدوا لهذه النوازل، وأن يتعاونوا على البر والتقوى وأن يتشاوروا في أمرهم، وألا تكون الشقة بين الحاكم والمحكوم والعالم والعاصي، وأن يحذروا من يعيشون بين أظهرهم وهواهم مع أسيادهم، وإذا كان الهجوم على المسلمين كاسحًا.. فنصيب أهل السنة منه كبيرًا.. وقد أحاطت بهم المخاطر من كل صوب، وهم مستهدفون من أكثر من عدو.. وعليهم أن يستعينوا بالله وحده فهو فارج الكربات.. وعليهم أن يراجعوا أنفسهم، فما أصابهم من مصيبة فبما كسبت أيديهم.. وعليهم أن يركنوا إلى الله فهو ركن شديد وأن يبادروا بالأعمال الصالحة، وأن يفكروا على الدوام بالمبادرات النافعة فالماء يئس إذا ركد، والقافلة تسير، وعالم اليوم يقدر الأقوياء ويسحق الضعفاء، وإذا كان الإسلام قويًا في نظمه وتشريعاته فعلى المسلمين أن يكون على مستوى إسلامهم، وألا يهنوا ويحزنوا وهم الأعلون إن كانوا مؤمنين.

نعم نحن أمة لا ترفض الاستفادة من تجارب وحضارة الأمم الأخرى،

ولكنها تأبى على الذوبان والتأثر، وكلما كانت الأمة قوية كلما كانت كذلك، وأمامنا في التاريخ تجربتان حريتان بالتأمل والدراسة، كانت الأولى في زمن النبوة والخلافة الراشدة، حيث حفر الخندق، ودونت الدواوين، وبقيت الأمة محافظة على سمتها متميزة في منهجها، مستفيدة من تجارب غيرها.

ثم كانت التجربة الثانية في زمن المأمون العباسي حيث حركة الترجمة ونقل علوم الآخرين.. وحين لم تكن الأمة على مستوى التحدي ولكن التجربة هذه المرة أصابت الأمة بلوثات فكرية وانحرافات سلوكية حيث بزغ فجر الكلام، ونجم التشيع والاعتزال، واتسع نطاق أهل الأهواء، ونشأ للناس -كما يقول الذهبي- علم جديد فرد مهلك لا يلائم علم النبوة ولا يوافق توحيد المؤمنين، وكانت الأمة في عافية منه.. وامتحن الناس على دينهم[1].



(١) «تذكرة الحفاظ» (١/ ٣٢٨).

عالمية الإسلام وواقع المسلمين ومستقبلهم[(١)]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره . . .

إخوة الإسلام: الإسلام الذي تدينون الله به وتتشرفون بالانتساب إليه، دين عالمي، رضيه الله للناس كافة، وختم به رسالات السماء، ولا يقبل الله من أحد دينًا سواه ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣] ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ابتدأت عالمية الإسلام مبكرة في زمن نبوة محمد ﷺ فقد أنزل الله عليه قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨] وهو محاصر مطارد في شعاب مكة، لم يستطع حينها من إقناع قومه (القرشيين) بالإسلام فضلًا أن يطلب من غيرهم الإيمان والإسلام.

لكنها رسالة الإسلام هكذا ينبغي أن تكون، وكذلك ينبغي أن يستشعرها ويحملها المسلمون، فإن قصروا أو ضعفوا عن البلاغ والمجاهدة في وقت فلا ينبغي أن ينسوا طبيعة هذا الدين، وضرورة إبلاغه للعالمين، أينما مكنتهم الظروف.

أجل لقد فهم محمد رسول الله والذين آمنوا معه طبيعة هذا النداء الرباني العالمي وشعروا بواجبهم تجاه العالم الآخر ولئن كابروا وتجاهل قومهم قيمة هذا الدين وحاربوا المؤمنين وآذوهم، فينبغي أن يحمل الدين إلى أرض أخرى وإلى قوم آخرين قد يكونون أكثر عدلًا وأحسن استجابة لنداء الفطرة الإلهية،

(١) ألقيت هذه الخطبة في ٢٨/٧/١٤٢٦ هـ.

وكانت الهجرة للحبشة -في زمن النبوة- نموذجًا للعالمية في دين الإسلام. وإلا ففرق بين الوطن الحبيب مكة، وأرض النعضاء البعداء- الحبشة- كما تصفها إحدى المهاجرات.

وفرقة بين العرب والأحباش ثم كانت الهجرة للمدينة وكان الأوس والخزرج -وهم من أصول يمانية- أقرب للمسلمين المهاجرين من إخوانهم وعشيرتهم القرشيين وتشكل في المدينة رباط إيماني تجاوز العشيرة والقبيلة والأرض والوطن إلى أجواء العقيدة الحقة وقضاء الإخوة الإسلامية والأرض والوطن إلى أجواء العقيدة الحقة وفضاء الإخوة الإسلامية، وجاء الثناء عليه من فوق سبع سماوات ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾(1) [المجادلة: ٢٢] ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وكانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار حدثًا جديدًا لم يشهد له التاريخ مثيلًا في زمن الحروب الطاحنة والنعرات القبيلة والخصومات الجاهلية السائدة، وضيق العطن في التقوقع ضمن دائرة ضيق غاوية يعبر عنها الشاعر حينها بالقول:

وهل أن إلا من غرية إن غوت ... غويت وإن ترشد غزية أرشد

وفي المدينة تشكل مجتمع جديد تقوم علاقاته وتتوطد أواصره على الإيمان به وتنحصر محددات الكرامة فيه على (التقوى) ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

(١) أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ.

[الحجرات: ١٣] مع بقاء «**خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا**».

واختلط العربي بالفارسي والرومي بالحبشي وتعايش الأسود مع الأبيض واختلط الغني بالفقير، وقدموا للإنسانية جمعاء نموذجًا تعجز كبرى الحضارات السالفة واللاحقة عن تحقيقه، وتقف أكبر القوى البوليسية والنازية والقمعية عن تطويق؟

وصنعه الإسلام العظيم، وأشاد به القرآن الكريم وإنما المؤمنون أخوة، والمتتبع لأحداث السيرة النبوية يرى هذه العالمية في نقل رسالة الإسلام هدفًا للنبي المختار عليه الصلاة والسلام، وهاجًا لأتباعه المؤمنين من بعده..

أما النبي ﷺ فقد حرص على هداية قومه ودعوتهم حتى آخر لحظة، وكتب الله لبعضهم الهداية والرشد، ومات على الضلالة والكفر من أراد الله الشقوة والنكد، وربك أعلم وأحكم ولا يظلم أحدًا.

وحين حيد رسول الله ﷺ قريشًا وحلفاءها بمعاهدة (الحديبية) وأدب اليهود المناوئين في (خيبر) وكسر شوكتهم، توجه بعد ذلك بخطة راشدة وتخطيط سليم للدعوة العالمية مخاطبًا الرؤساء والملوك والأمراء، وبعث رسله، وكتب رسائله يبشر بالإسلام ويدعو للدين الحق، ويقول للسادة والكبراء (أسلموا تسلموا) ومهما كان نوع استجابة هؤلاء المدعوين، فقد حصل البلاغ، وأوحي لهؤلاء المدعوين بأن قوة في الأفق تلوح، وأن دينًا في الكون جديد يبشر بالخير، ويدعوا للحق، وأن جيلًا صالحًا ينشر العدل ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر قد ظهر.

ولم يمت محمد ﷺ إلا وقد دانت العرب بالإسلام واستجابت أطراف الجزيرة لنداء الإسلام، ووصلت خيل المسلمين إلى مملكة الروم ثم أتم الصحابة الأخيار ما بدأه حبيبهم وقدوتهم، فكانت حركة الفتح الإسلامي إيذانًا

بانتشار الإسلام وتحطيم دول قامت على الكفر والظلم والاستبداد.

وكانت العولمة أو العالمية (كما جاءت في المصطلح الإسلامي) هاجسًا ثم واقعًا مارسه مسلمون واثقون بدينهم، ملتزمون بقيمه حتى نجحوا في اختراق آفاق آسيا، وأفريقيا، والإمبراطورية الرومانية، والفارسية حتى يموت المجاهدون على أسوار القسطنطينية، أو يغرق في بحار الفرس، أو يستشهد في ما وراء النهر.. أو يقف على عتبات البحر ليقول: «والله لو أعلم وراء هذا البحر قومًا نبلغهم الدعوة للإسلام لامتطيت خيلي مجاهدًا إليهم».

الله أكبر كم في هذه المجاهدة الراشدة من همم تموت لها أنفس الضعفاء.. ولا تنام لعزها أعين الجبناء؟

واليوم ما زاد هي المسلمون وكيف حال العالم الإسلامي؟

تقهقر وتبعية وذل وهوان، تغري أرضهم وتستعمر بلادهم وتنهب ثرواتهم، والهدف الأكبر سحق هويتهم، واستئصال إسلامهم، إنها عولمة منكوسة، وعالمية مرفوضة تلك التي تمارسها القوى الكبرى المعاصرة، وتريد بها غزو المسلمين، وفرض القيم والمبادئ الغربية المنحرفة، فهل يصح أن يستسلم المسلمون لهذا الغزو، وأن يكونوا مائدة لهذه العولمة الظالمة؟

فهل تليق أن يتخوف المسلمون من العولمة أم يمارسونها ويحققون عالمية الإسلام من خلالها؟

إن نزعة الهروب للداخل نزعة الجهلاء والجبناء، وهل يستطيع الهروب من تحاصره رياح العولمة العاتية أينما كان؟ إن ثمن الهروب أكبر من ثمن المواجهة.. والمواجهة ليست بالضرورة أن تكون بقوة السلاح، فقوة المبادئ والثقة بالنفس، والشعور بإفلاس الحضارات المادية في القيم والمبادئ، والتخلص من عقدة النقص والتجاوز لداء الإحباط، والدثر بالفأل المصحوب

بالعمل والإنتاج كل ذلك سلاح مهم في المعركة المحتدمة اليوم.

على المسلمين اليوم أن ينازلوا عدوهم بما يستطيعون من عدة، وألا يستسلموا للصيحات المخزلة والمرجفة..

فالعدو يشعر بقوة الإسلام، ويتخوف من اجتماع المسلمين بل بات الذين خططوا للعولمة وبشروا بها يتخوفون من آثارها عليهم، وبات الذين يسيرون حركة التاريخ ونهضة الشعوب يتخوفون من استثمار العولمة للمسلمين للتبشير بدينهم وترحيل ثقافتهم للآخرين.. وهؤلاء الغرب يدركون أن الثقافة الإسلامية قابلة للانتشار والقبول، وأن الحضارة الإسلامية مؤهلة للقيادة والريادة.

ومن هنا بدأت أصوات في الغرب تنادي بتخفيف الحماس للعولمة، بل وبعضها يصرح بـ(خيبات العولمة) وثمة محاولات جادة يقوم بها اليوم بعض أنصار العولمة لكبح جماحها وإغلاق الطريق على من يحاولون الاستفادة منها لقد باتوا يصرحون أن من الأسلم لنا أن نغلق الأبواب على هذا العالم ليبقى العالم الإسلامي في محيطه الضيق، بدل أن يتعمق في أرضنا ويهزم حضارتنا، ويسرق أضواء العولمة لصالحه؟ إنها أصوات لها ما يبررها، في دنيا الواقع.. فهل يقدر المسلمون حجتهم، وهل يدركون ما أدركه الآخرون من فاعلية حضارتهم وتأثير دينهم والقبول بمبادئهم.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:].

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

❀ ❀ ❀

الخطبة الثانية:

إخوة الإيمان كيف نشعر بالعالمية ونستثمر العولمة وبعضنا لا يتجاوز في تفكيره ومشاعره حدود نفسه أو عشيرته.. بينما تمر أمتنا بالكرم ويمارس بحق إخواننا المسلمين الجرائم والموبقات العظام؟ إن النصرة للمظلوم حق مشروع في ديننا، وهو في لغة السياسة أسلوب من أساليب الدفاع عنا، وعدونا إذا نجح في احتلال أرض إخواننا وجيراننا فلن يتوقف مده الظالم عنا.

إن أي أمة تنطوي على نفسها وتخاف أعداءها، وتنكمش على نفسها، يأكلها خصومها، ويعتبرونها مادة خامًا وطعمًا رخيصًا وذلك ما حذر عنه المصطفى ﷺ بتداعي الأمم على أمة الإسلام كما تداعى الأكلة على قصعتها.

إن أي أمة مهما كانت حضارتها لا ترضى أن تكون (المائدة الرخيصة) للآخرين.. وأمة الإسلام بقيمها وحضارتها أشرف وأكرم وأعز وأقوى أن تكون (قصعة) يتنافسون الطامعون في أكلها.. وكأنها ثروة من ثرواتهم المستخرجة من أرضهم.. أو نصيبًا لأيتام يتنادى لسرقتها اللئام؟

وكيف نتطلع إلى عولمة أو عالمية نفتح بها قلوب وبلاد قوم آخرين -وفينا- معاشر المسلمين- من تقف سلوكياته المنحرفة وأخلاقه الرديئة سدًا في اقتناع غير المسلمين بالإسلام.

كيف نتطلع إلى نقل العالمية في الدعوة للآخرين وفنيا معاشر المسلمين من قصر في دعوة أهله وعشيرته الأقربين؟ أو أبنائه وطلابه الدارسين؟

كيف نتطلع للعالمية في دعوة الآخرين وفينا معاشر المسلمين سماعون للقوم الكافرين؟

كيف وفينا من لو خرج معنا ما زادنا خروجه إلا خبالًا وأورثونا فتنة وبلاء؟

كيف نمسح غبار الهزيمة ونتخلص من عار التبعية وفينا من يتكلمون بألسنتنا ويعيشون بيننا وقلوبهم مع غيرنا؟

كيف نحمي بلادنا ونمنع العدوان يحوس أوطاننا.. وفينا من يدلهم على العورات ويرشدهم إلى المعابر وأقرب الطرقات؟

إنها أدواء وأمرض لا نبد أن نتعافى منها، ونعالج من مرض أو ابتلي بشيء منها.

أيها المسلمون ولم يعد سرًا من الأسرار أن الذين حاصروا المسلمين وغزو بلادهم وحاولوا بالقوة فرض وجودهم.. هم اليوم يعيشون في مآزق، وتلاحقهم التهم، وتزعجهم الاستنكارات الرافضة لسياستهم.. ويودون لو خرجوا من الأزمة بسلام يحمي سوآتهم ويعيد الثقة بهم.. كيف لا وهم في كل يوم يواجهون مشكلة.. ويسمعون أو يرون لافتات تندد بسيادتهم ومؤشرًا لاقتصاد بدأ يتحول للأسوأ نتيجة الإنفاق الكبير للحرب المدمرة والكتاب الغربيون يفصحون عن وضع متدن في الاقتصاد، ويكتب أحدهم مقالًا بعنوان (لا أمل ولا عمل) في جريدة نيويورك تايمز) ويقول إن أمريكا تمر بأطول زمن تراجع اقتصادي[١]. وتشير لغة الأرقام أن تكلفة الجندي الأمريكي خارج أمريكا تكلف ربع مليون دولار في العام تقريبًا[٢].

وثمة مبشرات للعالم الإسلامي توحي ببغضه ووعيه وتمهله من غطرسة المستعمرين، وتلك سيكون لها شأنها في المستقبل إن شاء الله فالحصار المادي لا يعني حصار القيم، والهزيمة العسكرية لفترة من الفترات لا تعني دوام النصر للمعتدين.

(١) «ملامح المستقبل» الأحمري (٢٧٦).

(٢) السابق (٢٧٧).

فالمسلمون الذين أصيبوا في (أحد) وجدوا أنفسهم محاصرين وراء خندق ضيق ولكن الحصار المكاني لم يحاصر الفكرة، ولم يمت روح المقاومة، وفي غضون سنة قلب الحصار وانتقل المسلمون (بقيادة محمد ﷺ) من الدفاع إلى الهجوم وعاد خصومهم الظالمون في دائرة الحصار وبين خيارات أحلاها فرٌّ، فإما أن يسمحوا للمسلمين بدخول مكة.. وإما أن يعقدوا معهم معاهدة يعترفون بقوتهم ويوقعون على عدم الهجوم عليهم.

أيها المسلمون وفي مسلسل المبشرات للمسلمين أن لغة الإحصاءات تشير إلى زيادة في عدد المسلمين وانقراض في نسب أعدائهم..

واليوم يتحدث أحد أساتذة (اكسفورد) عن الوجود المتزايد للمسلمين في أوربا، وعن المسلمين المغاربة في أسبانيا، والجزائريين في فرنسا، والأتراك في ألمانيا والباكستانيين في بريطانيا ويقول: يكفي أنني اشتريت جريدة من بائع مسلم وملابس من مغسلة لمسلم، وأحضرت علاجي من صيدلية مسلم. كل هذا في شمال أوكسفورد[1].

ومن هنا فلا يستغرب أن شرق قادة الغرب بالمسلمين.. وهاجموا وأغلقوا مراكزهم وأماكن عبادتهم.. ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره.

إن على المسلمين أن يثقوا بربهم في النصرة والتمكين.. وعليهم قبل ذلك أن يصلحوا حالهم ويغيروا ما بأنفسهم، ويجمعوا كلمتهم وبالمعتقد الصحيح، وبالعلم الراشد والعمل الرشيد يتحقق للمسلمين ما وعدوا به.

ومن الضعف أن يتعلقوا بمبتدعات لا أصل لها في الدين، ويقيموا احتفالات لم يأذن بها الشرع.. كمن يقيمون الاحتفالات في السابع والعشرين من شهر

(١) «ملامح المستقبل» الأحمري (١٩٠).

رجب ظنًا منهم أن ذلك زمن الإسراء والمعراج.. ولم يثبت من ذلك شيء.. والأمة اليوم أحوج ما تكون إلى تصحيح المسار.. والتجاوز عن أمور شكلية إلى أمور جوهرية في الدين.. يبدأ العولمة بإصلاح نفسه- وفق تعاليم الإسلام الحقة- ثم يدعوا غيره للهدى والرشاد.. ولن يمكن المسلمون في الأرض حتى يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.. ولله عاقبة الأمور.. اللهم أصلح أحوال المسلمين..



فتنة السيف
الفتنة والمخرج[(١)]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أيها المسلمون: خلق الإنسان في كبد، وما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة حتى يسير على الأرض وما عليه خطيئة -أين هو صبر واحتسب، وجاهد واجتهد.

وعلى الدوام تحيط بالمسلم فتنة السراء ليمتحن على الشكر، وفتنة الضراء ليمحن على الصبر ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٥].

والسعيد -في خبر الذي لا ينطق عن الهوى- من جنب الفتن، فقد روى أبو داود بإسناد صحيح- عن المقداد بن الأسود ﷺ قال: «أيم الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: **إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، ولمن ابتلي فصبر فواهًا**»[(٢)].

وثمة أمران يكرههما ابن آدم وفيهما خير له، قال عنهما ﷺ: «**اثنان يكرههما ابن آدم الموت، والموت خير للمؤمن من الفتنة، ويكره قلة المال، وقلة المال أقل للحساب**»[(٣)].

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في ١١/ ٣/ ١٤٢٥هـ.

(٢) «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ١٠٨)، و«نضرة النعيم» (١١/ ٥٢٠٥).

(٣) رواه أحمد والبغوي في «شرح السنة» وذكره الألباني في «الصحيحين» (٢/ ٤٧١، ٨١٣)، السابق (٥١٩٥).

إن من يتأمل في كتاب أو يقرأ في تاريخ الشعوب والأمم، يرى كيف تعرض الفتن، وكيف يفتن الناس بأنواع البلايا، ففتنة بالعذاب، وأخرى بالأموال والأولاد، وثالثة بالجوع والخوف ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، ورابعة بالامتثال، وخامسة بالشبهات أو بالشهوات، وسادسة وسابعة بالغلو أو بالجفاء، وثامنة وتاسعة بالصدود والضلالة، أو التسليط والقهر والإبادة، وهكذا تكون الفتن ويبتلى الناس، ويعرف حينها الصادق من الكاذب والذين يصبرون ومن يجزعون ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ١٠].

بل لقد أخبر النبي ﷺ عن كثرة الفتن حتى قال: «**لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتنة فاعدوا للبلاء صبرًا**»(١).

عباد الله: ومن البلايا والفتن التي امتحن بها المسلمون قديمًا ولا يزالون فتنة الاقتتال بين المسلمين، أو فتنة (السيف) وتلك التي حذر منها المصطفى ﷺ فقال: «**إذا التقى المسلمان بسفيهما فالقاتل والمقتول في النار**»(٢).

وعند البخاري ومسلم والترمذي من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من حمل علينا السلاح فليس منا**»(٣).

---

(١) رواه ابن ماجه بسند صحيح (انظر: «نضرة النعيم» (١١/ ٥١٩٧).

(٢) متفق عليه: «جامع الأصول» (١٠/ ٦٥).

(٣) انظر: «جامع الأصول» (١٠/ ٦٥).

ولقد توقف العلماء عند هذه الفتن وحذروا منها غاية التحذير وأبانوا عن آثارها المرة ونتائجها السلبية على الإسلام والمسلمين، من أمثال وقعة الحرة، وفتنة ابن الأشعث التي قال عنها ابن كثير رحمه الله: «ولهذا لما كانت هذه زلة وفلتة نشأ بسببها شر كبير، هلك فيه خلق كثير، فإنا لله وإنا إليه راجعون»(١).

وتوقف الحافظ ابن حجر رحمه الله مشيرًا إلى مذهب السلف الذي استفزوا عليه بعدما حدث من الفتن والاقتتال مؤكدًا على عدم الخروج على الأئمة- وإن كانوا أئمة جور فقال: وقولهم كان يرى السيف، يعني كان يرى الخروج بالسيف على أئمة الجور، وهذا مذهب للسلف قديم، لكن استقر الأمر على ترك ذلك لما رأوه قد أفضى إلى أشد منه، ففي وقعة الحرة ووقعة ابن الأشعث وغيرهما غطة لمن تدبر بمثل هذا الرأي..»(٢).

أما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ويكشف الحقيقة أكثر، ويفصل ويحذر من أسباب الفتن ويعزوها إلى أطراف ثلاثة:

١- فئة مذنبة.

٢- وأخرى ساكتة عن أمرهم ونهيهم.

٣- وثالثة منكرة لكن إنكارًا منهيًا عنه.

ويقول من تدبر الفتن الواقعة رأس سببها ذلك وهذا نص كلامه رحمه الله فتأملوه، بقوله: وإذا كان الكفر والفسوق والعصيان سبب الشر والعدوان، فقد يذنب الرجل أو الطائفة، ويسكت آخرون عن الأمر والنهي فيكون ذلك من ذنوبهم، وينكر عليهم آخرون إنكارًا منهيًا عنه فيكون ذلك من ذنوبهم فيحصل التفرق

(١) «البداية والنهاية» (٩/ ٥٩) سنة: ٨٤هـ.

(٢) «تهذيب التهذيب» (٢/ ٢٨٨).

والاختلاف والشر، وهذا من أعظم الفتن والشرور قديمًا وحديثًا إذ الإنسان ظلوم جهول، والظلم والجهل أنواع، فيكون ظلم الأول وجهله من نوع (يعني ارتكاب الذنب)، وظلم كل من الثاني والثالث وجهلهما من نوع آخر وآخر (يعني: السكوت عن الإنكار، أو الإنكار المنهي عنه) إلى أن قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن تدبر الفتن الواقعة رأى سببها ذلك، ورأى أن ما وقع بين أمراء الأمة وعلمائها ومن دخل في ذلك من ملوكها ومشايخها ومن تبعهم من العامة من الفتن هذا أصلها[١].

أيها المسلمون: إذًا علينا أن نحذر الفتن، وأن نحذر منها، وألا نسارع فيها، بل نفر منها وتلك أحد المخارج من الفتن، وطريق من طرق النجاة وإلى هذا أرشد المصطفى ﷺ وأشهد الأمة على البلاغ فقال: «**إنها ستكون فتن، ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي فيها، والماشي فيها خير من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه**، قال: فقال رجل: يا رسول الله أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: **يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر، ثم لينج إن استطاع النجاء، اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟** قال: فقال رجل: يا رسول الله أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين أو إحدى الفئتين فضربني رجل بسيفه، أو يجيء سهم فيقتلني قال: **يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار**»[٢].

ولقد فهم السلف هذه النصوص وحذروا من حمل السلاح في الفتن، وقال

---

(١) «الفتاوى» (٢٨/ ١٤٢، ١٤٣).

(٢) رواه مسلم وأبو داود - واللفظ لمسلم (٢٨٨٧) واللفظ لأبي داود برقم (٤/ ٤٢٥٦).

يزيد بن صهيب (الفقير) وهو أحد التابعين[١]: «من تقلد سيفه في هذه الفتن لم يزل الله ساخطًا عليه حتى يضعه عنه»[٢].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة الأنفال: ٢٥].

الخطبة الثانية:

أخوة الإسلام وإذا كان الفرار من الفتن أحد المخارج من الفتن فالمخرج الثاني هو الدعاء والتعوذ من الفتن، فقد روى مسلم وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول: قولوا: **اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**»[٣].

وإذا كان المسلم يردد هذا الدعاء كل يوم في الصلاة فهل يستشعر معناه وهو يردده؟ ومخرج ثالث من الفتن يتمثل في صدق المبادرة لعمل الصالحات والإكثار من الخيرات فهذا مندوب له المسلم في كل حين ﴿فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]. ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

ولكن الندب إلى ذلك في أوقات الفتن أشد وأكد، وهذا الحبيب المصطفى ﷺ يدعونا إلى ذلك ويقول: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا**»[٤].

---

(١) «التهذيب» (١١/ ٣٣٨).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥/ ٢٥).

(٣) مسلم (٢/ ٥٩٠)، «نضرة النعيم» (١١/ ٥١٩٩).

(٤) رواه مسلم (١١٨).

ويرشدنا إلى فضل العبادة في الفتن حيث يقول: «**العبادة في الهرج كهجرة إلي**» إن الاشتغال بالعبادة فوق ما فيه من تحصيل الأجر والمغنم، فهو صارف عن الاشتغال بالقيل والقال وإضاعة الأوقات تلك التي تزيد من الفتن وتوسع دائرتها.

وقد قيل: «في الفتنة يتبين من يعبد الله ممن يعبد الشيطان»(١).

أخوة الإيمان: ومع الدعوة والعبادة والإكثار منها والانشغال بها، فكلنا ندعو للتوبة والاستغفار والتوبة ليست محرجًا من الأزمات والفتن فحسب، بل وطريق للسعادة والفلاح: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة النور: ٣١]. ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [سورة التوبة: ١٢٦]. وعند هذه الآية ساق ابن كثير الحديث عن أنس: «لا يزداد الأمر إلا شدة، لا يزداد إلا شحًا، وما من عام إلا والذي بعده شر منه، سمعه من نبيكم ﷺ»(٢).

وقال السعدي: وفي هذه الآيات دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، وإنه ينبغي للمؤمن أن يتفقد إيمانه ويتعاهده فيجدده وينميه ليكون دائمًا في صعود(٣).

كيف نسهم في دفع الفتن؟

إذا كانت آثار الفتن تعم ولا تخص ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [سورة الأنفال: ٢٥].

فدفع الفتن مسئوليتنا جميعًا، ويمكن أن نسهم في دفعها بالوسائل التالية:

---

(١) «السنن الواردة في الفتن وغوائلها» (١/ ٢٣٥)، عن «نضرة النعيم» (١١/ ٥٢١٧).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٧٦)، والحديث عند ابن ماجه في الفتن.

(٣) «تفسير كلام المنان» (٣/ ٣١٧).

١- تعليم العلم النافع ونشره، فالعلم مبصر للناس ومانع لهم من الفتن بإذن الله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [سورة فاطر: ٢٨].

٢- التحذير من الفتن وآثارها وويلاتها، والنصح لإخواننا المسلمين على المستويات كافة: «الدين النصيحة قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

٣- الاستمرار في مشاريع الدعوة الاحتساب، فبنشر الدعوة ينتشر الخير، وينشغل الناس بالنافع المفيد، وتصح القلوب، وتقمع الشرور والفتن، وبالحسبة يحاصر المبطلون وتنطفئ المنكرات، ويشيع المعروف، وتخفف آثار الفتن.

٤- عدم التعجل في الفتن (قولًا وعملًا) استرشادًا بهدي النبي ﷺ إذ يقول: **«ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشيء فيها خير من الساعي ومن يشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجأ أو معاذًا فليعذ به»**(١).

٥- الإسهام في الإصلاح حيث يقع شيء من الفتن، وتقريب وجهات النظر، وردم هوّه الخلاف، فالخلاف شر، والله يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الحجرات: ١٠]، ويقول: «**لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس**».

٦- التنبه للمتربصين والتفطن لمن يسعون بالفتنة أو يحاولون استغلال أجوائها لبث شرورهم وباطلهم، فذلك مطلب حتى لا تتسع الفتنة وتعم البلبلة.

---

(١) «تفسير كلام المنان» (٣/ ٣١٧).

٧- تبصير الناس بأحاديث الفتن والموقف المشروع منها، وعدم التعجل في تطبيق بعض الأحاديث العامة في الفتن، وتنزيلها على أحداث خاصة -دون علم.

٨- التأكيد على أهمية الوحدة والائتلاف وبيان النصوص الشرعية في ذلك، حتى ولو أدى إلى أن يتنازل المرء في سبيل ذلك عن بعض ما يحب -ما لم يكن حرامًا- في سبيل توحيد كلمة المسلمين ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢]. والخلاف شر، والشيطان يئس أن يعبد في أرضكم ورضي بالتحريش بينكم «**ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**».

٩- دعوة الناس إلى كثرة العبادة، وتذكيرهم بقيمة التوبة، فما وقع بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦].

١٠- المشورة بين العلماء وطلبة العلم والدعاة لدفع الفتن، والنصح للولاة لتجنيب البلاد والعباد آثار الفتن وويلاتها، فالمسلمون أمرهم شورى بينهم، والدين النصيحة، ولا بد من رفض إعجاب كل ذي رأي برأيه، ولا بد من اتهام النفس وتوطينها لقول الحق وقبوله ممن جاء به.

١١- وعماد ذلك وأساس المخرج من الفتن تحقيق التقوى، والتواصي بالصبر ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣].

﴿ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

السماحة(١)

الخطبة الأولى:

الحمد لله أوحى بتقواه وحسن عبادته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، شهد له ربه وزكاه بحسن الخلق فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وأمره وأدبه فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

إخوة الإسلام السماحة والسهولة والتيسير والجود والسخاء وكرم النفس معان كريمة متقاربة، وهي خلق من أخلاق الإسلام الفاضلة، دعى إليها وندب لفعلها، ومارسها المسلمون في حياتهم، فحققوا السعادة لأنفسهم، وأقنعوا الآخرين بالدخول في دينهم.

عباد الله ما أحوجنا للحديث عن السماحة في زمن التلكع والمراوغة والنصب والاحتيال والفجور في الخصومة وأكل أموال الناس بالباطل، وشدة اللجاج وكثرة الخصام، والمنازعة والضغينة لأتفه الأسباب.

قالوا عن السماحة إنها بذل ما لا يجب تفضلًا، وقالوا: إنها الجود عن كرم وسخاء وقالوا إنها تيسير في المعاملة، وملاينة في المحادثة، ومفاهمه جميلة، وصفح وتجاوز، وإغضاء عن الهفوات والزلات، إنها طلاقة في الوجه، واستقبال للناس بالبشر، وحسن مصاحبة للأهل والإخوان والخدم وسائر الخلق(٢).

أيها المسلمون والمتأمل في القرآن الكريم يجد عددًا من آياته تدعو للسماحة

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في ١/ ٨/ ١٤٢٧هـ.

(٢) «نضرة النعيم» (٦/ ٢٢٨٧/ ٢٢٨٨) بتصرف.

والعفو والصفح فهو أقرب للتقوى ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧] وهو فضل ينبغي ألا ينس ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

بل هي دعوة للتعامل مع غير المسلمين وإن أساءوا ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩]. ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الجاثية: ١٤، ١٥].

وفي الآية كما قال أهل التفسير أمر لعباده المؤمنين بحسن الخلق والصبر على أذية المشركين به، الذين لا يرجون أيام الله أي لا يرجون ثوابه، ولا يخافون وقائعه في العاصين، فإنه تعالى سيجزي كل قوم بما كانوا يكسبون(١).

أيها المؤمنون ديننا دين السماحة وهو أحب الأديان إلى الله، قيل لرسول الله ﷺ أي الأديان أحب إلى الله؟ قال: «**الحنيفية السمحة**»(٢).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله قوله: أحب الدين، أي خصال الدين؛ لأن خصال الدين كلها محبوبة، لكن ما كان منها سمحًا -أي سهلًا- فهو أحب إلى الله. اهـ.

السماحة في الدين لا تعني عدم طلب الأكمل.. ولا تعني التراخي المؤدي إلى الترخيص غير المشروع.. لكنها سماحة لا غلو، وترفق لا تشديد لاسيما في مواضع الرخص.. ولهذا علق ابن حجر على الحديث الصحيح الذي رواه

---

(١) «تفسير السعدي».

(٢) رواه أحمد (١/ ٢٣٦) بإسناد حسن «الفتح» (١/ ٩٤) وأورده البخاري في «صحيحه» معلقًا، لكن وصله في «الأدب المفرد» بدون إسناد، باب الدين يسر (٢٩).

البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا**.. إلخ الحديث (رقم ٢٩).

علق الحافظ بقوله: المعنى: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية، ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب، قال ابن المنير: في هذا الحديث علم من أعلام النبوة فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة فإنه من الأمور المحمودة، بل (المقصود) منع الإفراط المؤدي إلى الملال، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل أو إخراج الفرض عن وقته كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فقام عن صلاة الصبح في الجماعة أو إلى أن خرج الوقت المختار، أو إلى أن طلعت الشمس فخرج الوقت.

ثم أورد الحافظ حديث محجن بن الأدرع عند أحمد، ولفظه «إنكم لن تنالوا هذا الأمر بالمغالبة وخير دينكم اليسرة» ثم قال ابن حجر: وقد يستفاد من هذا الإشارة إلى الأخذ بالرخصة الشرعية، فإن الأخذ بالعزيمة في موضع الرخصة تنطع كمن يترك التيمم عند العجز عن استعمال الماء فيفضي استعماله إلى حصول الضرر[1].

وهكذا فرق العلماء بين التشدد المحذور وبين الترخيص غير المقبول حتى توضع سماحة الإسلام في موضعها الصحيح.

إخوة الإسلام ومن هدي النبوة قبس يضيء في السماحة وأثرها حيث يقول ﷺ: «**اسمح يسمح لك**»[2].

---

(١) «الفتح» (١/ ٩٤، ٩٥).

(٢) رواه أحمد وصحَّح إسناده أحمد شاكر (٤/ ٥٤)، وفي لفظ آخر مرسل: «**اسمحوا يسمح لكم**» وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٣٣٠).

ترى من أفضل المؤمنين وهل له علاقة بالسماحة؟ أجل، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**أفضل المؤمنين رجل سمح البيع، سمح الشراء، سمح القضاء، سمح الاقتضاء**»(١).

وعند البخاري: «**رحم الله رجلًا سمحًا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى**»(٢).

وفي حديث عمرو بن عنبسه ﷺ قلت: ما الإيمان؟ قال: الصبر والسماحة(٣).

لا إله إلا الله، كم في السماحة من خير.. وكم هي سبيل للنجاة في اليوم العصيب وإن كان صاحبها مفلسًا من عمل الخير.. قال ﷺ: «**حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس، وكان موسرًا، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، فقال الله نحن أحق بذلك منه، تجاوزا عنه**»(٤).

أيها المؤمنون ومن حياة السلف دروس في السماحة والتجاوز استحقوا بها درجات الجنان، فقد ورد أن عثمان ﷺ اشترى من رجل أرضًا فأبطأ عليه، فقال له ما منعك من قبض مالك؟ قال إنك غبتني فما ألقى من الناس أحدًا إلا وهو يلومني، قال: أو ذلك يمنعك؟ قال: نعم، قال: فاختر بين أرضك ومالك، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «**أدخل الله ﷻ الجنة رجلًا كان سهلًا مشتريًا وبائعًا وقاضيًا ومقتضيًا**»(٥).

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط»، وقال الهيثمي رجاله ثقات «مجمع الزوائد» (٤/ ٧٥).

(٢) «الفتح» (٤/ ٢٠٧٦).

(٣) رواه أحمد (٤/ ٣٨٥)، وانظر: «نضرة النعيم» (٦/ ٢٢٩٦).

(٤) رواه مسلم (١٥٦١).

(٥) رواه أحمد وصحَّح إسناده أحمد شاكر ورواه النسائي وحسنه الألباني «صحيح النسائي» (٤٣٧٩).

ومن السماحة إقالة العثرة، يروى عن علي ﷺ أنه قال: «**أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم فما تعثر عاثر إلا ويده بيد الله يرفعه**»[1]، والسماحة من خلق الكرماء.. وأين هذا ممن يتتبعون العورات، أو يفرحون بالسقطات، دون مناصحة وتلطف في القول.

قيل: من عادته الكريم إذا قدر غفر، وإذا رأى زلة ستر[2].

ومن حكم الشعر قيل في السماحة:

وإني لأستحي وفي الحق مسمح إذا جاء باغي العرف إن أتعذرا

وقال الشافعي رحمه الله:

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ودافع ولكن بالتي هي أحسن.

وأبلغ من ذلك كله.. أن الله يجزي المتصدقين.. إن الله يحب المحسنين.

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] جعلنا الله من المحسنين والمتصدقين، ورزقنا السماحة في أقوالنا وأفعالنا، وهدانا سبل السلام. أقول ما تسمعون وأستغفر الله..



(١) «المستطرف» (١/ ٢٧٢)، عن «نضرة النعيم» (٦/ ٢٢٩٩)

(٢) السابق (٦/ ٢٢٩٩).

الخطبة الثانية:

إخوة الإسلام: وحين تضطرب الموازين ينبغي أن يعلم أن السماحة المنضبطة بضوابط الشرع قوة لا ضعف، وأن السمح عظيم وليس بالرجل البسيط.. فليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب.

والأسباب الجالبة لضدها.

ومن أسباب اكتساب السماحة:

١- التأمل في الترغيبات التي رغب الله بها من يتحلى بالسماحة، والفوائد التي يجنبها أصحاب السماحة في الدنيا والآخرة فهم أسعد الناس في الدنيا لذكرهم الحسن وهم أصحاب حظ كبير في الآخرة.

٢- التأمل في المضار والمحاذير التي يقع فيها يكد النفس فهو قلق ضجر متعب لنفسه وللآخرين.. هذا فضلًا عن إفلاسه يوم القيامة حين يأتي وقد شتم هذا وضرب هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا.. فأولئك خصوم ودائنون صعب الخلاص منهم.

٣- الإيمان بالقضاء والقدر والرضاء بما قسم الله للإنسان وما قدره عليه كل ذلك يمنح لمسلم رضًا وتسليمًا وطيب نفس وسماحة، وطمأنينة.

٤- ترويض النفس على خلق السماحة والعفو والصفح والكرم حتى تستأنس بهذه الأخلاق العالية وتألفها.. فالمجاهدة طريق لتربية النفوس على المكارم.

٥- الاقتداء والاعتبار بأهل السماحة وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ.

أما أسباب الجفاء والشدة والبخل وضيق العطن -وهي ضد السماحة-، فمنها:

١- تغليب طبيعة النفس الرديئة، والاستسلام لإغواء الشيطان ونزغاته، وعدم الاستعاذة من شره وكيده.

٢- التعلق بالدنيا واعتيازها كل شيء فلها يحب ولا يبغض من أجلها ينافح.. فصاحبها لا يهمه ما حل أو حرم.. أو أبيح أو نهى عنه، بل الحلال ما وقع بيده.. إنها أنانية تجعل المرء لا يفكر إلا بنفسه ولا يستشعر مشاعر الآخرين أو يقدر أحاسيسهم، ولذا فهو تظلمه ومسيء اللهو.

٣- ومن أسباب الشدة والجفاء ضعف الإيمان بالقضاء والقدر، والتحسر على كل فائت والحرص على كل محبوب للنفس وإن كان فيه حتفها أو كان سببًا لهلاكها.

الحرص والمسابقة والعزيمة ينبغي أن تكون لأعمال الآخرة.. والسماحة والسهولة والقناعة والزهد ينبغي أن تكون للدنيا.. هكذا علمنا ديننا وأرشدنا نبينا ﷺ.

يا عبد الله روض نفسك على السماحة وطيب المعشر مع الآخرين، دون أن يكون ذلك على حساب الدين، فالسماحة والبشر، وأنصاف الناس شيء، والمداهنة في الدين شيء آخر.

يا مسلم تخلق بأخلاق الكرام، وخذ بنفسك إلى جميل المروءات، واصبر على ما أصابك فإن ذلك من عزم الأمور، ومهما كان فينا من نوازع الشر وهينات الأخلاق، فلا بد من الحديث مع النفس وترويضها على جميل الأخلاق.

أذكر نفسي وإياكم بآثار الأخلاق الفاضلة في الدنيا والآخرة.

أن صاحب الخلق محبوب مرموق عند الناس، وهو عند الله يوم القيامة بمكان يبلغ درجة الصائم القائم الذي لا يفتر.

أيها المسلمون بالأخلاق الفاضلة تدعوا الآخرين للإسلام، وبالسماحة واليسر تظهر الجانب المشرق من أخلاقنا وقيمنا ومكنوز حضارتنا.

تعود الحياة صفوًا لا كدرًا حين يفيء الناس للأخلاق الفاضلة -ومنها السماحة واليسر- تتقلص مساحة الشحناء، وتردم هوة المنازعة والبغضاء.. بالالتزام الأخلاق بأخلاقيات الإسلام يأمن الناس على حقوقهم، ويطمئنون إلى معاملة إخوانهم، فلا غش ولا ظغينة ولا احتيال ولا نصب.. ويتعلم غير المسلمين من المسلمين كيف تكون المعاملة بالحسنى وكيف يكون العدل مع البر والفاجر والصديق والعدو.

إننا بحاجة إلى خلق السماحة تطهر بها أنفسنا من الغل والبخل.. وترسم في مجتمعاتنا شعار المحبة والإخاء.. حتى إذا أصرت فئة أو طائفة على خلاف ذلك وجدت في مجتمع المؤمنين رفضًا عمليًا لأخلاق الجفاء، واستنكارًا جماعيًا لموارد الهلكة والشحناء.

اللهم كما أحسنت خلْقنا فأحسن خلُقنا، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق والأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرفنا عن سيئها لا يصرف عن سيئها إلا أنت.

اللهم إنا نعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل..



غزو من الخارج أم غزو من الداخل؟[1]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره . . .

أيها المسلمون لا غرابة أن نرى أو نسمع أو نشاهد شيئًا من عداوة الكفار بمختلف أديانهم وأهدافهم.. ولكن المستغرب حقًا أن نهدد من داخل بيوتنا، وأن تشن حملات ظالمة وجائرة على ديننا وقيمنا من أبناء جلدتنا وممن ينتسبون إلى أسلافنا أولئك لا بد من الحذر منهم والوعي بمخططهم وأهدافهم، ومعرفة منطلقاتهم والتعرف على أساليبهم في المكر والمخادعة، ورسم معالم للموقف منهم، وحماية البلاد والعباد من آثارهم.

أجل لقد بليت الأمة بالمنافقين في سالف تاريخها وعز سلطانها.. ونجح المسلمون حينها في كشف هؤلاء وتجاوزوا محنتهم، حتى عاد هؤلاء المنافقون يعتذرون ويحلفون وهم كاذبون واليوم تتجدد النازلة بالمسلمين بهؤلاء، وتتسع دائرة العداوة، ويكثر الإرجاف والاستهزاء، وتبلى الأمة بهؤلاء المعوِّقين.. ويتكرر الموقف المسارع لكفار ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ﴾ [المائدة: ٥٢]، ويكثر اللمز بالمطوعين والسخرية بهم وبإسلامهم.. وهؤلاء الصنف من الناس يركبون كل موجة، ويسلكون كل وسيلة تتحقق لهم أهدافهم.. فهم قوميون.. مع ضيق عطن القومية.. حين يشتد عود القومية.. ثم تراهم ينقلبون على القومية- ولو كانت في سبيل الدفاع عن الحدود والحرمات- وينسلخون منها كما تنسلخ الحية من جلدها وربما بلغ بهم التخلي عن (الهوية) حدًا مجدوا معه الغزاة ورحبوا بالمستعمرين أيعقل هذا من

(١) ألقيت هذه الخطبة في ٧/ ١/ ١٤٢٥هـ.

عربي؟.. أفيقبل هذا الترحيب بالمستعمر الكافر من مسلم؟ ولولا كلمات القوم ما صدقنا.. وهذا أحد المحسوبين علينا ودون خجل يقول: «إنني من أكثر الناس تفاؤلًا بقدوم أمريكا إلى العراق، وعندي أسباب عديدة أولها: أن أمريكا لم تدخل بلدًا إلا وحسنت من أوضاعه.. إلى أن يقول: إنني واثق أن أمريكا ستلعب في منطقتنا دور المعلم الحازم الذي يريد النجاح لتلاميذه حتى لو تطلب ذلك درسًا قاسيًا، إن العالم العربي لن يتغير من تلقاء نفسه لذلك أقول: أهلًا بالنموذج الأمريكي الحر ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾[1] [البقرة: ٢١٦].

لست أدري كيف تجرأ الكاتب هذه الجرأة.. وكيف تجرأت الشرق الأوسط على نقل المقال؟

إننا أمام شريحة في المجتمع غريبة في فكرها متطرفة في طرحها، جريئة في استفزازها ومهما تعددت مسميات هؤلاء أو اختلف الناس في تصنيفهم بين علماني، وعصراني، وعقلاني أو حداثي أو مستغرب أو لبرالي فالمهم أن نعرف انتماءهم وجذورهم الفكرية ومن اعترافاتهم ندينهم، وحتى لا نتجنى عليهم هذا أحد أصحاب هذه المدرسة يربط بين ثقافتهم وثقافة الغرب وتاريخهم ويقول: «إن الحديث عن حداثة عربية مشروط تاريخيًا بوجود سابق للحداثة الغربية، وبامتداد قنوات للتواصل بين الثقافتين»[2].

و(العلمانية) التي يوصفون بها أحيانًا، لا يكتفون بالانتماء إليهم، بل ويبلغ الهوس بهم وبها حدًا يتهمون (القرآن الكريم) بالعلمنة؟ ويقول قائلهم إن

---

(١) جريدة الشرق الأوسط ٣/ ٤/ ٢٠٠٣م عبد العزيز الدخيل.

(٢) القائل: محمد برادة، والمصدر د. عبد الرحمن الزبندي: «العصرانية في حياتنا الاجتماعية» (ص٢٧).

الدراسة المعمقة للقرآن الكريم بين أنه علماني المنحى، وإنما حوله المسلمون إلى وجهة دينية[١]؟!

وهؤلاء القوم لا يكتفون بالانخداع والمخادعة لمنهج التغريب بل يصرون- مع ذلك- على نقد المناهج التي قام عليها التراث الإسلامي ويقول أحد كبرائهم: «لكي نؤمن بفاعلية المنهج العلمي الغربي لا بد أن ننقد المناهج التي قام عليها التراث عند المسلمين لنكشف قيمتها في دائرة المنهجية القائمة اليوم»[٢]؟

إن نظرتهم تلك للإسلام والقرآن، وارتباطهم بحضارة الغرب وثقافته وتسويقهم لفكره وترحيبهم بغزوه.. كل ذلك يجعلنا نتبين هوية القوم وجذورهم التاريخية فلا ننخدع بطروحاتهم الزاعمة للإصلاح، ولا نغر بمقدماتهم القائلة «في ضوء شريعتنا الإسلامية» أو «وفيما لا يتعارض مع ثوابتنا وقيمنا» أو من مثل قولهم: «في إطار قيم المجتمع ومبادئه» إنها عبارات خادعة، وذر للرماد في العيون، واستغفال للبسطاء!

أجل لا بد أن نعي وندرك ونتدارك الأمر قبل فوات الأوان.. ففي مجتمعنا ناقوس خطر، وحصوننا تهدد من داخلها، وفينا سماعون لهم، بل ومروجون لبضاعتهم ومستبشرون بغزوهم.. فهل بعد هذا من خطر!!

إن هذه الشريحة في مجتمعنا -وإن قل عددها- لها امتداد خارجي، ولذا تراهم ينشطون أكثر حينما يقترب أسيادهم من بلاد المسلمين، وتراهم يرقصون على الجراح النازفة ويتلذذون بالمآسي النازلة.. وبالتالي فهم لا يهددون هويتنا

---

(١) القائل: حسن حنفي، انظر: د. الزنيدي، «العصرانية» ص٤٤.

(٢) محمد عابد الجابري «نقل العقل الغربي»، عن د. الزنيدي، «العصرانية» ص٤٤.

الإسلامية فحسب، بل ويهددون كياننا الاجتماعي والسياسي، ويطمع الغرب ويراهن على استخدام هؤلاء في فرض سياستهم في الشرق الأوسط، فقد ذكر مسئول في أحد مراكز البحث في (واشنطن) أن المركز يعمل لاختيار عدد من الشخصيات الإصلاحية ودعوتها إلى واشنطن للتعاون معها- في سبيل الترويج لمبادرة أمريكا لنشر الديمقراطية في الشرق الأوسط خلال الأشهر القادمة- وأن تلك الشخصيات ستحصل على حماية ضمنية من خلال حصولها على دعم سياسي وإعلامي سيفرضها على الساحة السياسية (جريدة الحياة) وهؤلاء ومرة أخرى بلا حياء ولا خوف يقولون مستبشرين ومبشرين بالحملة الأمريكية على بلاد المسلمين: «وإذا كانت الحملة الفرنسية على مصر ومشرق العرب، والصدمة الأولى قبل قرنين من الزمان تقريبًا قد قدمت العرب للحداثة وقدمت الحداثة للعرب، فإن الحملة الأمريكية سوف تقدم العرب للعولمة، وتقدم العولمة للعرب على أوسع نطاق»[١].

إنهم باختصار خطر يهددنا من الداخل، وخطر يهيء السبل للمستعمر ويبشر ويمهد الطريق للغزو الخارجي.. ولا غرابة بعد هذا أن تكون حملاتهم الشعواء ضد مناهجنا الدراسية.. ومطالباتهم المتكررة بالتغيير.. وإذا حققوا شيئًا من نجاحاتهم على حين غفلة منا فهل يستطيعون تحقيق نجاحات أخرى؟

أنهم لا يحملون على علماء الأمة ورموز الصحوة الإسلامية، بل يهددون المجتمع بأسره فإذا صدرت فتوى معتبرة شنوا على المفتي حربًا لا هوادة فيها، كما حصل مع المفتي في بيانه عن منتدى جدة الاقتصادي، وإذا نجح نشاط

---

(١) (تركي الحمد، الشرق الأوسط ..).

إسلامي أجلبوا عليه واتهموا القائمين به.. كما حصل في تعليقهم على مخيم جدة الرسمي..

المرأة لم تسلم من مكرهم فهم يريدونها سافرة مختلطة.. وغاية أمانيهم أن تكون المرأة المسلمة كالمرأة الغربية في ضياعها وحيرتها وشقائها؟

والإعلام في بلادنا خرجوا به عن حدود السياسة المرسومة وتجاوزوا بنوده ومواده المقررة.. وتربعوا على ناصيته فلا يتيحون الفرصة -إلا قليلًا- لمن يخالفهم وينقد مسارهم أو يطرح طرحًا معتدلًا ونزيهًا.

بل زادوا وتجرأوا على نقد السياسات العليا للدولة ليخلخلوها ويطرحوا البديل عنها كما حصل من أحدهم في نقد السياسة العليا للتعليم حينما استغرب أن يكون من أهداف المرحلة المتوسطة: حفز همة الطالب لاستعادة أمجاد أمته المسلمة التي ينتمي إليها...؟ واستغرب كذلك أن تخصص سبعة أهداف (في المرحلة الثانوية) للجوانب الإسلامية[1]؟

غريب هذا الطرح في زمن باتت الأمم تعتز بهويتها.. وتعمق الانتماء لفكرها في مناهج أبنائها ولكن الأغرب أن يسمح لهذا الطرح الفج.. وأن يغفل عن الأهداف من ورائه..؟ وأن تزيد لهجة هؤلاء لتسوق للفكر العفن القادم من الغرب.. وحين لا يخفى أن الغرب باشر غزو العرب والمسلمين إعلاميًا عبر إذاعة (سوا) ومجلة (أهلا) وأخيرًا أطلقت الإدارة الأمريكية قناة (الحرّة) الفضائية الإخبارية وباللغة العربية.. فقد يخفى على البعض أن بعض هؤلاء المرجفين المطبلين سخر في مقالة له بالذين يرفضون (قناة الحرّة) وقال أن أي أمة تخشى من محطة فضائية مهما كان لونها ومصدرها هي أمة خائفة ومترددة

(١) جريدة الوطن ١٧ شوال ١٤٢٤هـ، عدد (١١٦٨).

ودعا إلى النظر إلى هذه القناة باعتبارها إضافة جديدة للحرية التي نحتاجها مثل حاجتنا للهواء النقي. وفي المقابل يرفض هذا المطبل كل ما تبثه القنوات الفضائية إذا كانت ضد الهيمنة الأمريكية فقال: أليس هذا بذل وهوان وانتكاس في المفاهيم والقيم؟[(١)].

إذًا نحن أمام هجمة شرسة على ثقافتنا وقيمنا، وأمام تسويق مفضوح للبضاعة المزجاة لأعدائنا.. تتكئ هذه الهجمة على الإعلام، وتسخر من مناهج التعليم وتسعى جاهدة لإفساد المرأة، وترشق بسهامها الموتورة أهل الخير ولا يسلم من نقدها المسئولون والمنظِّرون للسياسات العليا في البلاد، إنها خلخلة للكيان كله، واستهداف للمؤسسات التربوية والدعوية، وتمهيد للغزاة، ومجاهرة بالفسوق وإعلان للتطرف، وتلويح بالإرهاب..

فكيف يكون الموقف، وبماذا ينقذ العباد، وتسلم البلاد؟

١- لا بد أولًا من الوعي واستشعار هذه المخاطر، ومعرفة أصحاب اللحن في القول، ورصد التوجهات، والتعرف على الصلات والارتباطات.

٢- ولا بد ثانيًا من النصح والمصارحة لهؤلاء فقد يكون من بين هؤلاء مغتر فيعود إلى رشده، أو جاهل مستغرق في خيالاته، وتجارب من سبقه توقفه على الحقيقة، وهذه تجربة شجاعة يقول صاحبها- بعد إذ هداه الله-: «اندفع الفكر المتغرب يشهر حربًا شاملة على الإسلام وأهله، ظانًا أن في ذلك تحريرًا للشعب وللمرأة، وإطلاقًا للعقل.. ولكنه ما درى أن تلك الحرب تأتي بنتائج عكسية تمامًا، إذا بالشعب يحطم ويشل، وإذا بالمرأة تتيه وتضيع وإذا بالعائلة تتمزق وتتخبط، وإذا بالعقل يصبح مغلولًا إلى الغرب، وإذا بالاستقلال تبعية، وإذا

(١) مقال د. نورة السعد، الرياض ٢٨/ ١٢/ ١٤٢٤هـ، بعنوان: بضاعتنا ردت إلينا.

بالتقدم الاجتماعي مزيدًا من التخلف، ثم وصلت الأمور إلى أن يعلن ذلك الفكر نفسه أننا نعيش من الانحطاط العربي. .»[1]؟!

٣- لا بد من تكاتف الجهود مع كل مخلص لحماية البلاد والعباد من خطر هؤلاء، مع اعتبار أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن» واعتبار أن المركبة واحدة والسلامة للجميع.

٤- لا بد من مشاريع عملية وبناءة في الإعلام والتعليم والتربية والتوجيه والدعوة، وأن تكون شاملة للمرأة والرجل والطفل والكبير، والمثقف والعامي.

٥- لا بد من وضع حد للنقد الصارخ لسياسات الدولة العليا وفي مقدمتها السياسة التعليمية والإعلامية. . وأن الإصلاح مطلب ولكن تجريدها من عمقها الإسلامي وأهدافها العليا أمر مرفوض.

٦- الارتقاء بمستوى وعي الناس عمومًا والخيرين خصوصًا، والجرأة في التصحيح للأخطاء وتطوير الأعمال والمؤسسات حتى تكون المشاريع الإسلامية على مستوى التحدي والقدرة على الجذب والتأثير.

٧- ربط الجسور مع كل جهد خير، والتعاون مع كل عامل مخلص، وأهمية التواصل مع الآخرين وعدم الإنكفاء على الذات فمظلة الدين واسعة، وهاجس حماية الوطن من المؤثرات الخارجية والداخلية. . هدف يشمل شريحة كبرى في المجتمع.

٨- تعميم توعية الناس بالانحرافات الفكرية والأخلاقية في وسائل الإعلام عمومًا، والتنبيه إلى مخاطرها الواقعة والمستقبلية، واستنهاض الجميع

---

(١) منير شفيق، «الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر» من ١٤٨، ١٤٩، عن د. الغرنيدي، «العصرانية» ص٤٧.

للاحتساب على المنكر والأمر بالمعروف فليس أضر على الناس من قوم يلبسون عليهم دينهم ويزيفون وعتهم؟

٩- التواصل مع ولاة الأمر من الأمراء والعلماء وأهل الفكر، وأصحاب المال والجاه والمسئولية والتشاور معهم في وضع حد للمبطلين.

١٠- التعامل مع الأحداث والمستفزات بحكمة وعمق، فلا نخدع ولا نستفز، ولا نتصرف بردود الأفعال، ولا نقابل الخطأ بخطأ آخر.



تجربتنا في التعليم والابتعاث[1]

حين يكون الحديث عن العلم والتعليم فهو حديث عن أغلى موجود، كنز الحضارات وسراج الأمم، ومصباح العلم، فالعلم نور، والجهالة ظلمة.

والعلم يرفع بيتًا لا عماد له   والجهل يهدم بيت العز والشرف

بالعلم يشرف الإنسان ومن جاور العالم ولو كان من جنس الحيوان.

ألا ترى الله ذكر (الكلب) مع أصحاب (الكهف) في مقام الثناء..

وذكر (الحمار) في مقام الجهل يحمل أسفارًا لا يستفيد منها..

التعليم في الحضارات والدول والشعوب حجر الزاوية، ومقياس للتقدم، وسبيل للرقي، وفي العصر الحاضر تقدمت دول وأخذت مكانتها الريادية في العالم.. وكان التعليم وتطويره خطوة مهمة في هذه الريادة فقد خرجت اليابان منهلكة محطمة على إثر الحرب العالمية (هيروشيما) لكن قادتها رأوا وقدروا أن التعليم سبيلهم للنهوض والتعويض.. فكان ما كان من حضارة اليابان المعاصرة.

ومن قبل كانت المدارس النظامية والتطوعية في حضارتنا الإسلامية منارات أضاءت للعالم في عصور الظلمة في الأندلس ومصر والشام وغيرها.

إننا حين نتحدث عن تجربتنا التعليمية في المملكة لا بد أن تشهد بهذه التجربة قصيرة الأمد عميقة الأثر.. إنها ابتدأت من (كتاتيب أولية) وانتهت إلى (جامعات شامخة)

صنعت سياستها التعليمية العليا صياغة حسنة، راعت جوانب المعاصرة ولم

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في ١٣/٣/١٤٢٩هـ.

تخل بثوابت الأصالة، فبست من تجارب الآخرين، وراعت خصوصية بلاد الحرمين، اجتهدت في جمع القيم التربوية والمهارات المتعددة، ولم تتجاوز نصوص الوحيين، شرقت وغربت في فنون الحضارات، وطافت في ميادين التجارب الأممية فأفادت منها دون أن تتأثر بسلبياتها، نظرت إلى التاريخ الماضي والمعاصر نظرة متزنة فعظمت ما يستحق التعظيم وانتقدت ما دون ذلك من سقط الحضارات وزبالات الفكر.

وحين استوت هذه التجربة على سوقها كانت أهلًا لئن تصد خارج الحدود فكانت (مناهجنا) التعليمية يطاف بها بكل فخر واعتزاز في المعاهد والجامعات في العالم الإسلامي ويقتبس من نورها، بل تجاوزت هذه المناهج إلى حمل (المقررات) لتكون بين أيدي الدارسين حتى في العالم الغربي، وكانت المعاهد العربية والإسلامية، والأكاديميات -في بلاد الغرب- برهانًا على صحة مقرراتنا، وأصالة مناهجنا التعليمية، وقدرتها على المعايشة والتربية للدارسين هنا وهناك.

إخوة الإسلام الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها، والعلم رحم بين أهله لا تحده الحدود ولا تمنعه السدود، وفي ديننا متسع للاستفادة من تجارب الأمم والدول، ولم يترد النبي ﷺ في حفر (الخندق) وفكرته (فارسية) ولم يتردد الفاروق عمر رضي الله عنه (تدوين الدواوين) وهي لم تكن من عادة العرب، بل من حضارة (الفرس) كل ذلك بما لا يمس ثابتًا من الدين أو ينحاز إلى فئة على حساب الهوية والقيم.

ذلك كله يعني أننا لا نتحسس من الاستفادة من علوم الآخرين ومعارفهم، إنما تكمن الحساسية في التأثر والتأثير، والهزيمة الفكرية والاختراق القيمي.. ومن هنا فإن التحدي يكمن في الاستفادة من معارف الآخرين بعد بلورتها وأخذ

النافع منها وطرح الضار، ورفض السلبيات.. وكلما كانت التجربة للمعارف الوافدة في أرض الوطن كانت القدرة على الأخذ والعطاء منها أوسع، والفرصة للاختيار والرفض أكبر.. ويقل مرض الاختيار حين يكون التلقي خارج حدود الوطن، فالمتلقي يساق في التيار العام، وتحيط به الثقافة، ومثقفوها وآليات تنفيذها بشكل يضيق عليه فرص الانتقاء.

ومن هنا فالحديث عن (الابتعاث) و(البعثات التعليمية) يحاط بفرض النجاح والفشل، ومهدد بالإخفاق كما هو ممكن للتفوق، وكما نسلط الضوء على وارداتنا الاقتصادية، ينبغي كذلك أن نسلط الضوء على وارداتنا الفكرية، وكما نحافظ على المستوى الصحي لبلادنا ومجتمعنا فكذلك ينبغي أن نحافظ على قيمنا التربوية وصحة البيئة عن التلوث بأي نوع من أنواع التلوث الحسي والمعنوي.

تجربتنا السابقة في الابتعاث خلفت آثارًا إيجابية، وكان فيها سلبيات ومن الرشد أن تقيم هذه التجربة حتى يحافظ على المكتسبات ونتخفف من السلبيات كان المبتعثون من خريجي الجامعات أكثر نضجًا وأقدر على عدم الذوبان في تلك المجتمعات المنفسخة والمفلسة في جانب القيم، بل كان لعدد من أولئك المبتعثين دور في حمل رسالة المملكة هناك عبر عدد من المراكز الإسلامية والجمعيات والمساجد التي بددت شيئًا من ظلمات الحياة الغربية وغيرت نظرة الغرب للإسلام والمسلمين!

وحين عاد أولئك المبتعثون الحافظون لأماناتهم والممثلون لبلدهم أصدق تمثيل والمستفيدون من علوم الآخرين وتجاربهم.. كانوا محل الإعزاز والتقدير وتسنموا مناصب وكانوا قيادات علمية وإدارية.. ولمثل هؤلاء يكون الابتعاث.

على أن هناك فئة أخرى ابتُعثت وهي بعد في ريعان الشباب ومرحلة

المراهقة، وأولئك منهم من فتن وافتتن، وأفلس في ميدان العلم كما أفلس في معركة التقاليد والقيم، وعاد هؤلاء خلو الوفاق.. فما حملوا شهادات ولا استفادوا من تجارب المعرفة ولم يكونوا محل قناعة ليتسنموا مناصيت في بلادهم وكذلك تحيق المخاطر بابتعاث (المراهقين) والأمر أخطر بابتعاث (المراهقات) فالعواقب غير مأمونة.

إن من أعظم المخاطر المحتملة للتوسع في الابتعاث -وخاصة لما قبل الجامعة- المخاطر الفكرية، والانسلاخ من الهوية، والمخاطر الأمنية والاختراق الثقافي والقيمي وذلك من أخطر أنواع الاختراق، فضلًا عن المخاطر السياسية، والصحية والاجتماعية.. وهي لا تقل أثرًا عن غيرها، وحين يفكر المبتعث بغير فكر أهله ومجتمعه، وحين يكون ولاؤه لمكان بعثته أكثر من ولائه لوطنه الذي بعثه فتلك كارثة.. وعلى الولاة والمخططين والمسئولين أن يعوها جيدًا.

أما ابتعاث المرأة فهو يزيد في مخاطره بقدر ضعف المرأة، وحاجتها إلى أجواء آمنة أكثر من الرجل، والذئاب التي تريد أن تفترسها لا يردعها دين، ولا يمنعها حياء، ولا زج المرأة في مجتمعات الاختلاط من الخطورة بمكان، وذهاب المرأة لبلاد الكفر والإباحية دون محرم تجاوز على حدود الشرع، وتغافل عن منطق العقل، أي رعاية تلك للدرة المصونة وأين هذا من شيم العرب الذين كانوا يئدون المشقة العار؟

ويتضاعف الخطر إذا كان معظم المبتعثين من الفتيان والفتيات، فهم في مرحلة عمرية حساسة، والبيئة التي يبتعثون إليها فيها من الإغراء والفتنة والتفسخ والمجون ما يشكل مصيدة وحفرًا ملغومة لهؤلاء؟ ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ [الأنفال: ٢٥].

وحين نذكر بخاطر الابتعاث لا بد أن نبعث برسائل ناصحة للمسئولين في وزارة التعليم العالي أن يراعوا هذه المزالق وأن يحتاطوا في صيانة الشباب من المخاطر وأن تكون الملحقيات التعليمية في البلاد التي يبتعث إليها المبتعثون مراقبًا دقيقًا ومحتضنًا تربويًا يذكر المبتعث كلما نسي برسالته ورسالة بلاده.

ورسالة أخرى تبعث للأولياء فهم أدرى بأبنائهم وبناتهم ونجاح المبتعث أو فشله لا قدر الله -سيطال أسرته- فلا بد من التحوط لمن يبعث، ومن يعرف عنه مراهقة في بلده فمن الظلم أن يبعث إلى بلاد التحرر والمجون..

أن أحدًا لا تستطيع إجبار أحد على الابتعاث، ومن حصافة الأسرة، ورعاية الأبوين أن يكون لها وجهة نظرهما في ابتعاث أولادهم، فهم أمانة وسيسألون عنها.

ورسالة للمبتعثين تقول يا من قدر لهم الابتعاث.. الله الله في أنفسكم وإسلامكم، وأنتم تمثلون الإسلام في بلاد تعز فيها الإسلام، وتمثلون بلاد الحرمين مهبط الوحي ومنبع الرسالة وقبلة المسلمين، وخطؤكم كبير، ومسئوليتكم جسيمة، وإذا خلوت الدهر يومًا (أيها المبتعث) فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب..

أيها المبتعثون بشخص المجتمع يبصره إليكم فكونوا عند حسن ظنه بكم، ويتطلع المسئولون إلى أن تحفظوا العهد وتمثلوا البلد فكونوا كذلك.

أيها المبتعث مقامك في البعثة تجربة لقوة إرادتك، وحسن أمانتك وصدق ولائك لدينك والانتماء الصادق لوطنك.. فهل تنجح في الاختبار؟ وإخفاقك في هذه الجوانب لا يعوضه نجاحاتك الأخرى مهما بلغت!

وإلى السفارات في الخارج والملحقيات الدينية والثقافية سؤال يوجه ما دوركم في رعاية المبتعثين وتيسير سبل النجاح، وحمايتهم من المخاطر؟

وللمراكز الإسلامية والعاملين فيها جهد مشكور في بلاد الغرب والشرق فهل يكون من أولويات جهودهم رعاية ومتابعة هؤلاء المبتعثين، وتعريفهم بمكامن الخطر، وأقصر طرق النجاح، وإشراكهم في الملتقيات والمنتديات حتى يظلوا على صلة، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

وأخيرًا سؤال كبير يطرح: وكيف يرشد الابتعاث بشكل عام؟

اللهم احفظ مبتعثينا في حلهم ورحالهم، وأعدهم إلى بلادهم سالمين غانمين، وبارك في جهود العاملين واشكر سعي المخلصين.

١- إن أول خطوة- في ترشيد الابتعاث- في نظري هي رصد الإيجابيات للانتفاع بها وتطويرها، ومعرفة السلبيات لتجنبها وحماية المنبعثين منها، ورسم السياسات المستقبلية وفق هذه الاستراتيجيات.

٢- ومع وضع الاستراتيجيات المستقبلية المعتمدة على الدراسة والبيانات والإحصاءات، لا بد من معالجات سريعة لأي سلبية نظرًا، ولو بمسكنات حتى لا يستفحل الخطر وتتراكم الأخطاء.

٣- ولا بد كذلك من الاستمرار في تطوير جامعاتنا في الداخل، وتوفير كافة التخصصات ولو أحوج في البداية إلى استقدام المعلمين في التخصصات النادرة.

٤- الموازنة بين استقدام العقول ونقل التقنية إلى بلادنا وبين الابتعاث إلى البلاد الأخرى.. والتخلص من عقدة النقص، والشعور بتفوق الآخر، فالإصرار على النجاح يقود إليه، والخطأ طريق للصواب، ولأن نخطئ في البداية ثم نصبح في النهاية مكانًا للتصدير للآخرين.. خير من أن نخشى الإخفاق فنظل عالة على الآخرين.

٥- وموازنة أخرى بين كافة التخصصات والفئات فلا يكون الابتعاث

لتخصص أو لفئة على حساب التخصصات والفئات الأخرى، ولا بد من شرط حتى ولا المبتعث لبلده ومعتقده.

٦- ومن الموازنات المهمة الموازنة بين دول الابتعاث، فلا نركز على جهة ونهمل أخرى حتى لا نقع أسرى لثقافة واحدة.

٧- مراعاة سن المبتعث، ومدى الحاجة للتخصص من الأهمية بمكانهم لا يبتعث إلا من هو أهل للابتعاث، وفي تخصصات لم تتوفر بعد وتدعوا الحاجة إليها.

٨- ومن الحصافة استمرار دورات للمبتعثين تعرفهم بما يجليهم، وتذكرهم رسالتهم بل توسع دائرة الدول والثقافات حتى لا تبقى تحت رحمة دولة أخرى، وحتى نستفيد من كافة التجارب والثقافات ونرسم لهم معالم النجاح، ونبصرهم بمواطن الخطر، ومخاطر الابتعاث، وتكشف لهم أسباب الإخفاق.. إلى غير ذلك من أمور يحتاج إليها المبتعث، ويلزم بها المبتعثون.

٩- ولا بد بعد الابتعاث من رعاية ومتابعة تشعر المبتعث بجدية بعثته، ومتابعة من بعثه.. ولا بد كذلك من تقارير مستمرة عن المبتعث.. وهذا وإن تطلب جهدًا من الإدارة المعنية في وزارة التعليم العالي- في بلادنا- ومن الملحقيات الثقافية في الخارج.. فهو عنصر مهم من عناصر الترشيد.

١٠- ولا بد من التذكير برعاية سياسة الدولة وفقها الله في التعليم فالانطلاق منها، يؤمن المسيرة بإذن الله، ويشكل حاجزًا عن تجاوز الحدود الشرعية، ويحقق التوازن بين تحصيل العلم والمعرفة وبين الحفاظ على القيم والاعتزاز بالهوية- فنحن أمة أعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله..

نشكر الجهات المشرفة على الابتعاث حين تجتهد في رعاية المبتعثين بكل ما تحمله الرعاية من معان وشكرًا لسفاراتنا وملحقياتنا، ومراكزنا الإسلامية حين

تكون عينًا ساهرة ومتابعة لهؤلاء المبتعثين والشكر يزجي جميلًا لكل مبتعث فهم رسالة المبتعث، وكان نموذجًا في جديته في الطلب ونجاحه أو إخفاقه - لا قدر الله -ليس ملكًا له وحده- بل لبلاده ومجتمعه وثقافته وإسلامه..



السلام شعارنا أهل الإسلام(١)

الحمد لله هو السلام ومنه السلام، وهو أهل الثناء والفضل والحمد في الأولى والآخرة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يحب المحسنين، ويجزي المتصدقين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أكمل الأمة خلقًا وأبرها قلبًا وأعفها لسانًا.

السلام مصطلح يشع منه الدفء والرحمة والحنان.. والسلام كلمة ذات معنى عظيم.. السلام اسم من أسماء الرحمن ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] والسلام تحية أهل الإسلام في الدنيا، وتحيتهم يوم يلقون ربهم- في الآخرة- سلام السلام شعارنا أهل الإسلام.. تذل به ألسنتنا ضمان ومسلم ونتقلب فيه في علاقاتنا وتحياتنا.

السلام كم يشيع من معان المحبة.. وكم يزرع من ألوان الثقة، تهدأ به النفوس، وتطمأن له القلوب، وتستقر به المجتمعات، والسلام هو المناخ المناسب للبناء الحضاري، والتقدم العلمي والاقتصادي بالسلام يأمن الخائف، ويؤمن المتخفي بإسلامه ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [النساء: ٩٤].

نحتاج للسلم في كل حال.. ونحتاج للمسلم حين تطعن لغة الحرب.. وتكون لغة القوة هي اللغة السائدة.. وفي هذه الأجواء تهلك الحرث والنسل وتتعطل المنافع.. ويحيق الخراب، وتهدر الطاقات.. وتتوقف الحياة وتشل حركة الأحياء..

(١) ألقيت هذه الخطبة في ١١/٥/١٤٢٩هـ.

إلا أن الذين يعشقون الحر بدون هدف نبيل قوم غلاظ الأكباد في مشاعرهم جفاء.. وفي أخلاقهم عوج.. لديهم أنانية، وفيهم حب للسيطرة.. وعندهم نزعة لفرض مبادئهم وأفكارهم بالقوة.. ولا حقق الله أماني من يريدون أن يقذفوا بغيرهم البحر.. أو يرجوا بهم في السجون (السلام) ما أعذب هذه الكلمة، وأعمق مدلولها.. إنها جزء مهم في الإسلام بل هي من خير الإسلام.. فقد سأل رجل النبي ﷺ أي الإسلام خير؟ فأجابه: «**تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**»(١) هي تحيتنا أهل الإسلام منذ خلق الله أبانا آدم وقال له: اذهب إلى أولئك النفر من الملائكة فسلم عليهم، واستمع ما يحيونك به، فإنها تحيتك وتحية ذريتك(٢).

وهي رمز وسبب للمحبة والتآلف وطريق إلى الجنة «**والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تأمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»(٣).

والسلام أحد مؤشرات الإيمان، وفي البخاري معلّقًا -ووصله غيره- عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان.. الإنصاف من نفسك وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار(٤).

إن في بذل السلام- لمن عرفت ومن لم تعرف-، من الصغير والكبير، والغني والفقير، والأبيض والأسود، والقريب والبعيد.. تواضعًا وصلة ومحبة توجب للعبيد رفعة الدرجات وتكفير السيئات.. فالمسلمان إذ التقيا وسلم كل منهما

---

(١) متفق عليه: مسلم (٣٩).

(٢) رواه البخاري في الاستئذان، باب بدء السلام.

(٣) رواه مسلم وغيره (٥٤).

(٤) قال ابن القيم معلّقًا: وقد تضمنت هذه الكلمات أصول الخير وفروعه «زاد المعاد» (٢/ ٤٠٧).

على الآخر تحاتت ذنوبهما كما يحت الشجر ورقه.

أجل لقد كان من هديه -عليه الصلاة والسلام-؛ السلام على الصبيان[١] وفي هذا تعويد لهم على الخير، وإشعار لهم بالمحبة، وتقدير لمشاعرهم.. وأكرم بذلك من تربية.

بل كان من هديه -عليه الصلاة والسلام- إشاعة السلام، فالصغير يسلم على الكبير والمار يسلم على القاعد، والراكب على الماشي، والقليل على الكثير، (**وأولى الناس بالله من بدأهم بالسلام**)[٢].

وإذا ظن البعض أن السلام في القدوم على القوم فقط، فالسنة تصحح ذلك وتضيف السلام عند الانصراف، وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام: «**إذا قعد أحدكم فليسلم، وإذا قام فليسلم، وليست الأولى أحق من الآخرة**»[٣].

وثمة تنبيه وملمح في السلام على المسلمين داخل المسجد، فبأيهما يبدأ بالتحية على المسلمين، أم بالتحية للمسجد؟ قال ابن القيم رحمه الله: ومن هديه ﷺ أن الداخل إلى المسجد يبتدئ بركعتين تحية المسجد، ثم يجيء فيسلم على القوم فتكون تحية المسجد قبل تحية أهله، فإن تلك حق الله تعالى، والسلام على الخلق هو حق لهم، وحق الله في مثل هذا أحق بالتقديم.. ثم ساق ابن القيم قصة الرجل المسيء في صلاته، والذي بدأ بتحية المسجد ثم السلام على النبي ﷺ كشاهد لهذا وعلى هذا- كما يقول ابن القيم- يسن لداخل المسجد إذا كان فيه جماعة ثلاث تحيات مترتبة: أن يقول عند دخوله: بسم الله

---

(١) ذكره البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه أحمد بسند صحيح «زاد المعاد» (٢/ ٤١٢).

(٣) رواه أبو داود والترمذي، وأحمد وغيرهم بسند حسن، السابق (٢/ ٤١٣).

والصلاة والسلام على رسول الله، ثم يصلي ركعتين تحية المسجد، ثم يسلم على القوم[١].

أيها المسلمون وإشاعة السلام في بيوتنا ومع أهلنا وأولادنا أدب من آداب الإسلام، وسنة من سنن المصطفى ﷺ، وهي كذلك في بيوت غيرنا ومع أهلها بل ننهي عن الدخول عليها بغير سلام واستئذان وفي ذلك يقول ربنا ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧].

عباد الله -ولأهمية السلام في الإسلام- يحمل ويبلغ لمن أوصى له بذلك.. ولقد حمل النبي ﷺ السلام من الله ﷻ إلى خديجة ﵂ وبشرها ببيت في الجنة (متفق عليه).

وحمل عليه الصلاة والسلام سلام جبريل ﵇ إلى عائشة ﵂ رواه البخاري (٢٤٤٧) وأكرم بنساء تحمل لهن السلام من السماء وفي ذلك إكرام الإسلام للمرأة -أيّما إكرام-؟

وإذا حمل محمد ﷺ السلام فأمته حرية بحمل السلام وتبليغه وإقرائه.. فذلك نوع من الوصال والاتصال وإشاعة المحبة بين المسلمين. وإن حجبتهم ظروف الزمان أو المكان ومن أخطائنا التهاون في حمل السلام.

أيها المسلمون.. وإذا كان بدء السلام سنة وهو مؤشر لخيرية من بدأ فرد السلام واجب، ورد التحية بمثلها أو أحسن ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٩١].

إن رد التحية بأحسن منها تفاعل وإيجابية وتأكيد للمحبة.. وويل للمتكبرين

---

(١) «زاد المعاد» (٢/ ٤١٣، ٤١٤).

الذي لا يريدون السلام، وإن ردوا فبنوع من البخل والكبر.. قد لا يسمع المسلم فيقع في نفسه شيء، وقد يسمعه لكن بكلمة مختصر.. أو بتعابير للوجه سيئة.. وقد يشير برأسه أو بيده.. متكبرًا عن الرد بلسانه والترحيب بكلماته.

كل ذلك خلاف هدي الإسلام في التأليف والمواساة بين المسلمين، وخلاف هدي محمد ﷺ الذي كان يبدأ من لقيه بالسلام، وإذا سلم عليه أحد رد عليه مثل تحيته أو أفضل منها، وعلى الفور دون تأخير.. إلا لعذر كصلاة أو قضاء حاجه، وكان يسمع المسلم رده عليه، ولم يكن يرد بيده ولا رأسه ولا أصبعه، إلا في الصلاة[١].

ومن الأخطاء الشائعة في السلام استبدال تحية الإسلام بغيرها كأن يبتدئ المسلم بالقول (صباح الخير، أو مساء الخير) أو نحوها من عبارات لا ترقى إلى مقام (السلام عليكم) ولا يؤجر صاحبها كما يؤجر على البدء بالسلام.. ومثل ذلك الاكتفاء بهز الرأس أو الإشارة باليد دون السلام..

وخطأ آخر في رد السلام حين تستبدل (وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته) بأهلًا أو مرحبًا.. أو نحوها.. مما لا تفي بحق المسلم، ولا تصل إلى مرتبة (وعليكم السلام) إن بإمكانك أخي المسلم أن تضيف ما تشاء من عبارات التحية والتقدير والثناء والدعاء.. لكن بعد الإتيان بالواجب (وعليكم السلام).

أخي المسلم لا تحرم نفسك الأجر.. ولا تبخل على أخيك بمزيد الدعاء.. وحين تقول: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) فقد خزن ثلاثين حسنة.. وكلما أقللت قلت الحسنات، فالسلام عليكم بعشر.. وفرق بين عشر وثلاثين.

وإذا جاد عليك أخوك بالسلام بالثلاثين.. فلا تبخل عليه في الرد بما دون

---

(١) ابن القيم، «زاد المعاد» (٢/ ٤١٩).

ذلك والله يقول: ﴿فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦].

ومن الأخطاء في السلام القول في ابتداء السلام: (عليك السلام) فتلك تحية الموتى، كما ورد أن أبا جرى الهجيمي أتى النبي ﷺ فقال: عليك السلام يا رسول الله، فقال: «**لا تقل عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الموتى**»[(١)].

ولأهل العلم كلام في تحرير هذه المسألة وتعليلها، فقد ذكروا أن الدعاء بالسلام دعاء خير، والأحسن في دعاء الخير أن تقدم الدعاء على المدعو له كقوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣] ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ [مريم: ١٥] ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد: ٢٤]، وأما الدعاء بالشر فيقدم المدعو عليه على الدعاء غالبًا ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [ص: ٧٨] ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦] ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: ١٦].

ولا ينبغي أن يفهم من الحديث: أن السلام على الموتى يبدأ (بعليكم السلام) فإن السنة أن تسلم عليهم كما يسلم على الأحياء (السلام عليكم درا قوم مؤمنين) وإنما قال ذلك النبي إخبارًا عن واقعهم والمشهور في أشعارهم كقول قائلهم:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما

وليس القصد أن ذلك مشروع.. بل السنة لا تختلف في تحية الأحياء والأموات (فليعلم)[(٢)].

والمهم أن يبدأ السلام بالدعاء .. ولا يبدأ بـ(عليكم).

أيها المسلمون وثمة أمر من الأهمية بمكان الإشارة إليه، وبيان الخلاف فيه،

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود والترمذي، وهو حديث صحيح «زاد المعاد» (٢/ ٤٢٠).

(٢) «زاد المعاد» (٢/ ٤٢٠، ٤٢١) مع الهامش.

ألا وهو ابتداء السلام على أهل الكتاب، والرد عليهم، وقد عقد ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فصلًا في هديه ﷺ في السلام على أهل الكتاب، وقال: صح عنه ﷺ أنه قال: «**لا تبدأوهم بالسلام، وإذا لقيتمهوم في الطريق فاضطروهم إلى أضيق الطريق**» لكن قد قيل: إن هذا كان في قضية خاصة لما ساروا إلى بني قريظة قال: «**لا تبدؤوهم بالسلام**» فهل هذا حكم عام لأهل الذمة مطلقًا، أو يختص بمن كانت حاله بمثل حال أولئك؟ هذا موضع نظر، ولكن قد روى مسلم في «صحيحه» من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام، وإذا لقيتم أحدهم في الطريق، فاضطروه إلى أضيقه**»[1] والظاهر أن هذا حكم عام.

وقد اختلف السلف والخلف في ذلك، فقال أكثرهم: لا يُبدؤون بالسلام، وذهب آخرون إلى جواز ابتدائهم كما يرد عليهم، روي ذلك عن ابن عباس، وأبي أمامة وابن محيريز، وهو وجه في مذهب الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، لكن صاحب هذا الوجه قال: يقال له: السلام عليك فقط بدون ذكر الرحمة، وبلفظ الإفراد: وقالت طائفة: يجوز الابتداء لمصلحة راجحة من حاجة تكون له إليه، أو خوف من أذاه، أو لقرابة بينهما، أو لسبب يقتضي ذلك، يروى ذلك عن إبراهيم النخعي، وعلقمة. وقال الأوزاعي: إن سلمت، فقد سلم الصالحون، وإن تركت، فقد ترك الصالحون.

واختلفوا في وجوب الرد عليهم، فالجمهور على وجوبه، وهو الصواب،

---

(١) رواه مسلم (٢١٦٧) في السلام: باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وأبو داود (٥٢٠٥) في الأدب: باب في السلام على أهل الذمة، والترمذي (١٦٠٢) في السير: باب ما جاء في التسليم على أهل الكتاب، وأخرجه أحمد ٢/ ٢٦٦ و٣٤٦.

وقالت طائفة: لا يجب الرد عليهم، كما لا يجب على أهل البدع وأولى، والصواب الأول، والفرق أنا مأمورون بهجر أهل البدع تعزيرًا لهم، وتحذيرًا منهم، بخلاف أهل الذمة.

وثبت عنه ﷺ أنه مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين، والمشركين عبدة الأوثان، واليهود، فسلم عليهم[(١)].

وصح عنه أنه كتب إلى هرقل وغيره: السلام على من اتبع الهدى[(٢)].



(١) أخرجه البخاري ١١/ ٣٢ في الاستئذان: باب التسليم على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين، وفي الجهاد: باب الردف على الحمار، وفي تفسير سورة آل عمران: باب ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وفي المرضى: باب عيادة المريض راكبًا وماشيًا ومردفًا على الحمار، وفي اللباس: باب الارتداف على الدابة، وفي الأدب: باب كنية المشرك، وأخرجه مسلم (١٧٩٨) في الجهاد: باب دعاء النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين، وأخرجه أحمد في «مسنده» ٥/ ٢٠٣.

(٢) أخرجه البخاري ١١/ ٤٠ في الاستئذان: باب كيف يكتب إلى أهل الكتاب، وفي بدء الوحي: باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ عن الإيمان والسلام والإحسان، ومسلم (١٧٧٣) في الجهاد: باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام.

فهرس خطب
الجزء الحادي عشر



فهرس خطب
الجزء الثاني عشر

